مكتبة الإسكندرية القديمة
ومشروع إحيائها في الوقت الحاضر

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

الدار المصرية اللبنانية

مكتبة الإسكندرية القديمة

ومشروع إحيائها فى الوقت الحاضر

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
هاتف : 3923525 - 3936743 ـ فاكس : 3909618 ـ ص . ب 2022
e- mailALMASRIAHRASHAD@LINK.NET

تجهيزات فنية : الإسـراء ت : 3143632
طبع: أصـون ت : 7944356 - 7944517
رقم الإيداع : 13201 / 2002
الترقيم الدولى : x - 742 - 270 - 977

الطبعة الأولى : جماد أول 1423 هـ يوليو 2002 م

مكتبة الإسكندرية القديمة

ومشروع إحيائها فى الوقت الحاضر

د. شعبان عبد العزيز خليفة

أستاذ علم المكتبات والمعلومات بجامعة القاهرة
رئيس أقسام المكتبات والمعلومات
بجامعات أسيوط والزقازيق وعين شمس
رئيس الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات

الدار المصرية اللبنانية


بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

كانت مكتبة الإسكندرية القديمة رغم شهرتها وذيوع صيتها التى أطبقت الآفاق لغزاً فى نشأتها وقيامها كما كانت لغزًا فى مصيرها واختفائها والحقيقة أنه لولا وثيقة «أوكسرنخوس» (البهنسا الآن) التى تضمنت فيما تضمنت أسماء بعض العاملين فى المكتبة لتشككنا فى وجود تلك المكتبة فليس لدينا أية أدلة نقلية حول تلك المكتبة ظهوراً واختفاءً وكل ما لدينا مجرد أدلة عقلية ونصوص مبتورة متواترة.

وسواء كانت مكتبة الإسكندرية القديمة مكتبة مصرية أقيمت على طراز يونانى، أو كانت مكتبة يونانية أقيمت على أرض مصرية أو كانت مكتبة عالمية ذات نكهة مصرية يونانية نبتت فى تربة مصرية؛ وسواء عمرّت تلك المكتبة ثلاثة قرون أو خمسة قرون أو عشرة قرون، فقد كان ازدهار تلك المكتبة سنداً حقيقيًا لازدهار العلم وتقدم البحث وكان اختفاؤها إيذانًا بدخول البشرية إلى ظلام العصور الوسطى.

لقد بقى الشمال المصرى فى العصر الحديث ردحًا طويلاً من الزمن دون مكتبة عظيمة تسد احتياجات القراء والباحثين إلى أن تبنى الأستاذ الدكتور مصطفى العبادى - الأستاذ بجامعة الإسكندرية - فكرة إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة بأسلوب عصرى وذلك فى منتصف السبعينيات من القرن العشرين وظل يتابع هذه الفكرة بدأب وإصرار حتى تبلور المشروع وأعلن عن بدء تنفيذ مشروع إحياء المكتبة فى أسوان سنة ١٩٩٠. وكان من المفروض أن تتم عملية الإحياء وتفتتح

المكتبة سنة ١٩٩٥، إلا أن المشروع تعثر حتى افتتح الافتتاح التجريبى فى مطلع شهر أكتوبر ٢٠٠١؛ وقد حدد الافتتاح النهائى الرسمى للمشروع فى الثالث والعشرين من شهر إبريل ٢٠٠٢. ولكنة تأجل لظروف الاجتياح الاسرائيلى لفلسطين.

ويعرض كتابنا هذا باستفاضة للمكتبة القديمة كما تواترت معلوماتها فى أوثق المصادر، كما يعرض لمشروع إحياء المكتبة فى الوقت الحاضر منذ أن كان فكرة فى ذهن الأستاذ الدكتور مصطفى العبادى إلى أن أصبح حقيقة واقعة وأصبح البعض ينظر إلى المكتبة الجديدة على أنها هرم رابع أقيم على أرض الإسكندرية.

طوبى لمن فكر ودبر
طوبى لمن خطط ونفذ
طوبى لمن منح وموّل وتبرع
طوبى لمن عمل فى صمت ودأب
طوبى لمن شجع واستحسن ولو بكلمة طيبة.
طوبى لمن رعت رتبنت وتفانت.

أ.د. شعبان خليفة

الجيزة فى ٢٠٠٢

الفصل الأول

البيئة والظروف التى نبتت فيها مكتبة الإسكندرية القديمة وأحاطت بمصيرها

الفصل الأول

البيئة والظروف التى نبتت فيها مكتبة الإسكندرية القديمة

تذكر المصادر أن الذى خطط لإنشاء مكتبة الإسكندرية هو «الإسكندر الأكبر» مؤسس مدينة الإسكندرية نفسها، بيد أنه لم يقم بتأسيس المكتبة نفسها بل توفر خلفاؤه على ذلك الأمر بناءً على ما وضعه لها من خطط ومن هنا تكون المكتبة قد بدأت أولى خطواتها فى وقت ما خلال القرن الثالث قبل الميلاد.

ولما كانت المكتبة هى بنت بيئتها وظروفها فلابد لنا أن نتوقف بداية أمام البيئة والظروف التى نشأت فيها المكتبة وأثرت على مسيرتها.

تنتمى المكتبة تاريخيًا إلى العصور القديمة، تلك العصور التى يحدد المؤرخون نهايتها بنهاية القرن الخامس الميلادى. كما تنتمى المكتبة جغرافيا إلى حوض البحر الأبيض المتوسط، وتنتمى فكريًا إلى حضارة العالم المعروف آنذاك كله.

من حيث الانتماء التاريخى والجغرافى كانت هناك الحضارة المصرية والحضارة الهللينية وكانت هناك الحضارة الرومانية وكانت هناك الحضارة الفينيقية.. وعلى بعد مرمى حجر كانت هناك الحضارة الفارسية والعراقية القديمة فى ظل مزيج من هذه الحضارات قامت مكتبة الإسكندرية وتطورت واختفت.

مصـر

والحضارة المصرية هى أقدم حضارات العالم وأكثرها خصوبة بل وأطولها عمرًا، وهى حضارة مغلقة لا آباء لها لـم تخلـف أحـدًا ولـم تأخـذ مـن أحـد وهى من صنع الإنسان المصرى العظيم الذى عاش عـلى ضفـاف النيـل؛ ويقـول عنها «أرنولد توينبى» أنها امتـدت عـلى مـدى ألفـى عـام، كمـا أن لهـا أطـول

خاتمة حضارة فى التاريخ آلفى عام أخرى تقوم فيها وتكبو إلى أن انتهت وطمست معالمها.

على أرض مصر بدأت أولى محاولات الإنسان فى اختراع «الكتابة» كرموز يسجل بها المرء المعلومات التى يفرزها من رأسه. وقد بدأت الكتابة عن طريق التصوير ثم تطورت إلى كتابة مقطعية ثم إلى كتابة أبجدية وأول وأصل الأبجديات جميعا هى الأبجدية السينائية التى أخذها الفينيقيون وطوروها ونشروها فى جميع أنحاء العالم، والعالم مدين لهذه الأبجدية بأبجدياته جميعا سواء تلك التى اندثرت أو تلك التى ماتزال قيد الاستخدام.

لقد عرف المصريون القدماء أربعة كتابات أو خطوط: الكتابة الهيروغليفية التى كانوا يكتبون بها أساسًا على الآثار وهى الكتابة الرسمية؛ والكتابة الهيراطيقية التى اشتقها الكهنة من الكتابة الهيروغليفية لاستخدامهم الخاص بالكتابات الدينية الكهنوتية ولذلك لم تنتشر إلا بينهم؛ والكتابة الديموطيقية التى اشتقتها طوائف لاستخدامها فى التعليم والأغراض اليومية؛ ثم الكتابة السينائية وهى كتابة أبجدية كاملة لم تنتشر بين أفراد الشعب انتشارًا كبيرًا لأن الظروف لم تكن مواتية حيث كانت الحضارة المصرية تواجه المتاعب تلو المتاعب إلى أن قام الفينيقيون الذين كانوا يعملون فى مناجم الفيروز فى سيناء بتطويرها ونشرها فى حوض البحر الأبيض المتوسط وحيث وصلت مستعمراتهم، ثم قامت العلاقات الدولية بعد ذلك بمد موجاتها إلى جميع أنحاء العالم. وكانت الأبجدية السينائية هذه تتألف من أربعة وعشرين حرفًا وعرفت فى نحو سنة ٣٠٠٠ ق. م. ولكن اكتشاف الفينيقيين لها وتطويرهم إياها كان فى مطلع الألف الثانى قبل الميلاد:ـ

واللغة المصرية القديمة هى لغة سامية بالدرجة الأولى دخلتها عناصر حامية إفريقية وهى تقترب إلى حد كبير من اللغة العربية التى كان يتكلمها سكان الجزيرة العربية وبلاد الشام وشمالى إفريقيا. ويقسم بعض الباحثين تاريخ اللغة المصرية القديمة إلى خمس مراحل:-

١ ـ المصرية القديمة حتى حوالى ٢٢٠٠ ق. م.
٢ ـ المصرية الوسيطة من ٢٢٠٠ ق. م. حتى ١٦٠٠ ق. م.
٣ ـ المصرية المتأخرة من ١٥٥٠ ق. م حتى ٧٠٠ ق. م.
٤ ـ المصرية الشعبية من نحو ٧٠٠ ق. م حتى القرن السابع الميلادى.
٥ ـ المصرية العربية من القرن السابع حتى الآن.

وفى رأيى الشخصى أن الفروق بين اللغة المصرية وتلك التى كان يتكلمها أهل الجزيرة العربية والشام وشمالى إفريقيا من جهة، وبين المراحل المختلفة فى اللغة المصرية القديمة، هى فروق لهجات وليست فروق لغات. والحقيقة أن ما أفسد قراءتنا ومعرفتنا باللغة المصرية القديمة هو أننا قرأناها عن طريقة لغة وسيطة ـ اللغة اليونانية القديمة ـ ومن ثم فإننا لم نقرأها حق قراءتها ولم نعرفها حق معرفتها.

ولقد ظهرت على أرض مصر أولى مواد الكتابة المصنعة لهذا الغرض خصيصًا ونقصد بها ورق البردى الذى صنعه المصريون القدماء من سيقان نبات البردى الذى كان ينمو على ضفاف النيل والبرك والمستنقعات نموًا طبيعيا ثم أخذ المصريون فى زراعته خصيصًا لذلك الغرض. وانتشرت مصانع ورق البردى انتشاراً كبيرًا وصدره المصريون إلى جميع دول حوض البحر الأبيض المتوسط وغدا من السلع الاقتصادية المدرة للربح على الفرد والدولة ويقال أن أحد أباطرة الرومان كان يمول جيوشه المحاربة من دخل ورق البردى.

ومن المعروف أن ورق البردى كان يتاح على شكل لفافات وتتألف كل لفافة من عدة دروج وربما يصل طول اللفافة الواحدة أحيانا إلى مائة قدم على حسب كمية المادة العلمية التى تكتب عليها.

وتأنق المصرى القديم فى صناعة أدوات الكتابة من أقلام وأحبار ومحابر ومديات لبرى الأقلام، ومايزال الحبر الذى كتبوا به على ورق البردى ظاهراً واضحًا كأنه غنى؟ فقط بالأمس القريب.

يوصف الشعب المصرى القديم بأنه كان شعبا يذهب إلى المدرسة حيث كان التعليم لدى المصرى القديم مسألة مقدسة؛ وكانت الكلمة المكتوبة ذات مكانة

خاصة، ولذلك كان العلم ينتقل فى الزمان والمكان كتابة وليس عن طريق التواتر والمشافهة، وتقديس الكلمة المكتوبة هى أحد أسرار عظمة الحضارة المصرية القديمة. وقد وصلتنا نصوص عديدة تؤكد على مكانة الكتاب وأهمية التعليم من بينها ما ورد بين نصائح الحكيم «خيتى بن دواوف» لابنه بيبى وهو يدخله المدرسة «ضع قلبك وراء الكتب فما من شىء يعلو على الكتب... ليتنى أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر مما تحب أمك وليتنى أستطيع أن أريك جمالها؛ إنها أعظم من أى شىء آخر» وجاء فى نصائح «آنى» لابنه «خنس حتب» ما نصه: «خصص نفسك للكتب وضعها فى قلبك وبذلك يكون كل ما تقوله ممتازاً» وفى إحدى البرديات وصف لما ينتظر الميت فى العالم الآخر من أنه «سوف يحصل على الملابس والقوت بجوار الكتب».

لقد بلغ المصريون القدماء فى البحث العلمى والتأليف درجة عالية رفيعة ومقامًا محمودًا، وغطت الكتب التى ألفوها جميع فروع العلم والمعرفة ومن بينها علوم لا نعرفها اليوم.

عرف المصريون القدماء الله الواحد الأحد ذا التسعة والتسعين اسمًا، وعرفوا الآخرة والبعث والنشور؛ ولم تنتشر الأساطير بينهم لأنه كانت لهم فى الأعم الأغلب تفسيرات علمية عملية لكل أو جل الظواهر الكونية؛ ومن ثم لم يلجأوا إلى اختراع أساطير يفسرون بها تلك الظواهر.

لقد راجت صناعة الكتب وتجارتها رواجًا عظيما لاتساع رقعة التعليم والعلم والثقافة والكهانة؛ وإن كان هناك كتاب أروج من الجميع وأقدس من الجميع وأعنى به «كتاب الموتى» وهذا الاسم لم يطلقه المصريون القدماء على ذلك الكتاب إنما نحن الذين سميناه بهذا العنوان ولكن الاسم الذى سماه المصريون به هو «ما سوف يحدث فى الآخرة». وكتاب الموتى ليس كتابا واحداً وإنما هو عدة كتب أو عدة فصول فى واحد، حيث يقع فى ١٩٢ فصلاً أو موضوعًا، ويتضمن النصائح التى تساعد الميت على التقدم نحو الحياة الأبدية فى الآخرة.

وكانت وظيفة الكاتب من الوظائف العليا فى مصر القديمة وأكثرها احتراما، سواء انصرف هذا المصطلح إلى الناسخ أو إلى المؤلف. ولقد وصلنا نص بعنوان «كن كاتباً» يؤكد ليس فقط على المكاسب المادية لمهنة الكتابة وإنما أيضا على المكاسب الأدبية وفرصة الخلود. يقول النص «المرء يتحلل وجسمه يصير ترابًا وتختفى عشيرته جميعا ولكن كتاباً واحداً يخلد ذكره من خلال فم مرتله وقارئه».

لقد استتبع الإنتاج الفكرى الغزير والعظيم والمتنوع الذى كان ينشر على أرض مصر، إنشاء دور الكتب التى تجمع ذلك الإنتاج وتنظمه وتحفظه وتيسر الانتفاع بما فيه من معلومات. وقد عرفت مصر فى العصور القديمة أنواعا شتى من المكتبات من بينها مكتبات المعابد ومكتبات القصور الفرعونية (قصر الحكم) ومكتبات الأكاديميات أو الجامعات بمفهومنا الحاضر ومكتبات المدارس بل والمكتبات الخاصة وقد وصلنا عقد توظيف أمين مكتبة لدى سيدة عندها مكتبة فى بيتها. وكان لأمين المكتبة وضع متميز فى مصر القديمة لدرجة أن أمين مكتبة القصر الفرعونى كان يعين بحكم وظيفته عضواً فى مجلس الثلاثين الحاكم وكان مجلسه إلى جوار الفرعون وأشهر أمين مكتبة فى التاريخ «تحوت» وأشهر أمينة مكتبة فى التاريخ «حاتحور».

وتبرز مكتبة «رمسيس الثانى» فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد كأضخم وأكبر مكتبة فى العصور القديمة قبل مكتبة الإسكندرية فى القرن الثالث ومكتبة آشوربانيبال فى القرن السابع قبل الميلاد.

العـــراق

كانت هناك فى نفس وقت الحضارة المصرية حضارة أخرى نبتت فى بلاد الرافدين (العراق القديم)، وكانت هى الأخرى حضارة مغلقة لم ترث حضارة سابقة عليها ولم تشكلها عوامل خارجية. وبينما كانت الحضارة المصرية حضارة موحدة إلا أن الحضارة العراقية كانت حضارة مقسمة حيث تعاورتها جماعات

عرقية ولغوية مختلفة فقد كان هناك السومريون فى الجزء الجنوبى من بلاد الرافدين منذ الألف الرابعة قبل الميلاد والذين انحدر منهم الأكاديون فى منتصف الألف الثالثة ثم كان هناك البابليون فى مطلع الألف الثانية قبل الميلاد، وفى نفس الفترة جاء معهم الآشوريون فى الشمال إلى أن اجتاح ملوك الأخاميند الفرس الشرقى الأدنى منذ ٥٣٨ ق. م وزحفوا إلى مصر سنة ٥٢٥ق. م.

ورغم أن العراقيين القدماء كانوا أهل علم وثقافة وحضارة، إلا أن العلم والتعليم والثقافة كانت مسألة قاصرة على الصفوة فقط ولم تكن للعامة على النحو الذى صادفناه فى الحضارة المصرية القديمة.

ولقد اخترع العراقيون القدماء هم الآخرون كتابة خاصة بهم يسجلون بها المعلومات ويدونون بها الوثائق عرفت باسم الكتابة المسمارية أو الخط المسمارى. وقد بدأت هى الأخرى كتابة تصويرية ثم مقطعية ثم أبجدية وقد سميت بالمسمارية نسبة إلى المسمار أو الوتد الذى كانوا يستعملونه فى خط الكتابة على ألواح الطين التى استخدموها للكتابة.

وإذا كان المصريون القدماء قد صنعوا من نبات البردى مادة أو وسيطا يكتبون عليه وهو أساسًا مادة من البيئة المصرية الصميمة فإن العراقيين قد استخدموا الطين الصلصال الذى تجود به تربة بلاد الرافدين الخصبة فى صناعة ألواح أو قوالب من طين يخطون عليها كتابتهم وهى طرية نيئة ثم يجففونها فى حرارة الشمس أو فى أفران خاصة فتثبت الكتابة عليها وتعيش آماداً طويلة. وإذا كانت النار عدواً لدوداً لورق البردى المصرى فإنها كانت صديقًا لألواح الطين العراقية، ومن هنا وصلنا معظم ما خطه العراقيون القدماء من كتب بينما لم يصلنا سوى النزر اليسير مما أنتجه المصريون القدماء من إنتاج فكرى. وبينما كانت لفافة البردى تحمل كميات كبيرة من المعلومات فى حيز صغير كان الكتاب العراقى يحتاج إلى كميات كبيرة من ألواح الطين تحتل حيزا كبيراً.

لقد استخدم العراقيون القدماء إلى جانب ألواح الطين مواد أخرى للكتابة

عليها كالأحجار والنحاس والبرونز وألواح الخشب المغطاة بالشمع وأسرف البعض فاستخدم ألواح العاج وكان اللوح يضم إلى اللوح أحيانا ليؤلف كتابا وقد وصلتنا كتب فى خمسة عشر لوحًا موصولة معًا من أطرافها.

وكان القلم الذى يكتب به العراقيون عادة عبارة عن وتد أو اسفين مصنوع من البوص أو الخشب الصلب أو العاج أو العظام أو المعدن. وكانت أعواد الغاب متوافرة توافر الصلصال نفسه داخل بلاد الرافدين حيث كانت تنمو بكثرة وغزارة ولذلك استخدمت لصنع أقلام البوص منها وكانت تلائم تماما الكتابة المسمارية نفسها.

وتعكس الألواح الطينية المكتشفة حتى الآن وهى تعد بعشرات الآلاف، عن الموضوعات التى كان العراقيون القدماء يكتبون فيها. ويظهر من الألواح التى تمت قراءتها أن ٩٠٪ من تلك الألواح عبارة عن تقارير اقتصادية وإدارية عن الزراعة والصناعة فى بلاد ما بين النهرين، وعقود ونصوص قانونية وسجلات تجارية ومراسلات سياسية وحسابات فلكية وتقاويم. وجانب من تلك الألواح عبارة عن نصوص سحر وكتب فى الرياضيات والفلك وخرائط جغرافية وتخطيطات عمرانية ورسائل طبية ووصفات علاجية وكتب فى المصنعات ومن بينها كتب فى صناعة الزجاج. لقد كانت هناك قواميس لغوية منذ ٢٥٠٠ ق. م: قواميس أحادية اللغة للغة السومرية فى البداية ثم ظهرت القواميس ثنائية اللغة بعد ذلك. ومن أطرف القواميس التى وصلتنا بعض معاجم المصطلحات ومنها معجم يضم ٩٧٠٠ مصطلح على أربعة وعشرين لوحًا ـ وقد وصلتنا دائرة معارف متخصصة فى الاقتراض والفائدة. كما وصلتنا أعمال أدبية وتاريخية وأساطير وملاحم. وكانت هناك ترجمات تتم من البابلية إلى الآشورية والعكس. وقد عرف الكتاب العراقى القديم الصور والرسوم التوضيحية.

وقد عرف العراق القديم الكاتب بمعنى الناسخ والموثق وبمعنى المؤلف وكانت له كما هو الحال فى مصر مكانة كبيرة فى المجتمع وحيث لم

يكن فى العراق القديم سوى نسبة محدودة من المتعلمين (٢ ـ ٥٪ من مجموع السكان).

فى العراق القديم كانت أيضا نشأة الكتاب العبرى، ذلك الكتاب الذى كانت له جنسية ولكن لم يكن له وطن والذى عاش فى الشتات مثل جنسيته، قد عاش فى العراق حينًا ثم عبر إلى الشام ثم عبر إلى مصر من الشام وعاد إلى الشام مرة أخرى . .

وكان للإنتاج الفكرى الغزير الذى نشر فى العراق القديم أثره المباشر فى إنشاء العديد من المكتبات التى تجمع وتنظم هذا الإنتاج الفكرى وتيسر الإفادة منه. ولما كان من مميزات الألواح الطينية التى كتب عليها هذا الإنتاج قوة التحمل والاستعصاء على البلى فقد وصلنا عدد كبير من مكتبات العراق القديم وكان حظنا أوفر فى الحصول على معلومات عن التنظيم الداخلى والتصنيف المتبع فيها.

ويعتبر عمود حمورابى الذى كان يقام فى الميادين والأسواق العامة بجميع المدن فى العراق، بمثابة مركز معلومات تسجل عليه الانتصارات الحربية والقرارات الملكية. ولقد كانت هناك مكتبات فى القصور الملكية والمعابد ومن بين المكتبات العراقية القديمة مكتبة آشوربانيبال فى نينوى فى القرن السابع قبل الميلاد ومكتبة كلاش فى الألف الثالث ومكتبة نيبُّور وغيرها. ومن حسن الحظ أنه وصلنا قدر كبير من محتويات تلك المكتبات.

فينيقيا

والفينيقيون فى الشام هم الآخرون كانت لهم حضارة عظيمة وينسب إليهم الفضل فى أنهم حملوا الأبجدية السينائية إلى حيث حلت رحالهم فى جنوب وشمال وشرق البحر الأبيض المتوسط. وقد كتب الفينيقيون فى الشام بادىء ذى بدء بالخط المسمارى ولكنهم بعد أن اعتنقوا الخط السينائى وطوروه كتبوا به. ولما كانت فينيقيا (كنعان) تقع بين حضارتى العراق القديم من الشرق ومصر القديمة من الغرب فكان لابد وأن تستعير من كل منهما شيئًا على الأقل فى مواد الكتابة

إذ كتبوا على ورق البردى المستورد من مصر وعلى ألواح الطين المأخوذة من العراق. وقد وصلتنا من أرض كنعان كتب كثيرة تعالج الحياة الاقتصادية فى الزراعة والتجارة والتعاملات المالية والاتفاقات الاقتصادية. كما وصلتنا كتب دينية وسحر وتعازيم وتعاويذ ورقى وأدعية وأناشيد؛ كما وصلتنا كتب فى الأدب والفكر والقصص والحكم والأمثال والأساطير. ووصلتنا كذلك نصوص تعالج الحياة السياسية الداخلية والخارجية من مراسيم ومراسلات ومعاهدات خارجية وتقارير داخلية وتراجم قادة وملوك وأمراء.

وطالما ازدهرت حركة إنتاج الكتب فى فينيقيا كان لابد للمكتبات أن تزدهر فكانت هناك مكتبات رسمية ومكتبات شخصية. ومن بين المكتبات التى ازدهرت مكتبة مارى وكانت مملكة مارى السورية قد ازدهرت فى الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد. كما كانت هناك المكتبة الملكية فى إيبلا التى تقع على بعد خمس وخمسين كيلو مترا الآن من حلب فى الجنوب الغربى وترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد. ومن المكتبات الشهيرة أيضًا مكتبة أوجاريت (رأس شمرا الآن)، تلك المملكة التى ترجع إلى نهاية الألف الثانى قبل الميلاد. وإلى جانب تلك المكتبات الرسمية كانت هناك مكتبات شخصية فى بيوت الأمراء والموظفين الملكيين وغيرهم من الشخصيات الهامة.

بلاد فارس

ومن الحضارات التى وجدت فى المنطقة وألقت بظلالها على مسيرة الحضارات الأخرى الحضارة الفارسية. ويعتبر «قورش» هو مؤسس الأمبراطورية الفارسية فى القرن السادس قبل الميلاد وزحف إلى بلاد بابل واستولى عليها ثم زحف إلى بلاد الشام حتى دانت له كل آسيا الغربية وإن كان قتل سنة ٥٢٨ ق.م فى بعض الحروب إلا أن ابنه قمبيز واصل فتوحات أبيه وزحف على مصر واستولى عليها سنة ٥٢٥ق.م وهكذا امتدت مملكة الفرس فى غضون ربع قرن من النيل إلى الشام ومن بحر إيجه إلى الهند.

ومن الثابت تاريخيًا أن الفرس قد استوعبوا الحضارات التى سبقتهم فى المناطق التى فتحوها وخرجوا من هذا كله بحضارة جديدة.

وكانت حكومة الفرس تستخدم لغتين الآرامية والفارسية وحتى فى لغتهم الفارسية استخدموا الأبجدية الآرامية، واخترعوا أيضا أبجدية أخرى مسمارية تتألف من ٣٩ حرفًا. ويعتبر داريوس من أهم ملوك الفرس الذين وضعوا نظاما إدارياً فذاً فى إدارة الإمبراطورية المترامية. وبعد فك رموز الكتابة الفارسية على يد رولنسون كان ذلك فتحًا عظيما منذ منتصف القرن التاسع عشر حيث استطاع العلماء قراءة الكتب المكتوبة بالخط المسمارى سواء فى بلاد فارس أو بلاد ما بين النهرين.

كانت حركة الإنتاج الفكرى فى بلاد الفرس متأثرة بما وجد فى الدول التى فتحوها ولذلك تناولت الكتب التى خلفوها لنا مجالات عديدة فى الاقتصاد والسياسة والدين الذى كان له دور كبير فى حياة الفرس، وكذلك الأدب والجغرافيا والتاريخ. وكانت المادة الأساسية التى كتب عليها الفرس قد استعاروها من العراق القديم أى ألواح الطين. وكان من الطبيعى أن يأخذوا فكرة المكتبات منهم أيضا فأنشأوا دور الكتب ليضعوا فيها الكتب التى أبدعوها والتى استولوا عليها أيضًا من المناطق التى فتحوها.

اليونـــان

وإذا اتجهنا صوب الحضارة اليونانية فى العصور القديمة سوف نجد أن اليونانيين فى بادىء أمرهم لم يكونوا سوى مجموعة قبائل من الجنس الهندوأوربى وفى نحو سنة ٢٠٠٠ ق. م كانت تلك القبائل ترحل من مكان إلى مكان وراء الكلأ والمراعى وكانوا مثل عرب الجزيرة العربية أجلافًا ليس لديهم لاعلم ولا أدب ولافن مكتوب.

وكانت جزر بحر إيجة وعلى رأسها كريت قد تأثرت بالحضارة المصرية القديمة وكونت لنفسها حضارة عظيمة، حيث كانت تلك الجزر ملتقى حضارات الشرق

وكانت جسرًا يصل الشرق بأوروبا. ومن المعروف أن جزيرة كريت تمتد امتدادًا كبيرا فى البحر المتوسط حتى لا يعلم انتماؤها هل هو لأوروبا أم لأفريقيا وبينما كان اليونانيون بدوًا رحلاً وقبائل لا تستقر على حال سنة ٢٠٠٠ ق. م، كان الكريتيون قد بلغوا فى ذلك الوقت شأوا عظيمًا من التحضر وكانت لهم الكتابة الخاصة بهم وهى أقدم كتابة على حدود أوروبا وقد خلفوا لنا نصوصًا وأعمالا فكرية مختلفة وبلغت حضارتهم أوج ازدهارها فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ١٦٠٠ ـ ١٥٠٠ ق. م فيما عرف بالعصر الذهبى.

كان اليونانيون فى نهاية الألف الثانية قد بدأوا الاستقرار فى شبة جزيرة اليونان والجزر المحيطة بها ولكنهم كونوا آنذاك ما يعرف بالمدن الدول، حيث كانت كل مدينة وما حولها من قرى تؤلف فى حد ذاتها مملكة قائمة بنفسها لها شريعتها وقانونها ولها جيشها ولها آلهتها. وقد انطوت بلاد اليونان على مئات من هذه الدويلات المدن كما كان حال جزر بحر إيجة الذى كانت كل جزيرة دويلة قائمة بذاتها.

ومع التقاء اليونانيين بالحضارة الإيجية وخاصة الكريتية منها وكذلك بالحضارة الفينيقية والحيثية، بدأ اليونانيون تدريجيا (بين ١٠٠٠ ـ ٧٥٠ق.م) يستعيرون عناصر تلك الحضارات المشبعة أصلاً بالحضارة المصرية والعراقية القديمة ولعل أولى مشاعل التحضر لدى اليونانيين اقتباسهم للأبجدية الفينيقية التى هى أصلاً من أصول مصرية. ومن الطريف أن اليونانيين هم الذين نبهونا إلى أنهم استقوا أبجديتهم من الأبجدية الفينيقية (السامية أو الكنعانية كما يطلق عليها أحيانا). وربما حدث ذلك الأمر فى مطلع الألفية الأولى قبل الميلاد أى حوالى ٩٠٠ ق.م. وجاء إلى أوروبا لأول مرة مع حروف الهجاء القلم والحبر والورق وجاء مع الورق اسمه المصرى بابيروس ثم بيبليوس حيث اشتق اليونانيون بعد ذلك اسم الكتاب (ببليو).

وكانت الأشعار وخاصة الشعر الملحمى تنتقل شفاهة بين الناس وتلقى على

النواصى والطرقات والأسواق العامة وعلى رأس الشعر الملحمى كانت ملحمتا الإلياذة والأوديسة. وكذلك كانت سائر المعلومات والروايات والأخبار والتواريخ تنتقل شفاهة عن طريق التواتر.

وقد تطورت الديانة اليونانية وخرجت من بطن الأساطير المرتبطة بالظواهر الكونية المختلفة ولذلك تعددت الآلهة عند اليونانيين تعدداً غريبا لا نصادفه عند شعب آخر. وكان كل إله عندهم أو إلهة لديهم متسلطًا على جزء من الطبيعة. وصور اليونانيون آلهتهم بهيئات بشرية وحسبوها ذات صفات إنسانية طيبة أو شريرة.

وقد برز بين الممالك اليونانية العديدة أربع ممالك كبيرة هى: آرجوس؛ إسبارطة؛ أثينا؛ طيبة. وقد بلغت تلك الممالك درجة من الرقى والاستقرار فى القرن الثامن قبل الميلاد مما خلف لدى أفراد الشعب نوعًا من الإحساس بالذات ثم التفكير فيما آلت إيه الأحوال وسعوا إلى الاشتراك فى الحكم ولذلك كان اليونانيون هم أول شعب فى العالم القديم يحصل على ما يسمى بالحكم الديموقراطى وكان أول شعب يخلع الملك فى بعض الدويلات المدن وبعد انتهاء عصر الملوك وبداية عصر النبلاء (٧٥٠ ـ ٦٥٠ ق.م) أخذت القوات اليونانية فى التوسع غربا فى جنوبى إيطاليا ثم استولوا بعد ذلك على صقلية ثم أسسوا بعض مستعمراتهم فى جنوبى فرنسا وواصلوا زحفهم حتى ما يعرف بأسبانيا الآن. وقد ساعد على تكوين مستعمرات وجاليات يونانية مختلفة إلى جانب التوسع العسكرى التوسع فى الهجرة حتى امتدت مستعمراتهم من البحر الأسود إلى الساحل الشمالى من البحر الأبيض. هذا التوسع العظيم أدى بالقطع بالنبلاء الحاكمين إلى أن يتحولوا إلى طغاة.

وظل النبلاء قابضين على زمام الحياة الاجتماعية رغم ما كان عليه العامة فى زيادة القوة والنفوذ. وقد ازدهرت فى هذا العصر الموسيقى والشعر والبناء والنحت والرياضيات والعلوم الطبيعية. وقد عد عصر الطغاة من أعظم أزمنة

تاريخ العالم حيث نبغ فيه أعظم الرجال وأكبر قادة الأفكار. وكما يقول هنرى برستيد فى هذا الصدد «فكأن العقول حُلَّت فيه من عقالها أو انبعثت من رقادها تحت عوامل الجهاد الشديد لإحراز قصب السبق فى التجارة والسياسة والهيئة الاجتماعية ودخلت عالمًا جديدا: عالم العلم والفلسفة فكأن جميع القوى الخفية فى حياة اليونان المملوءة نشاطًا قد برزت من مكامنها وتجلت فى السياسة والآداب والدين والحفر والتصوير والهندسة وفن البناء. ونرى أن قادة الأفكار فى هذا العصر بوجه الإجمال ـ وكثيرون منهم كانوا طغاة ـ قد أحدثوا تأثيرا فى بيئتهم لم تقو على محوه الأيام ولقبوا بالحكماء السبعة وهم أول سياسيى اليونان ومفكريهم. . .»

وفى نفس ذلك الوقت كانت قوة الفرس فى أوجها فأخذت تهدد بلاد اليونان وبدأوا هجومهم عليها فى مطلع القرن الخامس قبل الميلاد وأخذوا داريوس يطبق عليها ولكن اليونانيين انتصروا وصدوهم فى بادىء الأمر ومات داريوس فاستأنف ابنه أحشويروش الحرب على اليونان إلا أنه أيضا رغم التدمير والتخريب الذى أحدثه فى بلاد اليونان هزم هو الآخر بعد معارك طاحنة ولم يستطع الفرس احتلال أرض اليونان فى أوروبا. كما قضى على قوة الفرس البحرية فى البحر الأبيض فى معركة فاصلة (٤٦٨ ق.م).

ولم يلبث الكابوس الفارسى أن انزاح حتى بدأ الصراع بين الممالك اليونانية الكبرى نفسها حين أصبح بريكليس، الزعيم السياسى لأثينا دون منازع سنة ٤٦٠ ق.م. وكان الصراع بين أثينا وإسبارطه مريراً. وكان المجتمع الأثينى فى ذلك الوقت يتألف من وطنيين وأجانب وعبيد. وكان العبيد يمثلون ٤٠٪ والأجانب مابين ١٠ و ٢٠٪ والوطنيون وهم جميعا من الأحرار البقية الباقية ولقد بدأت الحضارة اليونانية الحقة اعتبارًا من ذلك القرن الخامس قبل الميلاد حيث بدأ التعليم فى الانتشار وإلى جانب المدارس الثابتة كان هناك المعلم المتنقل فإذا ما أتم الشاب اليونانى تعلم الموسيقى والقراءة والكتابة فى المدارس القديمة سعى وراء المعلمين الجدد المتنقلين ليتعلم البيان والخطابة وكتابة النثر كما علموهم الرياضيات

والفلك ومبادىء الطبيعيات. وقد برز فى هذه الفترة طاليس وفلسفة السفسطة، وتقدمت علوم الفلك والهندسة والرياضيات وقد قدموا فيها نظريات جديدة وقاموا باكتشافات مهمة. وتقدم الطب تقدما كبيراً بفضل التأثير المصرى عليه وقد استطارت شهرة الطب اليونانى فى الآفاق حتى أن ملك الفرس نفسه قد استقدم طبيبا يونانيا كى يعالجه. وعند ختام حياة بريكليس قام المؤرخ اليونانى ذائع الصيت هيرودوت بنشر كتابه «تاريخ العالم» الذى قضى سنين عديدة فى تأليفه وانتشر أيضًا تأليف الروايات والمسرحيات الهزلية الكوميدية والجادة المأساوية وانتشرت المسارح لتمثيل تلك المسرحيات وكانت المباريات فى الموسيقى والرقص والرياضة وسباق الزوارق تقام فى كل مكان لتسلية الجماهير. ولقد تطورت فنون التصوير والنحت تطورا كبيراً.

ويهمنا فى هذا الصدد تلك الظاهرة التى انتشرت بين الشعب اليونانى وأعنى بها ظاهرة القراءة والمطالعة وخاصة لتلك الروايات والمسرحيات التى يجرى تمثيلها. وقد احتل الكتاب منزلة سامية لدى الشعب الأثينى ولقد نتج عن ذلك انتشار المكتبات الشخصية على نطاق واسع وكانت تلك المكتبات تعج بمؤلفات المؤلفين المختلفين وإن كانت مؤلفات الشعراء بالذات والروائيين لها الغلبة فى هذا الصدد.

لقد انتشر فى ذلك الوقت استخدام ورق البردى المستورد من مصر فى كتابة الكتب اليونانية، وكانت بعض لفافات البردى تصل إلى مائة وخمسين وأحيانا مائتى قدم.

وإلى جانب كتب الثقافة العامة التى انتشرت فى بلاد اليونان فى ذلك الوقت أخذ المتخصصون ينشرون كتبا فى تخصصاتهم فالنحات ينشر كتبا فى فن النحت والرياضى ينشر كتبا فى الرياضيات والمهندس ينشر فى الهندسة والطبيب ينشر فى الطب وعلماء الأدب ينشرون فى البيان واللغة؛ «حتى ربة البيت استطاعت أن تجد كتابا فى فن الطبخ».

وفيما كانت الأحوال داخل الإمبراطورية الأثينية جارية على هذا النمط كانت أحوالها الخارجية تزداد شؤماً وخطرًا بسبب حسد الحساد لها على عظمتها الظاهرة وتقدمها التجارى وازدياد قوتها وثرائها ونهضتها الفكرية وجنوحها نحو الديموقراطية. ومن الغريب أن يتحد يونانيو أوروبا كلهم ضد أثينا ولم تلبث الأحوال أن تقلبت بها فاجتاحها الطاعون وقضى على كثير جدا من أبنائها بأضعاف أضعاف ما فعلته الحرب؛ ولم تلبث الحرب أن قامت مرة ثالثة بين أثينا وإسبرطة فى سنة ٤١٣ ق.م، تداعت أثينا على إثرها بعد انهيارات تدريجية وسقطت الإمبراطورية الأثينية سنة ٤٠٤ ق.م ومن الغريب أن القرن الذى شهدت بدايته صد أثينا للفرس وانتصارها عليهم شهدت نهايته سقوطها فى يد إسبارطة التى أصبح لها اليد الطولى. وبعد فترة من الزمن تحالفت أثينا وطيبة ضد إسبارطة مما كان وبالا عليها ودارت الدائرة عليها وهزمت بعد انتصار.

ومهما يكن من أمر الأحوال السياسية والعسكرية فإن من المسلم به أن بلاد اليونان فى القرون الخمسة قبل الميلاد كانت بلاد حضارة تعوزها الوحدة. ولذلك هب المفكرون والعلماء اليونانيون بدءًا بسقراط وأفلاطون وأبقراط وغيرهم يحضون الشعب اليونانى على أن يدفنوا أحقادهم ويقلعوا عن منازعاتهم التافهة حتى يلتئم العالم اليونانى ولكن المشكلة الحقيقية أنه لم تكن هناك مدينة واحدة يونانية تميل إلى أن تخضع لزعامة مدينة أخرى.

يقول هنرى برستيد «ولكن مع تقهقر قوة اليونان السياسية لا نستطيع إلا أن نعترف على رؤوس الأشهاد بأن الحضارة اليونانية التى حاولنا تصويرها للقارىء بالكلام، كانت حضارة مجيدة لا مثل لها... ولقد كان أمام العبقرية اليونانية انتصارات أخرى مستقبلة بعد فقد الزعامة السياسية التى نراها الآن قد أخذت تنتقل أزمتها إلى أيد أخرى».

لقد امتدت الحضارة اليونانية إلى مقدونيا التى أخذ ملوكها فى غرس بذور الآداب والفنون اليونانية وتعهدوها بعنايتهم. وكان من حسن حظ «فيلبس

المقدونى» - والد الإسكندر - أنه تربى فى بلاد اليونان إذ تعلم علومها وعرف ما آل إليه حالها من تفكك وضعف وعندما تبوأ عرش مقدونيا اعتزم أن يستولى على الممالك اليونانية ويبسط نفوذه على العالم اليونانى كله. وفعلاً نظم جيشا كبيراً زحف به على الممالك اليونانية واستولى عليها واحدة إثر أخرى وكان من بين أنصاره فى هذا الشأن أبقراط ودانت له بلاد اليونان كلها بعد معركة كيرونيا سنة ٣٣٨ ق. م وتبوأ منصب الزعامة فى البلاد طراً.

ولقد تربى «الإسكندر الأكبر» فى ظل هذه الزعامة وكان أستاذه هو «أرسطو» الذى استقدمه أبوه ليتولى تهذيب وتثقيف ولده الأمير الشاب وهو فى سن الثالثة عشرة وكانت لأرسطو مكتبة عظيمة كان لها أثرها الطاغى على الإسكندر وكان من جملة ما صبت إليه نفس الأمير الشاب أثناء تحصيل العلوم، عيون آداب اللغة اليونانية ولا سيما ملاحم هوميروس وداعبت أحلام الأمير الشاب الأعمال البطولية التى قام بها أبطال تلك الملاحم. ولقد خلف الإسكندر أباه وهو فى سن العشرين وحاولت بعض الممالك اليونانية الثورة عليه وعلى رأسها «طيبة» ولكنه زحف إليها بجنوده ودمرها تدميراً تامًا ولم يترك قائمًا فيها سوى بيت واحد هو منزل الشاعر الكبير بندار ومن هنا لقن اليونانيين درسين: الأول أن يخافوه ويرهبوه ويحترموه والثانى إجلال العلم واحترام العبقرية والعلماء. وأدرك اليونانيون - إلا أهل إسبارطة - أنه الزعيم والقائد فانصاع الكل له وعملوا تحت لوائه.

ولقد أراد الإسكندر أن ينتقم من الفرس لما قاموا به من اعتداءات مدمرة من قبل على بلاد اليونان، فقاد بنفسه حملة عسكرية حرر بها كل آسيا الصغرى من قوات الفرس وعندما وصلت قوات الإسكندر إلى العراق طلب داريوس آخر ملوك الفرس التسليم على أن يكون الفرات الحد الفاصل بينهما ومن ثم يكون كل ما هو غربى الفرات ملكاً للإسكندر ولم يكن الإسكندر قد بلغ الثالثة والعشرين من عمره. وكان الأسطول الفارسى لايزال فى البحر الأبيض يحمى فينيقيا ومصر، ولكن الإسكندر استطاع محاربته واستولى على الموانىء الشرقية

وسقطت مصر فى يده دون حرب تذكر. وبعد هذه الانتصارات العظيمة التى حققها الإسكندر على الفرس فى المستعمرات زحف على بلاد فارس نفسها وبدأ فى تدميرها وفيما كان داريوس يهرب من وجه الإسكندر طعنه أحد أفراد حاشيته بخنجر فمات سنة ٣٣٠ ق. م ومن الطريف أن الإسكندر قد اقتص من القتلة وأمر بإرسال جثة داريوس إلى أهله محفوفة بكل مظاهر التكريم. ولعبت هذه الانتصارات برأس الإسكندر فواصل زحفه إلى الهند التى استولى عليها بسهولة ثم عاد إلى بابل. ومن هنا وفى زمن قصير كون الإسكندر إمبراطورية عظيمة قامت أساسًا على انقاص الإمبراطورية الفارسية وورثتها.

وما يهمنا فى هذا المقام أن الإسكندر نقل إلى بلاد اليونان حضارات الهند وفارس والعراق، ونقل إلى تلك المناطق حضارات بلاد اليونان ومصر. واستولى على المكتبات والكتب التى وجدها فى تلك المناطق ولقد أسس فى المناطق الاستراتيجية من هذه الإمبراطورية مدنا تسمى كل منها «الإسكندرية» وأنشأ على حدود الهند مراكز للنفوذ والحضارة اليونانية. وعن طريق هذه المراكز دخلت الفنون والصناعات اليونانية إلى بلاد الشرق الأقصى ولاسيما الصين ويرى المؤرخون أن هذا الاختلاط بين الشرق والغرب وهذا التلاقح بين الحضارات المختلفة لم يحدث فى زمن من الأزمان كما حدث فى ظل غزوات الإسكندر الرائعة فى الشرق. لقد مكث الاسكندر فى آسيا اثنتى عشرة سنة كانت مليئة بالإنجازات العظيمة ومحاولات إرساء دعائم النظام وأسس الحكم اليونانى فى تلك المناطق المترامية الأطراف.

وكما هو الحال فى جميع الإمبراطوريات والبلاطات لابد أن تكون هناك مؤامرات ومنازعات سياسية وشخصية وتطلعات وطموحات؛ ولم يسلم الاسكندر من مؤامرات تحاك لاغتياله وخاصة بعد أن اغتر الإسكندر بما آل إليه ملكه وسلطانه وطلبه من كل من يقابله أن يسجد أمامه ويعفر جبينه فى التراب ويقبل قدميه. وكان الإسكندر يسرف كثيرا فى الشراب وبينما هو يتأهب لحملة على بلاد جزيرة العرب لإخضاعها هى الأخرى وضمها إلى

الإمبراطورية حتى يتفرغ بعد ذلك لفتح البلدان التى فى الجهة الغربية من المتوسط، بينما هو فى هذا الحال مرض مرضا شديداً وتوفى سنة ٣٢٣ ق.م وهو فى الثالثة والثلاثين من العمر وبعد ثلاثة عشر عامًا فى الحكم.

بعد وفاة الإسكندر كان ولابد أن ينشب الصراع والعراك الهائل بين القواد الأقوياء على اقتسام السلطة ولم يلبث الصراع أن تحول إلى معارك ضارية وانقسمت إمبراطورية الإسكندر بعد ذلك إلى ثلاثة أقسام: القسم الأوروبى؛ القسم الآسيوى؛ القسم الإفريقى ورأس كل قسم أحد القواد خلفاء الإسكندر فاستولى على مقدونيا واليونان «أنتجونس»؛ وكانت بلاد الفرس والشام من نصيب القائد «سلوقس»؛ وكانت مصر الأفريقية من نصيب «بطليموس» أدهى قواد الإسكندر.

وكان قسم مقدونيا واليونان (أى القسم الأوروبى) قسمًا صغيرا إذا ما قيس بقسم السلوقيين والقسم الإفريقى.. وكم حاولت اليونان الاستقلال عن مقدونيا وقامت الحروب والاضطرابات فى سبيل استعادة الحرية بعيداً عن مقدونيا. ولكن فى سنة ٢٨٠ ق.م كانت جماعات من البرابرة الكلتيين أو الغاليين قد زحفت على مقدونيا واليونان معًا واحتلوا أجزاء منها (جلاتيا) فترة قصيرة إلى أن تم طردهم.

وكان السلوقيون فى القسم الذى عرف بمملكة السلوقيين أهم خلفاء الإسكندر ولكنهم بسبب اتساع رقعة الأرض التى ورثوها كانوا أضعف فى السيطرة عليها. وواجه سلوقس داخل هذه المملكة فتنًا وحروبًا عديدة ولكنه بعدها دعم أركان مملكته وتطلع إلى غزو القسم الأوروبى نفسه ولكن المنية وافته قتلاً. وأخذت الولايات النائية تستقل وربما ساعد على ذلك نقل عاصمة السلوقيين من بابل إلى أنطاكية سورية التى أسسها سلوقس وسماها باسم أبيه (أنطيوخوس)، كما ساعد ذلك أيضا على تقلص النفوذ اليونانى فى الشرق وزيادته فى سوريا.

وفى مصر ظل بطليموس بالتدريج يتخذ مظاهر الأبهة الملكية ثم بعد ذلك

نصب نفسه فعلاً ملكا وأصبح مؤسس أسرة البطالمة أو البطالسة فى مصر وأخذ فى دعم سلطانه على البلاد وبنى أسطولاً كبيرًا لتكون له السيادة على بحر الروم (الأبيض المتوسط) وجعل من الإسكندرية التى أسسها الإسكندر عند الطرف الغربى من دلتا النيل عاصمة له ومقرًا ومقامًا ولذلك أصبحت أهم مرافىء البحر المتوسط مما جعل شرقى البحر بحرًا مصريًا على مدى قرن من الزمان، وقام البطالمة بالاستيلاء على فلسطين وجنوبى سوريا لتكون حاجزًا بينهم وبين السلوقيين. وتصرف البطالمة فى مصر تصرف الفراعنة فلم يعطوا الحكم المحلى إلا لثلاثة مدن فقط منها الإسكندرية أما سائر أنحاء البلاد فكانت تدار إدارة مركزية.

وفى القرن الثالث قبل الميلاد أخذت بلاد اليونان الأم فى التخلف التدريجى، وفقدت المدن اليونانية ازدهارها السياسى والاقتصادى والفكرى وانتقلت الزعامة إلى مدن: الإسكندرية، أنطاكية، أفسوس، رودس. ومالبثت ينابيع الثروة أن نضبت من مدائن اليونان وأصبحت أعجز من أن تدافع عن نفسها ولجأت إلى التحالفات والاتفاقيات للحفاظ على حريتها وحيادها.

روما

بينما كانت الحضارة اليونانية فى أوروبا آخذة فى الذبول كانت إيطاليا آخذة فى الصعود. وكانت إيطاليا فى العصور القديمة أهم بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط ويبلغ طولها ٩٦٠ كيلو مترا، كما تبلغ مساحتها أربعة أمثال مساحة بلاد اليونان.

لقد غرقت المدن الدول اليونانية فى العالم الهلينى الأكبر، ذلك العالم الذى لم تأت عليه سنة ٢٠٠ ق. م. إلا وكانت حروبه ومنازعاته الداخلية قد عرضته للوقوع تحت سيطرة قوة حربية جديدة عظيمة جاءته من غربى البحر المتوسط ونقصد بها قوة الرومان التى أخذت فى التعاظم شيئا فشيئًا حتى ضمت الشرق والغرب معًا وألفت منهما إمبراطورية شاسعة الأكتاف مترامية الأطراف، دخلت تحت سيطرتها بلدان البحر الأبيض المتوسط جميعًا.

لقد كانت إيطاليا منطقة جذب للهجرات بسبب سهولها الزراعية الكبيرة ومراعيها الخصبة للأنعام والمواشى والتى لا تضاهيها سهول ومراعى اليونان رحابة ونضارة. لقد جذبت أرض إيطاليا شعوب أوروبا الشمالية شديدة البرودة والزمهرير فبدأوا هجراتهم إليها منذ نحو مطلع القرن الثانى قبل الميلاد؛ واحتلوا الجزء الشمالى من إيطاليا وحيث كانت القبائل الإيطالية المعروفة باسم اللاتين تعيش فى عزلة عن بعضها البعض فى مناطق متفرقة من شبه الجزيرة الإيطالية. وكانت المساحة التى تعيش عليها تصل بالكاد إلى ٦٥ كم × ٥٠كم فى منتصف الساحل الغربى من إيطاليا وقد أطلق على تلك المساحة اسم «لاتيوم».

وكانت مدينة روما قد أسست من مجموعة من القرى فى القسم الجنوبى من وسط نهر التيبر حوالى سنة ١٠٠٠ ق. م (وقيل ٧٥٣ ق.م). وكانت فى أول عهدها مملكة ٧٥٣ ـ ٥٠٩ ق.م ثم غدت جمهورية ٥٠٩ ق. م ـ ٣١ ق. م، اشتد فيها الصراع بين الأشراف والعامة حتى شغل العامة سائر الوظائف فى القرن الثالث قبل الميلاد. ولما اشتد ساعد المدينة الدولة ضمت إليها قسمًا كبيراً من أقاليم إيطاليا ٤٩٦ ـ ٢٦٤ ق.م، وأخذت فى التوسع الخارجى كما سنرى تفصيلاً فيما بعد، ودمرت قرطاجنة سنة ١٤٦ ق.م ثم احتلت بلاد اليونان ومقدونيا وآسيا الصغرى وبلاد الشام وحولتها إلى أقاليم رومية إلا أن الحروب الأهلية والمشاكل الاجتماعية زعزعت أركان النظام الديمقراطى (حروب الحلفاء، حرب العبيد) وأدت إلى المثلثات العسكرية وبعد أن انتصر أوكتافيوس على أنطونيوس فى معركة اكسيوم ٣١ ق.م، أعلن قيام الإمبراطورية سنة ٢٣ ق.م. واتخذ لقب أغسطس وازدهرت الإمبراطورية ردحا من الزمن ثم توالت عليها السلالات المختلفة من الحكام (البوليانية، الغلافية، الأنطونية، الأباطرة السوريون ثم الإيليريون) ومع سلالة الإيليريون بدأت روما تفقد مركزها وأهميتها كعاصمة. ولم تلبث الإمبراطورية الرومانية أن قسمت إلى الإمبراطورية الرومانية الشرقية والإمبراطورية الرومانية الغربية ٣٩٥م. والإمبراطورية الشرقية هى التى

عرفت باسم بيزنطة أو الإمبراطورية البيزنطية. وفى القرن الخامس أخذت هجمات البربر القادمين من شمالى أوروبا فى التزايد حتى سقطت الإمبراطورية الغربية تحت جحافلهم سنة ٤٧٦م ومع سقوطها سقطت العصور القديمة وسقطت أوروبا فى ظلام العصور الوسطى مع القرن السادس الميلادى.

لقد شهد غربى البحر المتوسط فى الألف الأولى قبل الميلاد ثلاث قوى متصارعة كانت تتصارع على السيطرة على المنطقة وتتنازع النفوذ فيها. هذه القوى كانت اللاتين أو الرومان نسبة إلى روما القوية التى سيطرت على كل إيطاليا فيما بعد؛ والإتروسكيين؛ والقرطاجنيين.

ونحن لا نعرف على وجه اليقين أصل الإتروسكيين وإن كان من المرجح أنهم قدموا من آسيا الصغرى وربما كانوا من القبائل الهند وأوروبية التى نزحت من آسيا الغربية للبحث عن وطن جديد فاستولوا على الساحل الغربى لإيطاليا من خليج نابولى وحتى جنوا وتوغلوا فى الداخل حتى حدود جبال الآبنين ووادى نهر البو ومن هنا سيطروا على غربى إيطاليا وكانوا قوة لا يستهان بها. وقد ازدادت قوتهم وخطرهم مع مر السنين حتى أنهم عبروا نهر التيبر واستولوا على منطقة روما ومجموعة القرى القائمة على التلال حولها حوالى سنة ٧٥٠ ق.م وهكذا أصبحت روما مملكة تتألف من روما وضواحيها وقراها وعليها ملك إتروسكى كسائر المدن الممالك الإتروسكية الأخرى التى امتدت من كبوا فى الشمال إلى جنوا فى الجنوب؛ وظلت روما قرنين على الأقل تحت سيطرة هؤلاء الإتروسكيين؛ وإن ظل معظم السكان - سكان لاتيوم - من اللاتين ويتكلمون اللغة اللاتينية. ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام أن الإتروسكيين قد أخذوا الكتابة من اليونان ومن ثم كتبوا اللغة الإتروسكية بالخط اليونانى المشتق أصلاً من الخط الفينيقى السينائى. وقد قام اللاتين بدورهم باشتقاق الخط اللاتينى من الخط الإتروسكى ومانزال حتى الآن عاجزين عن فهم اللغة الإتروسكية وإن كنا نجيد قراءتها والتلفظ بها.

ولقد أدخل الإتروسكيون إلى روما تحسينات وإصلاحات عديدة، ولكنهم كانوا جبابرة طغاة مما حمل اللاتين على الثورة ضدهم وأدى فى النهاية إلى طردهم من روما نحو سنة ٥٠٠ ق. م. وإن كان الحكم الإتروسكى لروما قد انتهى رسميا فى ذلك الوقت إلا أن الحضارة الإتروسكية ظلت مؤثرة واضحة المعالم طيلة قرنين ونصف من الزمان.

لم تقع روما تحت تأثير الحضارة الإتروسكية وحدها وإنما تأثرت بالضرورة كذلك بالحضارة اليونانية التى كانت صقلية وجنوبى إيطاليا منفذاً لها. لقد تعلم الرومان من اليونان صناعة السفن وتعلموا منهم التجارة وسك النقود؛ وأخذوا عن اليونان ديانتهم وآلهتهم وأخذوا عنهم كما أخذوا عن الإتروسكيين فن الإدارة والسياسة والتنظيم.

وبعد طرد الإتروسكيين من روما سنة ٥٠٠ ق. م تولى حكم روما نفر من النبلاء الذين توفروا على طردهم. وتم الاتفاق على أن ينتخب اثنان منهم لإدارة شئون الحكومة ويدعى الواحد منهما «القنصل» ويكونان متساويين فى الرتبة والمقام والقدر وتدوم فترة حكمهما سنة كاملة يخليان بعدها المنصب لاثنين آخرين. وكانت انتخاب القنصلين يتم عن طريق مجلس يسيطر عليه النبلاء سيطرة تامة. وقد عرف نظام الحكم هذا بالحكم الجمهورى؛ وعرفت الحكومة بالجمهورية وقد ظلت هذه الصفة لصيقة بروما ردحًا طويلاً من الزمن. وعرف المجلس الذى ينتخب القناصل باسم مجلس الشيوخ (سناتوس).

وبعد تأسيس الجمهورية بنصف قرن وضعت القوانين وسنت التشريعات وحفرت على اثنى عشر لوحا من البرونز سنة ٤٥٠ ق.م وقد استتبع هذه التشريعات والقوانين إدخال إصلاحات جذرية على مجلس الشيوخ بحيث أصبح المجلس يتكون من رجال روما الثلاثمائة الذين يديرون مرافق الدولة المختلفة.

وكما أسلفت لم تكن الجمهورية الرومانية فى بادىء الأمر سوى أمة صغيرة جدا لا يأبه لها وتتألف أساسًا من مدينة روما والقرى والحقول المحيطة بها فى

دائرة بضعة أميال. وكان الإتروسكيون يقيمون على جانب من نهر التيبر وعلى الجانب الآخر فى مواجهتهم يقيم الرومان تحيط بهم قبائل اللاتين التى كانت قد اتحدت وتحالفت فيما يعرف بالحلف اللاتينى. وفى نحو سنة ٤٠٠ ق. م بدأ الرومان فى التوسع من جميع الاتجاهات وضم أراضٍ جديدة إلى روما إلا أن الغاليين البرابرة بدأوا يزحفون من الشمال على إيطاليا واكتسحوا بلاد الإتروسكيين وحطموا الجيش الرومانى واقتحموا روما سنة ٣٨٢ ق.م ودمروا كل ما فيها وأخذوا فدية كبيرة من الذهب ثم غادروا روما وارتدوا إلى الشمال، ولكنهم ظلوا خطراً كبيراً على الرومان.

ولم تلبث جراح روما أن التأمت حتى بدأت القبائل اللاتينية تدخل فى حرب معها استمرت لمدة عامين خرجت منها روما منتصرة وعقدت لها ألوية الزعامة على القبائل اللاتينية من جهة ثم على إيطاليا كلها بعد ذلك من جهة ثانية. وتعتبر سنة ٣٣٨ ق.م التى وقع فيها هذا الحدث علامة فارقة فى تاريخ روما وأيضا فى تاريخ بلاد اليونان لأنها نفس السنة التى اكتسح فيها فيلبس المقدونى (والد الإسكندر الأكبر) الممالك اليونانية. ووجد اليونان واللاتين أنفسهم مغلوبين مقهورين تحت حكم أجنبى وقد حاول اللاتين تجميع صفوفهم مرة أخرى تحت رئاسة قبائل «السمنيين» وبالتحالف مع الإتروسكيين والغاليين ولكنهم جميعا هزموا فى معركة سنتنوم سنة ٢٩٥ ق.م وأصبحت روما القوة العظمى فى إيطاليا كلها.

قرطاجنة

والقوة الثالثة التى ظهرت فى غربى البحر المتوسط فى ذلك الوقت هى القرطاجنيون. والقرطاجنيون هم فى الأصل فينيقيون وتجار مهرة؛ أسسوا فى الجزء المعروف الآن بمدينة تونس بشمال إفريقيا مملكة عرفت بقرطاجنة على الرأس الناتىء فى البحر المتوسط تجاه صقلية. وكان هذا الموقع ممتازاً لا يبارى من الناحية التجارية فامتدت تجارتها بالتدريج حتى القيروان شرقًا وشواطىء الأطلنطى غربًا

حتى سيطرت على جنوبى أسبانيا وبوغاز البحر الأبيض (جبل طارق الآن) وانتشرت مستعمرات قرطاجنة على سواحل أسبانيا وإفريقيا سواء تلك المطلة على البحر المتوسط أو على المحيط الأطلنطى وتوغلوا جنوباً حتى وصلوا إلى سواحل غينيا بفضل البحار الفينيقى العظيم حنون من روودان. وفى نفس الوقت سيطر القرطاجنيون على جزء كبير من صقلية وأنشأوا لهم مستعمرات فى كورسيكا وسردينيا وفى معظم الجزر المنتشرة بين سردينيا وأسبانيا. وكانت لهم سفن حربية تدافع عن سفنهم التجارية بل وتسد بوغاز جبل طارق وموانىء الجزر فى وجه السفن القادمة من الممالك الأخرى.

وقد اعتمد القرطاجنيون فى تكوين قوتهم الحربية على استئجار الجنود المرتزقة حيث لم تسمح لهم الظروف بتكوين جيش وطنى على نحو ما فعلت اليونان أو روما. وكانت تلك نقطة ضعف أساسية فى حكومة قرطاجنة وقد اتبعت قرطاجنة فى نظام الحكم الخطوط العامة للحكم فى روما حيث كان يرأس الحكومة حاكمان منتخبان يسمى الواحد منهما (القاضى). وكان مجلس الشيوخ يقبض على زمام السلطة فى البلاد. وقد غلب التجار الأشراف على هذا المجلس، ويمكننا أن نصف حكومة قرطاجنة بأنها كانت حكومة ارستقراطية غنية. ومهما يكن من أمر هذه الحكومة فقد جعلت من قرطاجنة دولة عظيمة أعظم من أية مملكة يونانية بل وأعظم من روما نفسها فى ذلك الوقت.

والحقيقة أن حضارة قرطاجنة كانت حضارة شرقية أساسًا ولم تتأثر بالحضارة اليونانية إلا لمامًا. وكان تجار قرطاجنة يتعاملون أساسًا بسبائك المعادن الكريمة (الذهب والفضة أساسًا). ولما اتسع نطاق تجارتهم أصدروا نقود الجلد - أقدم سلف للنقد الورقى - وكانت هذه النقود الجلدية تختم بخاتم الدولة ضمانا لقيمتها المالية. وقد برز من بين القرطاجنيين بحارة عظماء وكتاب من أمثال حنون سالف الذكر، ماجو أحد رجال السياسة الذى كتب كتابا فى الزراعة أمر مجلس الشيوخ الرومانى بترجمته إلى اللاتينية.

وكان القرطاجنيون يميلون إلى الفخامة والأبهة. فكانت مدينتهم جميلة واسعة جدا تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة روما. وكانت البيوت فخمة ضخمة تحيط بها الحدائق. وكانت هناك حدائق عامة وساحات وأسواق. وكان تحدق بالمدينة أسوار عالية ضخمة وحصون هائلة تجعل مهاجمتها والدخول إليها عنوة أمرًا مستحيلاً. وكان حول المدينة مزارع تمد المدينة باحتياجاتها.

وكان من الطبيعى أن يحدث احتكاك يصل إلى حد الحرب بين قوتين ناميتين وخاصة بسبب الأمور التجارية والاقتصادية. ففى خلال الحرب اللاتينية كان الرومان يرغبون فى بسط تجارتهم فقام مجلس الشيوخ الرومانى بعقد معاهدة مع قرطاجنة سنة ٣٣٨ق. م تقضى برسم حدود فى البحر لا تتخطاها سفن الجانبين؛ ثم وقعت معاهدة ثانية سنة ٣٠٦ ق.م تم الاتفاق فيها على ألا تدخل سفن قرطاجنة إلى مرافىء إيطاليا؛ وألا تدخل سفن روما مرافىء صقلية. ومن جهة أخرى كان استيلاء الرومان على المدن اليونانية فى إيطاليا قد عزل يونانيى صقلية تحت رحمة قوات قرطاجنة فيها. وقد استمر القرطاجنيون فى التقدم ناحية الشرق حتى أصبحت صقلية كلها لهم. وبدا للعيان أن قرطاجنة قد أصبحت فى مركز ربما تمكنت فيه من قطع خطوط الاتصال بين روما وموانيها على الساحل الإيطالى الإدرياتيكى، ذلك أن الإيطاليين كى يبلغوا تلك الموانىء كان عليهم أن يمروا فى بوغاز مسانا بين إيطاليا وصقلية.

وبعد خروج الإتروسكيين من الصورة، أصبحت هناك ثلاث قوى عظمى تسيطر على البحر المتوسط: القوة اليونانية الهلينية فى شرقى البحر؛ والقوة الرومانية والقوة القرطاجنية فى غربى البحر. وكانت كل قوة تتربص بالأخرى وتتوجس منها خيفة وتسعى إلى القضاء عليها.

كانت روما تستطيع أن تحشد جيشًا قوامه ثلاثمائة ألف مقاتل بل ويمكنها مضاعفته إذا استدعى الأمر ذلك، بيد أن الرومان لم تكن لديهم قوة بحرية. وكان العكس صحيحًا لدى القرطاجنيين حيث لم يكن لهم جيش وطنى بل اعتمدوا أساسًا على المرتزقة وكانت لهم قوة بحرية هائلة.

وكان لا مناص من وقوع الحرب بين الطرفين، فبدأت سنة ٢٦٤ ق.م بعد أن أعد الرومان قوة بحرية لأول مرة فى تاريخهم بلغت نحو مائة وعشرين سفينة ولكن هذا الأسطول خرب عن آخره وأعيد بناؤه سنة ٢٤٢ ق.م، وبلغ عدد سفنه هذه المرة مائتى سفينة حربية هزموا بها القرطاجنيين فى صقلية وأخرجوهم منها سنة ٢٤١ ق.م وفرضوا عليهم غرامة حربية ضخمة. ومن هنا أنتهت الحرب الأولى بين روما وقرطاجنة تلك الحرب التى دامت نحو ثلاث وعشرين سنة وكانت فى صالح روما من جوانب كثيرة.

ورغم عقد معاهدة الصلح بين الطرفين إلا أن روما صرفت همتها إلى التوسع خارج إيطاليا على حساب قرطاجنة، فقامت بالاستيلاء على بعض الجزر التابعة لقرطاجنة وكسرت الغاليين كسرة لا قيام لهم بعدها. وقد ظهر بين القرطاجنيين قائد بطل صغير السن هو «هانيبال» (هانيبعل) إن «هملقار» الذى توسع فى أسبانيا توسعا كبيراً وأراد منازلة الرومان من هناك وزحف بجيش قوامه أربعون ألف مقاتل على إيطاليا من جبال الألب ودخل الأرض الإيطالية وكان يتمثل فى ذلك خطى الاسكندر الأكبر الذى لم يكن يفصل بينهما إلا نحو قرن من الزمان. وفى سنة ٢١٧ ق.م اجتاز سلسلة القلاع الرومانية التى تحمى دروب جبال الأبنين وحقق انتصارات رائعة، وأصبح قريبًا من روما. وفى سنة ٢١٦ ق.م عبأ الرومان جيشًا جديداً قوامه سبعون ألف جندى. والتقى الجيشان فى الجنوب عند كنى أو كان وهزم الرومان هزيمة كبرى ودمر معظم القوات الرومانية ولم يبلغ من العمر ثلاثين عامًا. وقد أراد «هانيبال» أن يزحف على روما نفسها ولذلك طلب المدد من أخيه «هسدروبال» فى أسبانيا إلا أن ذلك المدد أبيد عن آخره سنة ٢٠٧ق.م. ودارت الدائرة على القرطاجنيين فطردوا من أسبانيا، ونقلت المعارك بعد ذلك إلى جنوبى إيطاليا ثم نقلت إلى قرطاجنة نفسها فى إفريقيا مما استدعى رحيل هانيبال إلى إفريقيا وفى سنة ٢٠٣ ق.م نشبت المعركة الفاصلة فى زاما داخل الأراضى القرطاجنية نفسها حيث انتصر الرومان انتصاراً حاسمًا وقضى

على قوة قرطاجنة وكان عليها أن تؤدى الجزية للرومان وتتخلى عن سفنها لهم. ومن ثم فقدت استقلالها وغدت تابعة لروما. ونفى هانيبال إلى بلاد الشرق وهو فى الخمسين من عمره، وبعد خمسين سنة أى فى سنة ١٤٦ ق.م لم يعدم الرومان ذريعة لدك قرطاجنة دكا وضمها نهائيا إلى روما لتصبح ولاية إفريقيا (الرومانية) وأصبح عالم غربى البحر المتوسط تحت سيادة أمة واحدة عظيمة هى الأمة الرومانية والتفتت روما إلى شرقى البحر المتوسط وشرقه أى إلى دول خلفاء الإسكندر التى كانت قد بلغت إلى أقصى درجات الحضارة والرقى فى تلك الفترة.

بينما كان خلفاء الإسكندر يتناحرون فيما بينهم كانت روما تزداد كما رأينا قوة ومنعة مع مطلع القرن الثانى قبل الميلاد. وكان من الطبيعى أن يتطلع الرومان إلى التوسع شرقًا فزحفوا على مقدونيا بجيش كبير ولما نشبت معركة «سينوسفلى» أى رؤوس الكلاب سنة ١٩٧ ق.م هزمت مقدونيا هزيمة كبرى وسقطت معها اليونان الأم وأصبحت خاضعة لروما وفى عداد الولايات التابعة لها. وأصبح الطريق ممهدا أمام روما للزحف على الجزء الآسيوى من الإمبراطورية اليونانية وأعنى بها مملكة السلوقيين؛ ولم يلبث السلوقيون أن استسلموا سنة ١٩٠ ق.م واستكمل الرومان فتحهم بلدان آسيا من جهة الشرق. وهكذا فإنه فى غضون عقد واحد (٢٠٠ ـ ١٩٠ ق.م) سقط فى يد الرومان إثنتان من ممالك إمبراطورية الاسكندر الثلاث أما المملكة الثالثة ونعنى بها مصر فقد دخلت إلى الحكم الرومانى طواعية دون حرب سنة ١٦٨ ق.م. وهكذا فإنه فى خلال قرن وربع من بدء التوسع الرومانى سنة ٢٤٦ ق.م أصبح لروما السيادة المطلقة على عالم البحر المتوسط وورثت إمبراطورية الإسكندر الأكبر بممالكها الثلاث جميعا. وغدت تلك القرية الحقيرة على نهر التيبر أعظم قوة على الإطلاق فى العالم القديم منذ منتصف القرن الثانى قبل الميلاد.

ولم يكن الرومان فى حقيقة الأمر أصحاب حضارة أصيلة وإنما كانوا أصحاب فضيلة، هذه الفضيلة تمثلت فى حفاظهم على حضارة اليونان ومحاولة استيعابها

وعدم اللجوء إلى تخريبها كما يفعل المنتصر عادة. كذلك حاول الرومان تطوير تلك الحضارة والإضافة إليها قدر الطاقة وإن لم يضيفوا الشيء الكثير.

لقد قسم الرومان أملاكهم إلى ولايات وجعلوا على رأس كل منها والياً رومانياً مطلق السلطة مثل ملوك الشرق وكان عليه أن يجبى الضرائب اللازمة لتمويل الجيش وإدارة شئون الدولة. وكان فترة الولاية للوالى سنة واحدة ومن ثم كان حرص الوالى شديداً على الإثراء الفاحش السريع. وقد أدى ذلك إلى ثراء فاحش للحكومة الرومانية والأفراد على السواء.

ولقد راجت التجارة رواجًا عظيما وازدهر الاقتصاد وقد استتبع ذلك بالضرورة ظهور مظاهر الفخامة والأبهة فى المساكن والبنايات وقد استبدل الرومانى الجديد البيوت الرثة ببيوت أنيقة تبنى على أسس هندسية راقية متأثرة فى ذلك بالطرز المعمارية لدى الإغريق. وكان بيت الرومانى عادة ما يضم رواقا معمداً تنفتح منه أبواب تؤدى إلى غرف النوم والطعام والمكتبة والاستراحة وكان فى مؤخرة البيت يأتى المطبخ. وكان البيت غالبا ما يزين بالتماثيل والتصاوير وثمار الفنون. ومن المدهش حقيقة أن يحرص أثرياء الرومان على وجود مكتبة فى بيوتهم حتى ولو لم يكونوا بقارئين.

وقد أدخل الرومان إلى بيوتهم كثيراً من أساليب الراحة التى صادفوها فى منازل الهلينيين كأنابيب حمل المياه والصنابير والحمامات ووسائل التدفئة والتهوية. وكانوا يستخدمون العبيد كخدم وطهاة فى البيوت وخاصة هؤلاء الأسرى اليونانيين.

واقتبس الرومان من اليونانيين المسرح وطوروه تطويراً عظيمًا؛ كما طوروا جوقات الموسيقى وسائر وسائل الترفيه عندهم.

ولم يكن من عادة الرومان فى بداية أمرهم أن يهتموا بالتعليم ولم تكن عندهم مدارس، وأقصى ما هناك أن يقوم الوالد على تعليم أولاده بنفسه إذا كان هو متعلمًا. ولم تنشأ المدارس فى بلاد الرومان إلا بعد التوسع فى الإمبراطورية

الرومانية والتأثر المباشر باليونان والمصريين فى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد، حين قام العبيد اليونانيون المحررون بافتتاح المدارس فى روما لتعليم الصغار ودأب أولياء الأمور على إرسال أولادهم إليها بل والأطرف من ذلك أنه كان فى كثير من البيوتات الرومانية عبيد مثقفون متعلمون كانوا يتوفرون على تعليم أرباب تلك البيوت؛ ولم يكن هؤلاء الرومان يستنكفون أن يتعلموا من عبيدهم.

وبطبيعة الحال لم يكن عند الرومان فى بداية أمرهم أدب ولا فن ولا علم مكتوب وظل هذا هو حالهم إلى أن توسعت الإمبراطورية واحتكوا احتكاكًا مباشرًا بالآداب والعلوم والفنون اليونانية خاصة. وتذكر المصادر أن أول صلة الرومان بالأدب كانت فى نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الثانى قبل الميلاد حيث كان هناك عبد معتوق اسمه «أندرونيكس» رأى شغف الرومان بالآداب اليونانية فتوفر على ترجمة الأوديسة إلى اللاتينية وقد غدت هذه الترجمة كتاباً مدرسياً لأولاد الرومان تتداوله الأجيال كما قام على ترجمة التراجيديات اليونانية وكذلك الكوميديات. وهذا هو أول ذكر لأعمال أدبية لدى الرومان وأول ذكر لأديب أو مشتغل بالأدب لديهم. ويذكر بعد أندرونيكس رجل فذ هو الآخر من بلاد اليونان أخذ رهينة إلى روما خلال الحروب التى قامت بين البلدين، هذا الرجل هو «بوليبيوس» الذى أثرى الفكر الرومانى بما كتبه من كتب التواريخ.

وبعد أن استوعب الرومان الفكر اليونانى وامتزجوا أكثر مع الطبقات الراقية من اليونان حتى ولو كانوا عبيدًا ورهائن عندهم، كان لابد للرومان وأن يتمثلوا الفكر اليونانى وينسجوا على منواله فنبغ فى إيطاليا العديد من الشعراء والخطباء والمؤرخين والقصاصين وكتّاب المسرح. وظهر فى روما إنتاج فكرى يعتد به وانتشرت دور الوراقة فيها. وكانت ثمار ذلك انتشار المكتبات الخاصة والمكتبات العامة لدرجة أنه كان فى روما وحدها فى أيام مجد الإمبراطورية ثمان وعشرون مكتبة عامة. وقد أسلفت أن الأثرياء كانوا يحرصون فى بيوتهم على تخصيص إحدى الغرف لتكون مكتبة حتى ولو لم يكن رب البيت بقارىء. ولم يكن يسوغ لأحد أن ينتمى إلى الطبقة الراقية مالم تكن لديه

مكتبة مليئة بـالكتب اللاتينية واليونانية وكان تأثير اليونان واضحًا فى الحياة الرومانية. ويظهر ذلك فـى العبارة الشهيرة «لقد ـ غزت أثينا فاتحها البربرى».

لقد سيطر على روما نظام الإقطاع والعبيد بأبشع صوره ومظاهره وقد انتشرت تجارة العبيد والنخاسة وذلك بسبب تناقص أعداد أسرى الحرب الذين كانوا يقومون مقام العبيد. وكان هذا النظام سببًا من أسباب القلاقل والاضطرابات التى كانت تظهر من حين لآخر فى الدولة الرومانية. وقد صادفت الدولة الرومانية بعد التوسع العظيم ثلاث مشكلات طاحنة فى وقت واحد أولاها: الصراع الداخلى الفتاك بين الأغنياء والفقراء، بين الأحرار والعبيد وثانيتها: ضرورة تنظيم حكومة رومانية قوية تصلح لإدارة الدولة المترامية الجديدة وحيث لم يعد النظام القديم صالحًا وثالثتها . هجوم برابرة الشمال على الأطراف الشمالية لإيطاليا.

وقد نجح الرومان فى تنظيم حكومتهم وإدارة شئون البلاد وصد هجمات برابرة الشمال مما حافظ على تماسك الإمبراطورية خمسة قرون تالية وعلى التوسع الكبير.

ولقد رأينا فيما سبق كيف بدأ الحكم فى روما جمهورياً عن طريق الانتخابات، وكيف أدى التوسع إلى تحولات اجتماعية كبيرة كان أخطرها انقسام المجتمع إلى أغنياء وفقراء، سادة وعبيد. هذه التحولات الاجتماعية انطوت بالضرورة على بذرة الشقاق والصراع بين الطبقات، تلك البذرة التى أخذت تنمو وتترعرع طوال قرن كامل من القلاقل والثورات والحرب الأهلية (١٣٣ ق.م ـ ٣٠ ق.م). وقد أدت هذه القلاقل بالضرورة إلى ظهور سلطة الفرد والدكتاتورية والتى بدأها «ماريوس» و«سوللا» ثم حدث الانقلاب والتحول من النظام الجمهورى إلى النظام الإمبراطورى الفردى. وبدأ ذلك بانتخاب بومبيوس كقنصل وحيد سنة ٧٠ ق.م. وكان بومبيوس أحد ضباط سوللا وهو الذى حاول إقرار النظام وإخماد الفتن.

وفى تلك الأثناء ظهر «يوليوس قيصر» (١٠١ ـ ٤٤ ق.م) وقد ألف المثلث الأول مع «بومبيوس» و«كراسوس» سنة ٦٠ ق.م، وقد انتخب قنصلاً سنة ٥٩، ٥٦ق.م كما قام بفتح بلاد الغاليين ٥٨ ـ ٥١ ق.م ولما عاد إلى روما تخلص من بومبيوس بعد معركة فرساليا سنة ٤٨ ق.م وفرض حكم الفرد على الدولة وتحولت إلى إمبراطورية. ومن المعروف أنه عشق كليوباترة وأنجب منها ولداً وألف كتاب تاريخ الغاليين والحرب الأهلية. وكان الرجل داهية سياسية وجندياً مقاتلاً من الطراز الأول. ولأن له صلة بحريق مكتبة الإسكندرية كما سنرى ذلك تفصيلا فيما بعد فإن السياق يفرض علينا هنا أن نذكر قصته فى الإسكندرية. ذلك أنه بعد انكسار بومبيوس فى معركة فرساليا سنة ٤٨ ق.م والتى نشبت بينه وبين يوليوس قيصر، هرب بومبيوس إلى مصر حيث قتل قتلا شنيعا وقد لحق به قيصر إلى مصر فوجد على عرش المملكة كليوباترة الجميلة ـ السابعة بهذا الاسم ـ وخاتمة البطالمة فلما شاهد جمالها الفتان ووجد أن فى صداقتها منافع سياسية وكانت هى الأخرى تريد الاحتفاظ بالعرش، هام بها هياماً شديداً وقضى فى قصرها بالإسكندرية تسعة أشهر (أكتوبر ٤٨ ق.م ـ يونية ٤٧ ق.م) ولم يكن قيصر فى حياته كلها ضعيفا إلا أمام كليوباترة. وخلال إقامة قيصر بالإسكندرية حدثت اضطرابات ضخمة ومظاهرات عنيفة ضده وهاجمه العامة ولم يكن لديه ما يكفى من الجنود لحمايته والقضاء على تلك الاضطرابات فبقى حبيس القصر. ولما كان يخشى أن يسدوا عليه سبيل الهرب عن طريق الميناء اضطر إلى اضرام النار بسفن المصريين فى الميناء فاحترقت السفن ويقال أن النار أدركت مكتبة الإسكندرية العظيمة فى تلك المنطقة فاحترق جانب كبير منها ـ ولنا عودة إلى هذا الموضوع فيما بعد ـ وبقى قيصر محصوراً فى القصر بالإسكندرية حتى أتاه المدد من سوريا فخرج من القصر وبَددَّ شمل المصريين المتظاهرين، وأقرَّ كليوباترة على العرش ـ بعد أن حملت منه ـ على أن تتزوج أخاها الأصغر حيث كان أخوها الأكبر قد هلك.

وبعد خروجه من مصر سار إلى آسيا الصغرى لمحاربة أعدائه فيها وبعث

بتقريره الحربى المشهور الذى قال فيه ثلاث كلمات فقط هى «أتيت، رأيت، انتصرت» وبعد ذلك سيطر على الولاية الإفريقية فى قرطاجنة وما وراءها ثم فى أسبانيا ودانت له الإمبراطورية سنة ٤٥ ق.م أى بعد سيطرته على روما بأربع سنوات فقط. وفى الفترة القصيرة التى عاشها فى قمة السلطة أدخل الكثير من الإصلاحات الأدبية والمادية. ولأن قيصر بدا للبعض دكتاتورًا قوض أركان الجمهورية ونحا بالبلاد نحو الإمبراطورية فقد قام نفر منهم باغتياله فى الخامس عشر من شهر مارس سنة ٤٤ ق.م وقد جر اغتيال قيصر الإمبراطورية كلها إلى شراك الحروب الأهلية.

وقام ابن أخت قيصر (أوكتافيوس) بالاستيلاء على السلطة، بعد أن قتل أعداء خاله فى معركة هائلة نشبت فى فيلبى سنة ٤٢ ق.م ودانت للشاب «أوكتافيوس» إيطاليا كلها. وكان مارك أنطونيو ـ أحد رجالات قيصر المشاهير ـ قد هام حبا هو الآخر بكليوباترة ولذلك أقام بين الإسكندرية وأنطاكية وطلق زوجته «أوكتافيا». ولم يعجب هذا السلوك أوكتافيوس فزحف على مصر واستولى عليها دون مقاومة تذكر وكان من نتيجة ذلك أن انتحر أنطونيو وانتحرت كليوباترة وكانت آخر البطالمة الذين حكموا مصر طيلة ثلاثة قرون عدداً منذ موت الإسكندر وتحولت مصر على أثر ذلك إلى ولاية رومانية سنة ٣٠ ق.م.

وكانت تلك السنة وفوز «أوكتافيوس» على جميع مناوئيه علامة على انتصار حكم الفرد، وبداية السلم والسلام فى ربوع الإمبراطورية ذلك السلم الذى دام قرنين من الزمان لم يتزعزع خلالهما إلا مرة واحدة.

لقد أسفرت تجربة «يوليوس قيصر» وابن أخته «أوكتافيوس» فى حكم الإمبراطورية عن شعور عام بفشل النظام الجمهورى لإمبراطورية مترامية، وضرورة اللجوء إلى حكم فردى متسلط دكتاتور. ومن هذا المنطلق قام مجلس الشيوخ بمنح «أوكتافيوس» لقب «أوغسطوس» الموقر وهذا اللقب معناه باللاتينية الأول والمقدم على الجميع كما منح لقبا آخر كان سابقًا يمنح للقائد وهو لقب إمبراطور.

وكانت الإمبراطورية التى بسطت روما سلطانها عليها تحت زعامة أوغسطوس تتألف أساساً مما سمى عالم البحر المتوسط أى تلك البلدان التى تحيط به من كل جوانبه. وكان أول ما فعله «أوغسطوس» تأمين الحدود الشرقية والشمالية على وجه الخصوص، كما قام بتنظيم الجيش وتعظيم كفاءته وقد قدر عدد أفراده آنذاك بنحو مائتين وخمسة وعشرين ألف مقاتل. ومن الطريف أن يقوم أوغسطوس بإعداد ميزانيات للإمبراطورية وإحصاءات بما يجب جبايته وما يجب إنفاقه. كما قام بإحصاء السكان والأملاك. ومن هذا المنطلق استطاع أن يحدد بالضبط مقدار الضريبة التى يجب على كل ولاية أن تدفعها لخزينة الدولة وكان جانب من تلك الضرائب يعاد إلى الولاية للإنفاق منه على القيام بالأشغال العامة كتمهيد الطرق وتشييد الكبارى والجسور وبناء القناطر وتشييد المبانى العامة والحكومة وقد تأثر فى هذه الإنجازات تأثراً كبيراً ومباشراً بمصر وما حققه المصريون القدماء. وقد تحقق للإمبراطورية فى عهده السلم و الاستقرار والرخاء. ولعل أهم ما سعى إليه أوغسطوس هو إعادة القيم والأخلاق والفضائل التى كان عليها الرومان قبل أن يفسدها الثراء والسؤدد. وسن الرجل قوانين للأحوال الشخصية وخاصة الزواج والطلاق وقضى على الآلهة التى وردت إليهم من اليونان واجتث آلهة اليونان التى كانت قد انتشرت فى إيطاليا وطالب بالعودة إلى ديانة الآباء والأجداد الرومان.

لقد أراد «أوغسطوس» لإيطاليا أن تتبوأ مكانة سامية متميزة عن سائر ولايات الإمبراطورية وأن يحتل الرومان بين تلك الشعوب مكان الصدارة، فشرع فى إقامة المبانى الفخمة والقصور الفارهة وبنى للإله أبوللون هيكلاً جديداً فوق تل بلاتين إلى جانب قصره وبنى مكتبة عامة بالقرب من باب القصر. وقد نهج الرومان فى هندستهم البنائية نهج اليونانيين والمصريين وخاصة مبانى الإسكندرية التى لم تكن تضارعها مدينة فى العالم القديم كله.

وقد نبغ فى ظل «أوغسطوس» كُتَّاب ومؤلفون من بينهم «سترابو» اليونانى الذى اتخذ روما مقراً ومقامًا. كذلك نبغ شيشرون الرومانى والذى يقال إنه

أعظم من أنجبت روما على الإطلاق علمًا وأدبًا وخلقًا والذى أخفق فى السياسة فتحول إلى الأدب وذاع صيته فى الخطابة ومقالات السلوك والصداقة والشيخوخة وما إليها وقد جعل من اللاتينية لغة جميلة يتداولها الناس فى أنحاء مختلفة من أوروبا. ونبغ فى الشعر الشاعر العظيم هوراس الذى درس فى بلاد اليونان، ولاتزال أشعاره صورة حية لحياة الأمة الرومانية فى عصر أوغسطوس. وفى ذلك العصر أيضا ظهر فرجيل صاحب ملحمة «الإنيادة» التى نسجها على غرار الإلياذة والأوديسة. وقام أوغسطوس نفسه عندما بلغ الخامسة والسبعين بكتابة مذكراته السياسية وقد نقشت فيما بعد على صفائح من البرونز ونصبت أمام قبره. وقد توفى أول أباطرة الرومان فى التاسع عشر من شهر أغسطس ـ الذى تسمى باسمه فيما بعد ـ سنة ١٤م.

وقد خلف «أوغسطوس» على العرش أربعة من سلالته كان أولهم «طيباريوس» ـ ابن زوجته من زواج سابق ـ ولأنه تربى فى معيته فقد سار على نهجه وأثبت أنه سياسى محنك ومصلح بارع ولما مات «طيباريوس» خلفه «جايوس قيصر» ابن حفيد أوغسطوس (الملقب كالجيلا) وكان شابا فى الخامسة والعشرين من عمره مملوءاً غروراً وطيشًا ومما يذكر عنه أنه نصب جواده قنصلاً عامًا وكان يحضره الولائم ويطعمه ألذ الطعام ويسقيه الخمر فى كئوس من ذهب وبدد أموال الدولة مما أثار مشاعر الناس ودفع حرسه إلى قتله بعد أربعة أعوام فقط فى الحكم.

ومن الطريف أن يأتى بعد «جايوس قيصر» (كالجيلا) إمبراطور الصدفة البحتة «كلوديوس»، ذلك أنه بعد أن قتل الحراس جايوس راحوا ينهبون القصر ويفتشون فى حجراته فوجدوا شخصا مختبئًا يرتعد خوفًا ناحل الجسم فى سن الخمسين يدعى «كلوديوس» ـ حفيد «طيباريوس» وعم «جايوس» ـ فأخذوه ونادوا به إمبراطوراً يخلف القتيل رغم إرادته واضطر مجلس الشيوخ إلى أن يقره على العرش.

ورغم أنه كان إمبراطوراً بالصدفة وضعيف البنية مسنًا إلا أنه تجرد لخدمة

الإمبراطورية وعمل فى سبيلها كل ما استطاع. ومن جملة ما فعل قيامه بنفسه على رأس غزوة لبريطانيا انتصر فيها وضم الجزء الجنوبى منها إلى الإمبراطورية الرومانية. كذلك قام بإصلاحات عديدة وإنشاءات كثيرة. وأرى الرجل أسس عدد من الوزارات منها وزارة المالية ووزارة الداخلية ووزارة الأشغال العامة وغيرها.

وجاء بعد «كلوديوس» «نيرون» ابن زوجته «لاجريبينا» آخر نسائه. وكان «نيرون» سليل أسرة أوغسطوس سواء من ناحية الأم أو الأب. وقد توفر الفيلسوف الشهير «سينيكا» (٢ق.م ـ ٦٦م) على تربيته وتثقيفه فجعله «نيرون» رئيس وزرائه فى السنوات الخمس الأولى من حكمه فساد جو من العدل والاستقرار. ولم يلبث «نيرون» أن انقلب رأسًا على عقب وعاد إلى طبيعته الشريرة وخاض بحور الشرور والمنكرات وسلك مسالك الجور والتعسف والقسوة المتناهية. وكان «نيرون» يدعى الفن فسلم إدارة الحكم لبعض رجال القصر وخرج إلى السياحة فى بلاد اليونان وتنقل بين مدنها وكان يدخل مسابقات الرقص والغناء والمركبات وكان ولعا بفن التمثيل والصيد والملاكمة والمصارعة لقد كان «نيرون» مريضًا بالوسواس القهرى جباناً متشككاً سيء الظن بالناس ولشكه فى أستاذه «سينيكا» أمره بأن يقتل نفسه واغتال ابن كلوديوس وغيره من أفاضل الناس كما قتل زوجته بل بلغ من الجنون حدا جعله يقتل أمه التى وضعته على العرش. ولقد تمادى فى غيه وإسرافه فى قتل الأشراف والأغنياء حتى حلت عليه نقمة الناس وسخطهم فعزل وقيل أنه بعدها أضرم النار فى روما لمدة أسبوع كامل وبينما النار تلتهمها جلس يلهو بمنظرها ويعزف على قيثارته لحنا من تأليفه عن حرب طروادة وقد أباح مجلس الشيوخ دمه ولكنه استل سيفه وقتل نفسه قبل أن يقتله أحد، وكان ذلك فى سنة ٦٨م ومن ثم انتهت سلالة أوغسطوس وانتهى بموته قرن من السلم (٣١ ق.م ـ ٦٨م).

وبعد هلاك «نيرون» بهذا الشكل ران على روما حول كامل من النزاع والصراع على السلطة كاد يهدد بحرب أهلية جديدة.

من حسن حظ الإمبراطورية أن يفوز القائد القوى «فسباسيانوس» بمنصب الإمبراطور سنة ٦٩م مما جنب البلاد الوقوع فى براثن الحرب الأهلية وأسبغ على الإمبراطورية فترة سلام طويلة امتدت لقرن آخر. وكان الرجل قد تحنك خلال ولايته فى آسيا ذلك أنه قبيل انتخابه للعرش قضى على ثورة اليهود فى فلسطين ودمرهم تدميراً كاملاً سنة ٧٠م فى المسادا المشهورة. ولقد قام هذا الإمبراطور وابناه: «تيطس» و «دوميتانس» بتأمين الثغور وتحصين الحدود. ويحمد لهذا الإمبراطور وابنيه إعادة مجد روما إلى سابق عهده.

وبعد موت «دوميتانس» انتخب مجلس الشيوخ خليفة له هو «نيرفا» ٩٦م وكان «نيرفا» أحد أعضاء المجلس وقد استمر فى نفس السياسة الاصلاحية مما حقق الاستقرار فى ربوع الإمبراطورية رغم أن مكوثه على العرش لم يدم طويلاً. وجاء بعده قائد عظيم آخر هو «تراجانوس» (تراجان) الذى بسط سلطان رومان على ما بقى من جيوب مستقلة مثل مملكة الفرتيين (آشور وبابل قديما) أنسباء الفرس وضم أرمينيا وبقية بلاد ما بين النهرين. وقد توفى «تراجانوس» سنة ١١٧م بعد مرض عضال، وقد خلفه على السلطة الإمبراطور «هدرويانوس» (هادريان) الذى استأنف أعمال الفتح والتحصين وتحقيق السلم والهدوء فى ربوع الإمبراطورية.

وكان الجيش الرومانى فى تلك الفترة قد أعيد تنظيمه وانخرط فيه الجنود من كل أمة ومن كل لسان. وكان الجنود يستطيعون مكاتبة أهلهم وأصحابهم فى أوطانهم ولو كانوا فى أقصى أطراف الإمبراطورية. ولذلك كان الجيش قادرًا على حماية الحدود وصد غارات البرابرة على الأطراف بل وفتح مناطق جديدة وضمها إلى الإمبراطورية. ومن الطريف أن الجنود فى حال السلم والاسترخاء كانوا يستخدمون فى بناء السكك وتشييد الجسور والكبارى وشق القنوات وتطهيرها وإقامة المبانى الحكومية والعامة وترميم الحصون وتقويتها.

وفى نفس الوقت أعيد تنظيم الدولة من الداخل وقسمت الأداة الحكومية إلى

دوائر يقوم على رأس كل دائرة مدير كذلك الذى كان موجودا عند المصريين القدماء؛ وقد بلغ النظام الإدارى أوج مجده أيام الإمبراطور «هدريانوس» الذى أصبح يشرف إشرافاً مباشراً على جميع الدوائر الحكومية. ولقد وحدت القوانين التى تحكم العلاقة بين الأفراد والدولة والأفراد وطبقت فى جميع أنحاء الإمبراطورية. وكان رجال القانون فى ظل الإمبراطورية الرومانية وخاصة فى الفترة التى نحن بصددها لهم مكانة مرموقة لاتدانيها مكانة وكان نبوغهم فى هذا الصدد لا حد له. فى نفس هذه الفترة أصدر رجال القانون المؤلف الشامل فى القوانين الرومانية الذى عد بكل المعايير من أول المراجع فى هذا الصدد والذى مايزال معمولاً ببعض قواعده حتى الآن ومن بينها أن المتهم برىء حتى تثبت إدانته. وكان أساس هذا القانون هو العدل والمساواة بين جميع أفراد الأمبراطورية بصرف النظر عن انتماءاتهم العرقية أو المذهبية أو الاجتماعية. ومن هناك كان إخلاص الناس عموما وولاؤهم للإمبراطورية والإمبراطور ويتجلى ذلك كأحسن ما يكون فى رسائل الحب التى كان البعض يبعث بها إلى الإمبراطور «تراجانوس» نفسه.

لقد تراوح عدد السكان فى الإمبراطورية الرومانية ما بين سبعين إلى مائة مليون نسمة يمثلون شعوبًا وأممًا مختلفة: من مغاربة وأفريقيين شماليين ومصريين على الشاطىء الأفريقى للبحر المتوسط إلى فينيقيين وسوريين وأرمن وحيثيين وعرب ويهود وعراقيين على الجانب الآسيوى إلى يونانيين وإيطاليين وغاليين وأسبان وبريطانيين وجرمان على الجانب الأوروبى.

ومن المؤكد أن الحضارة الرومانية قد بدأت من حيث انتهت حضارات تلك الأمم والشعوب وأنتجت لنا نمطاً جديداً مركباً من كل تلك الحضارات فقد كان انتقال الناس والعادات والتقاليد والأفكار بين أجزاء تلك الإمبراطورية المترامية أمراً سهلا ميسوراً لا قيود عليه. وكانت مظاهر الحضارة بادية فى كل مكان وإن نال إيطاليا الحظ الوافر منها باعتبارها مقر الحكومة ووطن الإمبراطور فكانت المبانى الفخمة الضخمة والشوارع والطرقات النظيفة المرصوفة والبيوت التى

تكشف عن الثراء والعظمة والأبهة والمكتبات التى تدل على ازدهار الفكر وحركة النشر.

ولكن سنة الحياة كما تنطبق على البشر تنطبق أيضًا على الإمبراطوريات فهى تبدأ طفلة ثم تشب ثم تصبح كهلة ثم تدب فى أوصالها أعراض وأمراض الشيخوخة حتى يصيبها الفناء. ولعل الإمبراطور «هدريانوس» كان آخر الأباطرة الأقوياء؛ أباطرة التوسع والسلم والاستقرار والهيبة والمنعة وقد جاء بعده الإمبراطور «أنطونيوس بيوس» (التقى) وكان رقيقا حليما يؤثر السلامة على النضال ودخول الحروب مما أغرى بعض الشعوب على محاولة الانفصال والاستقلال. وقد تسبب ذلك فى حرج شديد لخليفته «مرقس أوريليوس» حيث ثار عليه الفرتيون واضطر لمحاربتهم أربع سنين كاملة ١٦٠م ومن جهة الشمال قام الجرمان البرابرة بالزحف على إيطاليا زحف الطوفان سنة ١٦٧م ورغم أنه حقق انتصارات محدودة عليهم إلا أنهم استقروا فى شمالى إيطاليا وكانت بداية قرن جديد من الاضطرابات والثورات والحروب الأهلية والانتفاضات كانت مجرد مقدمات لانهيار الإمبراطورية الرومانية وتفسخها وتأخر جميع مرافق الحياة من اجتماعية إلى اقتصادية إلى سياسية إلى نفسية إلى تعليمية، وأصيبت الزراعة بالذات بعجز كلى.

مات «مرقس أوريليوس» سنة ١٨٠م، وبدأ الصراع على السلطة بين قادة الجيش حتى استقر الأمر لأحدهم من أصل دنىء هو: «سبتيميوس سفيروس»، وقد قام بدوره بشغل أعلى المناصب فى الدولة بعسكريين من أصول أكثر دناءة وانحطاطًا من أصله حتى يضمن ولاءهم. وغدت السلطة فى يد العسكريين الرعاع وران على الدولة نصف قرن من الفوضى كانت السلطة خلالها تنتقل من عسكرى إلى عسكرى والإمبراطورية تنتقل من الرمضاء إلى النار حتى انقرضت سلالة «سبتيميوس سفيروس» سنة ٢٣٥م. وحدث بعدهم انفجار عظيم إذ قام الجنود البرابرة فى الأقاليم بالثورة على الحكومة المركزية ونصبوا من بينهم امبراطوراً على كل إقليم. ومن ثم ظهر صف ثان من الأباطرة الصغار تطاحنوا فيما بينهم فلا يلبث الواحد منهم أن يعين حتى يتم اغتياله وتصفيته.

وقد أغرى ذلك الوضع برابرة الشمال وخاصة الغوط الشرقيون ـ إحدى القبائل الجرمانية البحرية القوية ـ بالزحف على بعض أجزاء الإمبراطورية وبالذات المدن الساحلية ونهبها وتدميرها كما تعرضت شبه جزيرة البلقان لتخريب مماثل ولم تسلم أثينا من الخراب؛ وتوغل البرابرة فى إيطاليا ودخلوا غاليا وأسبانيا بل ووصلوا إلى شمالى أفريقيا. وكان هؤلاء البرابرة يتلذذون بمناظر الخراب والدمار والنيران وهى تلتهم كل مظاهر الحضارة الرومانية.

ولما كانت الحكومة المركزية والجيش قد عجزا عن إيقاف هذه الفوضى والدمار، شجع ذلك الشعوب المختلفة على تكوين حكومات خاصة والجنوح نحو الاستقلال وإعادة بناء المدن وإحاطتها بأسوار منيعة. وقام الفرس سنة ٢٢٦م بالاستيلاء على السلطة والاستقلال ونشأت هناك أسرة ملكية جديدة (الساسانيون) مما قسم العالم مرة ثانية إلى شرق وغرب. وبدأ الصراع بين قوتين بعد أن كان صراعا داخل دولة واحدة.

وفى تلك الأثناء قامت مملكة تدمر بالاستقلال عن كل من بلاد فارس وروما على السواء وكانت بمثابة الحاجز بين الاثنين، وقد قويت هذه المملكة تحت حكم «زنوبيا» وعظم شأنها. كذلك فإن أحد أعضاء مجلس الشيوخ نصب من نفسه إمبراطوراً على غاليا وأسبانيا وبريطانيا. وبدأ للجميع أن الإمبراطورية قد أخذت تصفى وترد إلى عناصرها الأولية. إلا أن الإمبراطور المركزى «أوريليانوس» (حكم ٢٧٠ ـ ٢٧٥م) زحف على «زنونيا» واستولى على تدمر وأسرها، كما زحف على «تتريقوس» فى الغرب وقبض عليه وأعاد غاليا وأسبانيا وبريطانيا إلى حظيرة الحكومة المركزية الرومانية.

وكان لابد للفوضى التى نشبت أظفارها فى كل اتجاه من يد حديدية تقبض على أعنة الأمور. وقد تمثلت تلك اليد فى الإمبراطور «دقلتيانوس» الذى بذل جهدا كبيراً فى تنظيم الدولة ومحاولة إعادة الأمور إلى نصابها وتحقيق الحد

الأدنى من السلم والأمن، وإن جاء ذلك على حساب دافعى الضرائب وروح الابتكار والتقدم؛ فقد فرض «دقليتانوس» على الدولة نوعاً من الاستبداد والدكتاتورية لم يعرف من قبل؛ نعم لقد تحقق ضرب من ضروب السلم ولكنه أدى إلى انحطاط إيطاليا وتوقف نموها الحضارى.

جاء بعد «دقلتيانوس» الإمبراطور «قسطنطين» (٣٢٤م) الذى وجه اهتمامه الأكبر إلى الجزء الشرقى من جزيرة البلقان فأسس روما جديدة مكان البلدة اليونانية الصغيرة بيزنطيا على الجانب الأوروبى من البسفور والتى توسعت بعد ذلك وعرفت باسم القسطنطينية، تلك المدينة التى لم يكن يضارعها جمالاً وأبهة سوى مدينة الإسكندرية فى مصر وهكذا انتقلت عاصمة الدولة الرومانية من روما إلى القسطنطينية أى من الغرب إلى الشرق، وتمهيدا للانفصال الذى حدث بعد ذلك وشق الإمبراطورية إلى شقين واستمرار انحطاط روما وإهمالها.

وقد تجددت هجمات البرابرة الشماليين من الجرمان والغاليين على إيطاليا التى كانت قبل ذلك تصدهم وتردهم طالما كانت جيوش الدولة الرومانية قوية عزيزة ولكن بعد ضعف الإمبراطورية وتفسخ جيوشها تغير الحال وتبدل فقد ازدادت أعداد القبائل البربرية وظهرت برابرة جدد هم الهون وكانوا أكثر تخريبًا وأعنف من غيرهم من بربر الجرمان والغاليين والفرنكيين.

وقد خلف قسطنطين الإمبراطور «فالنس» وحاول قدر طاقته الحفاظ على تماسك الإمبراطورية ثم جاء بعده «ثيودوسيوس» آخر الأباطرة العظام فى تلك الفترة وقد جهد هو الآخر فى الحفاظ على وحدة الامبراطورية وصد الغزاة ما استطاع ولكنه لم يستطع ذلك إلا بعد أن استخدم كبار الجرمان وزراء وقوادا فى حكومته وعقد عقود مصاهرة مع بعضهم وعلى رأسهم «استيليخوس الفاندالى» وعندما دنا الأجل سنة ٣٩٥م جعل هذا القائد وصيًا على ابنيه القاصرين «هنوريوس» و «أركاديوس» وكان «ثيودوسيوس» قد قسم الإمبراطورية بين إبنيه هذين فأعطى «أركاديوس» الشرق وأعطى «هنوريوس» الغرب فوضع بذلك بذور

الانفصال بين شطرى الإمبراطورية. وإن كان الشطر الشرقى قد تماسك فترة طويلة من الزمن بعد ذلك فيما عرف بالإمبراطورية البيزنطية، إلا أن الشطر الغربى أخذ فى التجزأ السريع فلم يمر نصف قرن حتى تلاشت الإمبراطورية والإمبراطور.

لقد شدد البرابرة هجماتهم على الجزء الغربى من الإمبراطورية وكانوا عندما يحتلون أرضا يستوطنونها على نحو ما فعل «الفندال» و «شعبان» جرمانيان آخران عبروا نهر الراين واستقروا فى أسبانيا وأنشأوا بها ثلاث ممالك خاصة بهم سنة ٤٠٠م، ثم عبر جزء منهم بعد ذلك إلى افريقيا واستولوا على ولاية أفريقيا الرومانية سنة ٤٢٩م. وجاء رهط آخر واستولوا على جنوب شرقى غاليا. وفى تلك الأثناء أيضًا عبرت بعض القبائل الجرمانية بحر الشمال واستقرت فى بريطانيا وطردوا الرومان منها. وظلت الإمبراطورية الغربية تقتطع قطعة وراء أخرى حتى لم يعد لإمبراطور الغرب سوى إيطاليا فقط. بل وبدأ غزو إيطاليا نفسها ففى سنة ٤٥٠م بدأ الهون فى الهجوم على إيطاليا ولكن تحالف القوط الغربيين والجرمان الغربيين مع روما أدى إلى هزيمة الهون وردهم على أعقابهم سنة ٤٥١م. بيد أنه فى سنة ٤٥٥م استولى الفاندال الذين قدموا من قرطاجنة إلى صقلية ثم إلى إيطاليا، على روما نفسها ونهبوا ما استطاعوا نهبه بيد أنهم لم يدمروا شيئا من المبانى.

وفى إيطاليا التى بقيت من الإمبراطورية الرومانية الغربية كان الأباطرة ألعوبة فى يد القواد العسكريين الجرمان. ومن سخرية القدر أن آخرهم كان «رومولس أوغسطولس» «أى أوغسطوس الصغير». وحتى هذا الإمبراطور خلعه القادة الجرمان ووضعوا مكانه أحدهم ويدعى «أودواسر».

وزحفت على إيطاليا موجات بعد موجات من برابرة الشمال بين ٤٧١ و٤٧٦م ودمروها تدميراً تامًا ولم يتركوا شيئًا قائما يذكر واختفت آخر أجزاء الإمبراطورية الرومانية الغربية وسقطت أوروبا فى ظلام العصور الوسطى التى تبدأ تاريخياً فى القرن السادس الميلادى.

لم نشأ أن نقطع سياق التتابع التاريخى للإمبراطورية الرومانية ونتحدث عن ظهور المسيحية وانتشارها وأثرها فى الإمبراطورية وآثرنا معالجتها هنا حيث أن للمسيحية والمسيحيين علاقة وثيقة بمكتبة الإسكندرية كما سنرى تفصيلا فيما بعد.

لقد ولد المسيح عيسى بن مريم فى يهوذا من أعمال فلسطين إبان حكم «أوغسطوس قيصر» أول قياصرة روما. وقد بدأ دعوته فى نحو سن الثلاثين خلال حكم «تبيريوس قيصر». وكان المسيح شخصًا ذا جاذبية حادة يجذب إليه الأتباع ويملأ قلوبهم محبة و رحمة وشجاعة. ومن المؤكد أن الدعوة التى جاء بها أحدثت هزة عميقة فى الأفكار الدينية التى سادت فى الإمبراطورية الرومانية والتى استقرت أمدًا طويلاً. بل إنه هز الديانة اليهودية نفسها وما شابها من تجاوزات وخاصة فيما يتعلق بتميز اليهود عمن سواهم من خلق الله.

ولم تكن دعوة المسيح مجرد ثورة أخلاقية أو اجتماعية وإنما كانت أيضا ثورة سياسية واقتصادية. ومن هنا وجدت المسيحية مقاومة عنيفة من جانب الكهنة من جهة والجنود والأباطرة الرومان من جهة ثانية وطبقات التجار والأغنياء من جهة ثالثة. لقد كان القيصر ينصب من نفسه إلهًا يعبد ولما جاء الدين المسيحى أبى ذلك تماما ومن ثم اعتبره القياصره عقيدة تدعو إلى التمرد والفتنة وبالتالى حاربوه واضطهدوا المسيحيين أتباعه اضطهادًا لاحد له وقصص إطعام الوحوش الضارية بالمسيحيين معروفة مشهورة.

ولقد انتشرت تعاليم الديانة المسيحية فى كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية خلال قرنين من ميلاد المسيح وأخذت توثق العلاقات بين جموع المسيحيين فى أنحاء الإمبراطورية. وقد تفاوتت مواقف الأباطرة من هذا الانتشار فمنهم من عاداها ومنهم من وقف موقف الحياد ومنهم من تسامح معها. وكانت هناك خلال القرنين الأول والثانى محاولات مختلفة ومتباينة للقضاء على هذه العقيدة. وكان الإمبراطور «دقلتيانوس» من أشد الأباطرة عداوة للمسيحية واضطهاداً لها

وفى سنة ٣٠٣م وما بعدها أوقع بالمسيحيين أضطهاداً شديداً فصادر أملاك الكنيسة الضخمة وجميع الكتب المقدسة وكل الكتابات الدينية وأحرقت، وأهدرت دماء المسيحيين باعتبارهم خارجين عن القانون وأعدم كثير منهم.

يقول «هـ. ج. ويلز» أن تدمير تلك الكتب أمر جدير بالملاحظة فهو يبين كيف عرفت السلطات قدرة الكلام المكتوب على ربط اتباع العقيدة الجديدة معًا ولقد فشل اضطهاد «دقلتيانوس» فشلاً تاما فى القضاء على المسيحية وعلى المجتمع المسيحى وكان عديم الأثر فى كثير من الولايات وذلك لأن نسبة كبيرة من السكان فى تلك الولايات كانوا مسيحيين. وفى سنة ٣١٧م صدر مرسوم بالتسامح مع المسيحية واعتبارها دينا رسميًا فى الإمبراطورية، والذى توفر على إصدار هذا المرسوم هو الإمبراطور «جاليريوس الشريك» (أشركه دقلتيانوس فى الحكم سنة ٣٠٥م وجعله قيصرا على منطقة الليريا وأقاليم الدانوب وإنفرد بحكم الإمبراطورية الشرقية بعد تنازل دقلتيانوس. وفى سنة ٣٢٤م غدا الإمبراطور «قسطنطين» الحاكم الأوحد للعالم الرومانى وكان نصيرا للمسيحية بل يقال إنه اعتنقها وهو على فراش الموت وأمر بوضع شارات المسيحية ورموزها على دروع الجنود وألويتهم.

ولم تمض بضع سنين بعد ذلك حتى رسخت قدم المسيحية وأصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية وتلاشت أو كادت الديانات الوضعية المناوئة لها. وفى سنة ٣٩١م أمر «ثيودوسيوس الأكبر» بتدمير تمثال «جوبيتر سيرابيس» فى الإسكندرية. ولم يعد هناك كهنة ولا معابد فى الإمبراطورية الرومانية منذ مطلع القرن الخامس الميلادى. وانتشرت المسيحية وتوغلت حتى فى الحياة المدنية وغدا هناك فى الإدارة حاكم علمانى وحاكم دينى.

وهناك قضية أخرى لابد وأن نتوقف عندها قليلاً لأن لها صلة ولو غير مباشرة بقضية حرق المسلمين لمكتبة الإسكندرية. فنحن نعلم أن الدين الذى جاء به المسيح هو دين توحيد وتعاليم المسيح صريحة واضحة فى ذلك إلا أنه بعد وفاة

المسيح بفترة من الزمن ظهرت فى المسيحية عقيدة التثليث، تلك العقيدة التى أفسدت المسيحية وجعلت من يعتنقها مشركًا بالله. ويقال أن الذى أدخل عقيدة التثليث فى المسيحية يهودى فى الأصل اسمه «شاؤول» كان من أبرز وأنشط العناصر المضطهدة للحواريين، ولكنه فجأة تحول واعتنق المسيحية وغير اسمه إلى «بولس» وكان شديد الاهتمام باليهودية والميثرائية وديانة الإسكندرية. وطفق بولس ـ الذى أصبح قديساً ـ يدخل فى عقول تلاميذه فكرة أن عيسى مثل «أوزوريس» كان ربما مات ليبعث حيا وليمنح الناس الخلود وقد فجر ذلك خلافات لا حد لها فذهب أتباع «آريوس» إلى أن عيسى إله غير أنه متميز عن الآب وأدنى منه مرتبة؛ وذهب أتباع «سابيليوس» إلى أن يسوع ليس إلا أقنوما من أقانيم الآب؛ وأن الله هو يسوع والآب فى وقت واحد، بل وغالى بعضهم ـ الثالثيون ـ فقالوا إن الله واحد وثلاثة فى نفس الوقت وأنه «الآب والابن والروح القدس».

يقول «هـ. ج. ويلز» أنه قد انقضى ردح من الزمن لاح فيه أن مذهب «آريوس» سيفوز بالنصر على منافسيه ثم حدثت صراعات ومنازعات ومشاحنات عنيفة بل ونشبت حروب أسفرت عن فوز عقيدة التثليث وحازت القبول لدى العالم المسيحى بأكمله. ولعل أتم صورة لهذه العقيدة نجدها فى مذهب «القديس إثناسيوس». وبهذه الطريقة فسدت الديانة المسيحية وأنحرفت عن جوهرها التوحيدى الذى جاء به المسيح. وقد رأى البعض أن انتشار عقيدة التثليث فى الإسكندرية كانت من بين الدفوع التى دفعت بالمسلمين إلى حرق مكتبة الإسكندرية. وسوف نرى ذلك تفصيلاً فيما بعد عند حديثنا عن حرق المكتبة.

ظهور الإسلام وانتشاره

طالما أنه زج بالمسلمين فى قضية حرق مكتبة الإسكندرية فلابد وأن نعرض هنا ولو لماماً لظهور الإسلام وانتشاره واهتمام الإسلام بالعلم والعلماء وأدوات العلم.

ولد الرسول الكريم فى مكة البلدة الوثنية سنة ٥٧٠م العام الذى عرف بعام

الفيل. وبعث فى سن الأربعين (حوالى ٦١٠م). وكان جوهر دعوته عبادة الله الواحد الأحد وإكمال مكارم الأخلاق. وحوربت الدعوة واضطهد أتباعها وهاجر الرسول وصديقه الصدوق وتلميذه الأمين أبو بكر الصديق إلى المدينة كما هاجر المسلمون إلى الحبشة. وقويت شوكة المسلمين وعاد الرسول إلى مكة وفتحها سنة ٦٢٩م وبعدها راح يرسل الرسائل إلى الملوك فى الجزيرة العربية وخارجها يدعوهم فيها إلى الدخول فى الإسلام. وقبيل سنة ٦٣٢م كان الإسلام يرفرف على أنحاء الجزيرة العربية. ولقد كان الإسلام فى حقيقة الأمر ثورة دينية رائعة وعميقة أعادت العقيدة إلى نصابها الصحيح، وثورة اجتماعية تدعو إلى الإخاء والمساواة والصلاح النفسى والاجتماعى؛ وثورة سياسية؛ وثورة اقتصادية بكل المعايير؛ كما كان الإسلام ثورة علمية من جميع الجوانب.

وينظر البعض إلى الخليفة أبو بكر الصديق على أنه مؤسس الدولة الإسلامية بجيش بسيط محدود قوامه من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف مقاتل عربى. ولقد بدأت قصص الفتوحات تتوالى، تلك الفتوحات التى يصفها البعض بأنها أعجب فتوحات مرت على مسرح تاريخ الجنس البشرى فقد تمزق الجيش البيزنطى فى معركة اليرموك فى سنة ٦٣٤م. ولم يلبث «الإمبراطور هرقل» أن رأى ممتلكاته التى استردها وشيكا من الفرس فى سوريا وهى دمشق وتدمر وأنطاكية والقدس وغيرها تتداعى أمام المسلمين دون مقاومة تقريبًا، واعتنقت نسبة كبيرة من السكان دين الإسلام ثم اتجه المسلمون شرقًا صوب بلاد الفرس الذين نصبوا «رستم» المحنك القدير قائدًا على جيش عرمرم استمروا يقاتلون به ثلاثة أيام عند القادسية سنة ٦٣٧م وأحرز المسلمون النصر المؤزر عند القادسية، وبعد ذلك تم فتح بلاد فارس بأجمعها وتقدم المسلمون صوب التركستان ثم توغلوا شرقاً حتى حدود الصين.

واتجه المسلمون غربًا نحو مصر حيث قاد عمرو بن العاص فى عهد عمر بن الخطاب الحملة على مصر ٦٣٩م وعلى الإسكندرية ٦٤٢م. وفى هذا التاريخ تبدأ قصة المسلمين مع مكتبة الإسكندرية، القصة التى تقول بأن «عمرو بن العاص» أحرقها بناء على تعليمات من «عمر بن الخطاب» ولنا إليها عودة. واندفع

سيل الفتوحات على ساحل أفريقيا الشمالى حتى بلغ مضيق جبل طارق وعبرته إلى بلاد الأندلس سنة ٧١٠م ووصل المسلمون الفاتحون إلى جبال البرانس سنة ٧٢٠م ولم يلبث العرب أن تقدموا حتى بلغوا وسط فرنسا سنة ٧٣٢م ولكنهم توقفوا بعد ذلك إلى الأبد بعد معركة بواتييه أو بلاط الشهداء التى هزم فيها عبد الرحمن الغافقى على يد شارل مارتل الفرنكى. ورغم أنهم حاولوا فتح القسطنطينية مرات عديدة بين ٦٧٢ و٧١٨م إلا أنهم لم ينجحوا فى ذلك.

ورغم أن الإمبراطورية العربية كانت أول إمبراطورية سامية فى خلال الألفية إلا أنها تفككت سريعا ولم تدم لها الوحدة أكثر من قرن ثم انشطرت إلى أموية الأندلس وعباسية المشرق، ولم تلبث كل منهما أن تداعت وتفككت وأغرت الأعداء من الداخل والخارج بها. ورغم وحدتها القصيرة نسبيًا وتفككها السياسى إلا أن أثرها فى العقل الإنسانى وفى المصائر العامة للجنس البشرى كان عميقًا وكما يقول هـ. ج. ويلز «لقد قذفت المقادير بالذكاء العربى فى طول العالم وعرضه بصورة أسرع وأروع مما فعلت بالعقل اليونانى قبل العرب بألف سنة؛ لذا عظمت إلى أقصى حد الاستثارة الفكرية التى أحدثها وجودهم للعالم أجمع غربى بلاد الصين؛ كما اشتد تمزيق الأفكار القديمة وتطوير أخرى جديدة».

لقد انصهرت فى الحضارة العربية الإسلامية جميع حضارات الشعوب التى دخلت فى الإمبراطورية الإسلامية وتلك التى احتكت بها مجرد احتكاك: الحضارة والفكر عند اليونان؛ الحضارة والفكر عند الرومان؛ الحضارة والفكر لدى المصريين؛ الحضارة والفكر لدى الفرس؛ الحضارة والفكر لدى الصينيين؛ الحضارة والفكر لدى الهنود.

وفى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى بدأ التدوين وأخذت حركة النشر والتأليف والترجمة فى الازدهار وإثراء الحياة الفكرية وأصبح للدولة مؤسسات فكرية وتعليمية وأخذت المكتبات فى الظهور بأشكال مختلفة وحجوم متفاوتة. وفى القرن التاسع أخذ تواصل العلماء المسلمين فى التعاظم فكان العلماء يرتحلون من الأندلس والمغرب إلى أقاصى المشرق وكانوا يتراسلون مع نظرائهم فى كل

مكان. وكان تأثير الفكر العربى الإسلامى فى أوروبا عظيمًا وساعد فى قيام النهضة الأوروبية.

ولم يكن الفكر العربى الإسلامى مجرد فكر دينى أو إنسانى بحت بل تخطى ذلك إلى العلوم البحتة والتطبيقية فبرع العرب المسلمون فى الرياضيات ودخل اسم الخوارزمى فى نظريات هذا العلم، كما برعوا فى الطب والفلك والطبيعة والكيمياء وعلم الحيل (الميكانيكا). إن الأرقام العربية التى يستخدمها العالم الآن قاطبة تحمل ذكرى تلك الكشوف العلمية العظيمة، وإن الأسماء العربية لبعض النجوم تكشف عن باعهم فى علم الفلك.

ولقد وفق العرب المسلمون فى صناعة بعض العقاقير الفعالة لمداواة الأمراض كما استخرجوا المعادن وصنعوا السبائك والأصباغ وعرفوا التقطير والألوان والعطور وزجاج العدسات.

ولقد نشطت هذه النهضة العلمية ونهضت إلى علوم الرفاهية ومن بينها محاولة الوصول إلى «حجر الفلاسفة» الذى يحولون به العناصر والمعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة وخاصة الذهب. كذلك محاولتهم البحث عن «أكسير الحياة»، ذلك الترياق الذى يطيل العمر ويعيد الشباب. ولكن هذه المحاولات فى الاتجاهين ذهبت سدى والبشرية لم تتوصل إلى أيهما حتى الآن.

لقد استمرت الحضارة العربية الإسلامية رغم التفسخ السياسى المبكر فى الازدهار والعطاء ربما حتى القرن الثالث عشر الميلادى، حينما بدأ الأعداء يحيطون بالدول الإسلامية المفككة من كل جانب ويجهزون عليها.

ولقد أهدى العرب المسلمون إلى البشرية أسس منهج البحث العلمى النظرى وأسس منهج البحث التجريبى.

ذلك كان السياق التاريخى الذى قامت فيه مكتبة الإسكندرية القديمة والذى اختفت فيه تلك المكتبة العظيمة. ولننظر فى الفصل القادم السياق الحضارى والجغرافى الذى قامت عليه المكتبة.

* * *

الفصل الثانى

الإسكندرية القديمة والحضارة الهلينية

الفصل الثانى

الإسكندرية القديمة
والحضارة الهلينية

أنشأ «الإسكندر الأكبر» فى كل بلد يغزوه ويفتحه مدينة تعرف باسمه «الإسكندرية» وربما يكون قد خطط لإنشاء مكتبة فيها أيضًا أو أنشأها بالفعل. بيد أن إسكندرية مصر كانت أجمل الإسكندريات على الأطلاق. وقد وقفت على عبارة فى وثيقة قديمة تؤكد على هذا المعنى تقول العبارة «نعم هناك مدن كثيرة ولكنها مدن محلية وتبقى الإسكندرية مدينة العالم كله».

ولعل مصدرنا الأساسى عن مدينة الإسكندرية القديمة هو كتاب «سترابون» المسمى الكتاب السابع عشر والذى وصف فيه المدينة حوالى ٢٤ ق.م. ومعظم من كتبوا عن تأسيس مدينة الإسكندرية يعتمدون عليه.

لقد حقق الإسكندر الأكبر انتصارًا سهلاً على الفرس فى مصر وكان من اليسير عليه الاستيلاء عليها ومن ثم كان عليه أن يظهر الود والاحترام للمصريين وآلهتهم وأن يتلقى بركات الإله آمون إله مصر الأعظم فى واحة سيوة وبالتالى أبحر من ممفيس (ميت رهينة) فى النيل إلى البحر الأبيض عند كانوبوس المصب (الفرع) الغربى للنيل وقد دارت سفنه حول بحيرة المريوطية ورست هناك. وكانت هناك على اليابسة قرية صيادى السمك المصريين تسمى راكوتيس (راقودة) وهى عبارة عن لسان من الأرض عرضه نحو أربعة كيلومترات وطوله بين البحر والبحيرة نحو سبعة كيلومترات تمثل شاطىء البحر فى تلك المنطقة وتقع جنوب هذا اللسان بحيرة المريوطية وكانت واحدة من بحيرات كثيرة انتشرت فى دلتا النيل آنذاك (وهى شبيهة ببحيرات ومستنقعات دلتا المسيسبى). وشمال هذا اللسان كان هناك بطبيعة الحال البحر الأبيض المتوسط وتظهر فيه فى تلك البقعة جزيرة طويلة

ضيقة هى جزيرة فاروس التى تبعد عن الشاطىء بنحو ميل وهى تحمى الشاطىء خلفها من الرياح والعواصف والأمواج العاتية وتؤمن أساسيات الميناء الآمن المطمئن الذى يجمع ملامح الطبيعة وصنعة الإنسان حيث تم مد جسر بين هذه الجزيرة وبين الشاطىء بطول ٤٢٧٠ قدمًا أى بنحو ١٣٠٠ متر. ونتيجة لإنشاء هذا الجسر أصبح هناك ميناءان أحدهما شرقى عرف بالميناء الكبير والثانى غربى عرف بالصغير أو العود الحميد. وكان الميناء الشرقى هو بطبيعة الحال أهمها فى العصرين البطلمى والرومانى.

وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر طيبى (بتقويمنا الحالى العشرون من يناير سنة ٣٣١ق.م) من تحديد الإسكندر الأكبر لموقع المدينة فى المكان المذكور بدأت أعمال تأسيس مدينة الإسكندرية المصرية وقد أصدر الإسكندر قراره الشهير بذلك. وهذا التاريخ هو الذى جرى عليه الاحتفال السنوى بقيام مدينة الإسكندرية طوال الحقبة الهللينية. وقد كان الإسكندر يتابع بنفسه أعمال التخطيط والتصميم ووضع حدود المدينة وتحديد مواقع معابد الآلهة والأعمال العامة. ولقد عهد الإسكندر الأكبر إلى مهندسه المعمارى الذى صحبه فى حملته على مصر: «دينوقريطس» بوضع المخطط العام وتنفيذ بناء المدينة التى أريد لها أن تأتى مترامية الأطراف فخمة المبانى تتوسط العالم المتحضر المعروف آنذاك سيدة التجارة من الشرق والغرب مركز الفنون والآداب والفكر فى العالم. وقد وعد «دينوقريطس» بإقامة مبانٍ تناطح السحب؛ وقصور غاية فى الفخامة ومعابد تشيع الرهبة والطمأنينة.

وهكذا فى شتاء سنة ٣٣١ ق.م، كانت أعمال الإنشاء قد بدأت فى المدينة مدينة «الإسكندر» ابن «فيلبس المقدونى»؛ المدينة التى لم يرها الإسكندر نفسه أبدا والتى ربما يكون قد دفن فيها جثمانه ورفرفت عليها روحه. وقد عين الإسكندر بعد مغادرته مصر «كليومينس» واليا عليها وجابيا لضرائبها. وقد كان واليا سيىء الخلق جشعا يمارس الغش والخداع مع كل خلق الله من تجار إلى موظفين إلى كهنة وقد قال فيه «آريان» «إنه شيطان بشرى ارتكب أبشع الفظائع فى حق مصر».

وما يعنينا من ذكر هذا الرجل «كليومينس» هنا هو أنه بدأ بناء الإسكندرية حيث قال عنه «أرسطو» أن الإسكندر الملك قد ألقى إليه الأمر أن ينشىء المدينة قرب جزيرة فاروس وأن ينقل إليها الأسواق التى كانت موجودة في كانوبوس. ويصفه البعض بأنه هو الآخر كان مهندسًا معماريا إلى جانب دينوقريطس. ونحن فى حقيقة الأمر لا نعرف على وجه التحديد ماذا قام به كليومينس النوقريطى فى بناء مدينة الإسكندرية. ولقد مات الإسكندر سريعا سنة ٣٢٣ ق.م. وعند توزيع إمبراطوريته أصبحت مصر من نصيب البطالمة، واستمر كليومينس فى ظل بطليموس الأول جابيًا للضرائب وقد شك فى أمره بعد ذلك وحكم عليه بالإعدام وصودرت ثروته الضخمة التى كونها من دماء الناس.

ومن هنا يتفرد دينوقريطس بدور المعمارى الوحيد فى بناء الإسكندرية، وقد أقام بالفعل المبانى الرئيسية فى المدينة. وقد نمت المدينة فى عهد «بطليموس سوتر» (أول مَرْزُبان على مصر حتى ٣٠٥ ق.م ثم ملكاً على البلاد حتى ٢٨٣ ق.م) «وبطليموس الثانى» (فيلادلفوس) ابنه نموا سريعًا على الرغم من أن جميع الحكام البطالمة بعدهما أحاطوها بما تستحقه من عناية وتطوير. وقد ظلت المدينة الرئيسية فى العالم القديم منذ وفاة الإسكندر الأكبر ٣٢٣ ق.م وحكم «بطليموس الأول» حتى النصر النهائى لحفيد قيصر المحظوظ «أوغسطوس» ٣٠ ق.م ـ كليو باترا، حين أخذت تتوارى عن الأنظار وتخفت من حولها الأضواء.

ويسجل لنا القدماء وعلى رأسهم «إسترابون» و«بلوتارخ» المخطط العام للمدينة وهو على هيئة الكلامس اليونانى أى العباءة العسكرية. لقد كانت المدينة تغسل بمياه البحرين: المتوسط من الشمال وبحيرة مريوط من الجنوب، لقد شيدت المدينة على رقبة ضيقة من اليابسة تنتشر فيها تلال غير منتظمة الارتفاعات تجرى من الشمال الشرقى نحو الجنوب الغربى لمسافة تقترب من ستة كيلومترات وعرضها غير منتظم ويقترب من نصف الطول ويبلغ قطر المدينة نحو خمسة وعشرين كيلو متراً داخل أسوارها.

أحيـاء المدينـة

وقد قسمت المدينة من الداخل على أساس العرقيات أو الجنسيات التى كانت تقطنها أو تقيم فيها وذلك على النحو الآتى:

١ ـ حى المصريين وهم أهل البلد الأصليون وكان يطلق عليهم الراقوط وفى هذا الحى قام معبد السيرابيوم والذى اعتبر أهم مبنى فى تلك المدينة بل فى كل أنحاء العالم ولم يكن يبزه سوى الكابيتول فى روما.

٢ ـ حى البروكيوم (وأحيانا البروكيون) أو ما أطلق عليه الحى الملكى اليونانى المقدونى والذى كان يحتل واجهة الميناء الكبير كلها ابتداءً من قنة التل لوكياس وحتى حاجز الأمواج (هيبتاستاديوم) الذى كان يربط المدينة بجزيرة فاروس. وفى هذا الحى الملكى كان يسكن اليونان والمقدونيون والأجناس الأخرى الكثيرة من أوروبا وآسيا التى وفدت لتعيش فى الإسكندرية وفى هذا الحى أيضا نصادف الدواوين الحكومية وحوانيت التجارة الرئيسية والمبانى العامة الفخمة الكبيرة وفوق كل هذا ضريح العظماء (سوما) المتصرين؛ والمتحف الكبير بمكتبته ذائعة الصيت موضع كتابنا هذا وملحقاتها مثل مسرح المحاضرات العامة والمرصد الفلكى وكانت تربط فيما بينها ببهو أعمدة رائع وفخم مصنوعة من الرخام المصرى النادر، وخلف هذا كله وعلى الشريط الممتد على قنة تل لوكياس ووسط الحدائق الغناء وصفوف الأشجار الباسقات والنباتات والورود والزهور قامت قصور البطالمة، صفوف من المبانى الفخمة الفسيحة والعزب التى امتدت حتى قلب المدينة اليونانية.

٣ ـ الحى اليهودى. ومن المدهش أنه كان من الامتداد والاتساع بحيث يعدل الحى اليونانى نفسه أى الحى الملكى وكانت له أسواره الخاصة به التى تفصله عما سواه. وفى هذا الحى كانت تسكن الجالية اليهودية الضخمة، ولا يجب اعتبار هذا الحى بمثابة جيتو لليهود ولكنه كان فى حد ذاته مدينة قائمة بنفسها يحكمها الإتنارش اليهودى مباشرة ولهم المجلس الخاص بهم والقوانين الخاصة المنظمة

لشئونهم. وكانت هناك معارك ومشاجرات مستمرة وكثيرة بين اليونانيين واليهود فى الإسكندرية مما أدى إلى إلغاء الامتيازات الخاصة الممنوحة لهؤلاء اليهود، تلك الامتيازات التى كانت تتقلص أو تزداد (وخاصة فى ظل الرومان) طبقا للأوضاع السياسية المتقلبة التى كانت تتعاور تلك المدينة المضطربة.

وإذا كانت تلك هى الأحياء الثلاثة الرئيسية فى مدينة الإسكندرية، فقد ورد فى المصادر أن المدينة ككل كانت مقسمة إلى خمسة أقسام تحمل الحروف الخمسة الأولى من الأبجدية اليونانية: ألفا؛ بيتا (ويقع فى نطاقهما قصور الملوك البطالمة والمتحف والمكتبة وضريح العظماء (سوما) أو ضريح الإسكندر كما أطلق عليه)؛ جاما، دلتا (ويقع فى نطاقهما الحى اليهودى)؛ إبسلون (وأغلب الظن أنه كان يقع فى نطاقه الحى الوطنى). وللأسف لا نعرف على وجه التحديد مواقع هذه الأقسام الثلاثة الأخيرة الآن.

وفى داخل الأحياء الثلاثة: المصرى واليونانى واليهودى ذات الأقسام الخمسة المرقمة هجائيا كان السواد الأعظم من السكان ينقسم إلى جماعات أو طبقات اجتماعية يمكننا أن نتميز أهمها:

١ ـ طبقة الأثرياء الشرقيين المرفهين.

٢ ـ طبقة العسكريين المقدونيين.

٣ ـ طبقة اليونانيين من اليونان الأم والجزر المحيطة فى البحار الهللينية.

٤ ـ طبقة اليونانيين ذوى الأصول الأفروآسيوية والذين انحدروا أساسًا من كيرين وقالقيدونيا.

٥ ـ طبقة السوريين وكل ولايات آسيا الصغرى.

٦ ـ طبقة العرب والبابليين والآشوريين والميديين والفرس.

٧ ـ طبقة الأيبريين ومن والاهم من وراء أعمدة هرقل وما وراء الهند.

٨ ـ طبقة القرطاجنيين والإيطاليين والغاليين.

٩ ـ طبقة المفكرين والباحثين والشعراء والنقاد والعلماء والفنانين من كل فئة ورؤساء المتحف والمكتبيين فى المكتبة.

١٠ ـ التجار من جميع أنحاء العالم ومن مصر.

١١ ـ طبقة اليهود وهم كثيرون ومهمون.

١٢ ـ طبقة العامة والتى تتراوح من المشتغلين بالسياسة (من غير المصريين) إلى طبقة العمال والحرفيين (وهم أساسًا من المصريين).

١٣ ـ طبقة العبيد من جميع أنحاء الأرض سواء عبيد الحكومة أو عبيد الخاصة وهم الوصمة التى وصمت الحضارة القديمة وخاصة الكلاسيكية.

لقد وصلتنا قطعة بردى ترجع إلى القرنين الثانى والثالث بعد الميلادى تعرف باسم «نبوءة الخزافين» نجد فيها أحسن عبارة لوصف مجتمع هذه المدينة «هذه المدينة كانت حضانة عالمية، استقر فيها ناس من كل جنس».

وكانت الإسكندرية منذ إنشائها واحدة من أجمل مدن العالم. لقد ران على روما أكثر من سبعة قرون كى تتحول من بيوت الطوب إلى بيوت الرخام فى عهد «الإمبراطور أوغسطوس»، بينما بدأت الإسكندرية بالرخام منذ مولدها وخططت المدينة طبقا لأعظم وأروع تخطيط معمارى بحيث تقوم على شوارع واسعة عريضة بزوايا قائمة مع شوارع جانبية عريضة هى الأخرى بما يسمح للخيول وعربات الخيول أن تسير فيها بسهولة.

لقد قطع شارعان كبيران المدينة إلى أربعة أجزاء غير متساوية، وتم رصف هذين الشارعين بمربعات من الجرانيت. كان أحد الشارعين هو الطريق الكانوبى الشهير بالميزونبديوم ويبدأ هذا الشارع عند بوابة كانوبوس فى الحى اليهودى ويمتد لمسافة ستة كيلومترات تقريبًا من الشمال الشرقى وحتى الجنوب الغربى مخترقاً الحى الملكى ويخرج من الحى المصرى (راقوط) عن طريق بوابة نكروبوليس وحيث يوجد فى غربى المدينة ما عرف باسم «مدينة الموتى». والشارع الرئيسى

الثانى كان يمتد من الجنوب الشرقى حتى الشمال الغربى أى من بوابة الشمس على بحيرة مريوط أو بالقرب منها حتى بوابة القمر حتى حاجز الأمواج الذى يربط الحى الملكى بجزيرة فاروس وإلى الشرق أكثر مع الميناء الكبير. لقد كان عرض الشارع من هذين الشارعين أكثر من ثلاثين مترا (١٠٠ قدم)؛ وكانا يتقاطعان بزاوية قائمة عند حى البروكيوم أى الحى الملكى أو اليونانى. وعلى جانبى كل شارع منهما كان هناك صف من الأعمدة الرخامية كانت تتخللها مناطق مغطاة لحماية المشاة من العواصف والأمطار على نحو ما نصادفه اليوم فى شوارع بولونيا المغطاة.

وكانت باحات الشوارع تزين بالآثار التى يبرز بينها عدد كبير من المسلات وأبو الهول التى تذكر المصريين العظماء بسالف زمانهم ومجدهم.

وإلى جانب الشارعين الكبيرين كان هناك على الأقل سبعة شوارع أخرى أصغر متوازية معهما على امتداد طول المدينة مع الشارع الطولى الكبير ولكن الواحد من تلك الشوارع لم يكن ليزيد طوله عن ثلاثمائة متر (١٠٠٠ قدم)، كما كان هناك على الأقل أحد عشر شارعًا تمتد بالتوازى مع وتضم شارع الشمس - القمر (أى الشارع المتقاطع الكبير) وكان طول الواحد منها نحو أربعمائة متر (١١٠٠قدم) وكان هناك سلسلة متواصلة من الشوارع العمودية بعرض المدينة.

وكانت مساكن المدينة حتى فى المناطق المتواضعة تبنى أساسًا من الحجر، ولا تستخدم فيها الأخشاب فى الأرضيات وتقوم الأسقف على عقود من الحجر أيضا. وكانت هناك قنوات توصل مياه النيل إلى البيوت وكانت المياه تنقى أساسًا قبل أن تصل إلى البيوت. وكانت أسطح البيوت تغطى بطبقة من الدبش أو الحجارة. وكان لعدم استخدام الخشب فى الأرضية أو السقوف والأسطح ميزة مقاومة الحريق قدر الإمكان أكثر من أية مدينة أخرى فى العصور القديمة.

ولم تلبث المدينة مع مر السنين أن توسعت توسعًا كبيرًا خارج الأحياء الثلاثة الموجودة على الشريط الأساسى وفى جزيرة فاروس.

ونشأ خارج تلك المناطق أسواق تجارية كبيرة ومصانع مختلفة، ومعاهد للثقافة والفكر متنوعة، ومساكن لأناس جاءوا إلى المدينة من دول مختلفة. ولقد ازدحم الميناءان بالسفن الراسية والغادية والقادمة. وكان هناك ميناء على كل جانب من جانبى الهيبتاستاديوم حيث كانت تأتى السفن من كل حدب وصوب وكانت هناك مخازن ضخمة تقع إلى الغرب من حاجز الأمواج لتخزين الحبوب والمنتوجات التى ينتجها وادى النيل الخصب، تمهيدا لتصديرها إلى بلاد اليونان والرومان وكانت هناك سلالم رخامية تتدرج من تلك المخازن إلى مياه البحر لتسهيل التحميل والتنزيل.

ولقد كانت هناك ثكنات ومنشآت عسكرية للجنود المقدونيين والمرتزقة ومصانع للأسلحة لزوم الحروب وكانت هناك ملاعب وستاد رياضى وساحات لسباق الخيول وعربات الخيول. كما شوهدت مسارح المحاضرات العامة والقراءات العامة والمسرح اليونانى المكشوف للمسرحيات وحيث كان المشاهدون يمكنهم من مقاعدهم أن يروا شعلة فنار فاروس إحدى عجائب العالم القديم. ويعتبر هذا الفنار هو الأنموذج الذى أخذت عنه كل الفنارات. هذا الفنار الذى بناه «سوستراتوس السنيدى»، بلغ ارتفاعه ٥٩٠ قدما (حوالى ٢٠٠ متر) ويقال إنه استمر ولو جزئيا فى الوجود حتى القرن الرابع عشر حين دمره الزلزال وألقى به فى البحر. وقد انتشر المسرح الكوميدى إلى حد كبير فى الإسكندرية كما انتشر مسرح العرائس وكان صاحب هذا الاختراع هو المهندس العظيم «هيرون» الذى أبدع كثيراً من مسرحيات العرائس تلك. وانتشرت فى الإسكندرية معابد الآلهة جميعا وخاصة آلهة اليونان والمصريين كلها تجمعت فى السيرابيوم وحيث كان من المألوف أن يجتمع اليونان والمصريون فى عبادة جماعية عامة. لقد أقيم البانيوم (مزار مقدس) على ربوة صناعية ومن يتسلق تلك الربوة ويصل إلى قمة البانيوم يستطيع أن يرى الإسكندرية كلها. وكانت هناك حدائق للحيوانات البرية وحدائق للنباتات الاستوائية وفوق كل ذلك كان هناك شىء لا يوجد فى أية مدينة فى العالم القديم آلا وهو متحف ومكتبة الإسكندرية.

لقد وصف «أخيليس تاتيوس» آخر القصاصين اليونانيين وربما يكون قد استقر نهائيا فى الإسكندرية، وصف هذه المدينة الجميلة فى افتتاحية كتابه القصصى الخامس «كليتوفون وليوسبى» وجاء فى هذا الوصف: «بعد رحلة استمرت ثلاثة أيام وصلنا إلى الإسكندرية وقد دخلتها من بوابة الشمس كما كانت تسمى وقد ووجهت منذ اللحظة الأولى بجمال وفخامة المدينة التى ملأت عينى بالبهجة. ومن بوابة الشمس وحتى بوابة القمر ـ الحارسان المقدسان للمداخل ـ كان هناك صفان مزدوجان من الأعمدة على جانبى الطريق وفى الوسط كان هناك الجزء المكشوف من المدينة ويخرج من هذا الطريق شوارع جانبية عديدة. وعلى بعد مئات قليلة من الياردات وصلت إلى حى جديد أنشىء بعد وفاة الإسكندر مما يعتبر مدينة ثانية. وهذه المدينة الثانية كانت مقسمة إلى ميادين تقوم عليها صفوف من الأعمدة تتعامد عليها صفوف أخرى بزوايا قائمة ولقد حاولت أن أسرح الطرف على امتداد كل شارع ولكن عينى لم تكن تستطيعان الإلمام بكل جمال الشارع مرة واحدة ولقد استطعت أن ألتقط بعض المناطق بعينى والبعض الآخر لم أستطع، وكل ما وقعت عليه عيناى كان جميلا. ولقد جاهدت حتى أرى جميع الشوارع. وأخيرا كلَّت عيناى من كثرة النظر إلى هذا الجمال. ولقد تسمرت أمام حقيقتين هامتين إزاء تلك المدينة الأولى عدم قدرتى على المفاضلة بين ما هو أعظم وما هو أفخم وما هو أجمل: المدينة نفسها أم سكانها لأن الأولى كانت كبيرة جدا مثل قارة والثانية كانت أكبر من أن تحصى؛ لقد كانت أمة بأكملها. أما الحقيقة الثانية فإنها تأتت من كثرة نظرى إلى المدينة وتعجبى هل يستطيع أى جنس أن يملأها عن آخرها وكلما نظرت إلى السكان تعجبت هل تستطيع أى مدينة أن تستوعبهم جميعا. لقد كانت معادلة رائعة.

لقد تصادف وقت وصولى الاحتفال المقدس بإله الإغريق الأكبر المسمى زيوس وكذلك احتفال المصريين بسيرابيس، وكان هناك مواكب متلاحقة من حملة المشاعل. ولقد كان أعظم احتفال شاهدته فى حياتى فقد كان الوقت مساءً وقد غربت الشمس ولم تكن هناك أية علامة على الليل من شدة الضوء كما لو كانت

ثمة شمس أخرى قد سطعت ولكنها موزعة على قطع صغيرة فى كل اتجاه ولقد وقر فى ذهنى أن السماء تحسد المدينة على كل هذا الجمال».

وإلى جانب هذا الوصف الرائع الذى قدمه لنا الروائى السكندرى «أخيليس تاتيوس»، نضيف بعض ما ذكره الجغرافى الرائع «سترابون» الذى زار مصر أيام «أوغسطوس» وعاش فى الإسكندرية (٢٥ق.م - ٢٠ق.م) مما يعتقد معه أنه استخدم مكتبة الإسكندرية فى أبحاثه واقتبس الكثير من أعمال المؤلفين الذين اقتنت المكتبة أعمالهم على نحو ما نصادفه فى كتابه (الجغرافيا) والوصف الذى قدمه لنا يبدأ منذ دخوله الميناء الكبير وحيث عن يمين الداخل إلى الميناء نصادف جزيرة وبرج فاروس وعلى اليسار نجد سلسلة الحواجز وقنة تل لوكياس وعلى قمته القصر الملكى وعندما نبحر قليلا داخل الميناء نجد على اليسار بقية من القصور الملكية التى تتبع القصر الموجود على قنة التل وحولها العديد من المساكن المدهونة بدهانات بديعة ملونة. وفى مقدمة الميناء نجد الرصيف الصناعى الخاص بالملك وأمامه جزيرة صغيرة تعرف باسم أنتيرودس أقيم عليها قصر وميناء صغير. وعلى هذا الرصيف الملكى أقيم مسرح عرف آنذاك باسم (بوسايديوم). وهو على شكل كوع ناتىء من الإمبوريوم، وإلى هذا الكوع من اليابسة قام «أنطونيو» بإضافة حاجز للأمواج يمتد داخل الماء وعلى امتداد هذا الحاجز من الطرف الآخر بنى مسكناً ملكياً أسماه تيمونيوم حيث اعتزم أن يقضى بقية أيامه الأخيرة فى عزلة. ويأتى وراء هذا كله القيصارية (سيزاريوم)، الأمبوريوم، والمخازن، يليها بيوت السفن التى تمتد حتى هيبتاستاديوم هذا كله نصادفه عند دخولنا الميناء الكبير.

ويستأنف «سترابون» وصفه للمدينة فيقول: وبعد الهيبتاستاديوم أتينا إلى ميناء إينوستوس (إلى الغرب)، وبعد ذلك ثمة ميناء صناعى يسمى سيبوتوس ومزيد من بيوت السفن يليه ترعة صالحة للملاحة تؤدى إلى بحيرة مريوط؛ وخارج تلك الترعة أو القناة نجد على اليسار مرفأ صغيراً للمدينة وعندما أشرفنا على ضاحية نيكروبوليس ذات الحدائق والجداول ومنشآت تحنيط أجسام الموتى داخل القناة. وعلى الأكروبوليس فى راقودة (راكوتيس) أقيم معبد السيرابيوم العظيم.

لقد غصت المدينة بالمبانى العامة والمقدسة، لعل أجملها مبانى المعهد العلمى (الجمنازيوم) ذات الأروقة المعمدة التى يزيد الواحد منها فى الطول عن مجرد الاستاد. وفى وسط المدينة نجد محاكم العدل وهنا أيضا نجد البانيوم وهو تل صخرى يتم الصعود إليه عن طريق حلزونى ومن قمته تشاهد المدينة كلها. ويمتد الشارع العريض بالطول من نيكروبوليس ماراً بالجمنازيوم وحتى البوابة الكانوبية وبعدها يأتى المرء إلى هيبودروم خارج أسوار المدينة، وعندما نعبر هيبودروم نأتى إلى مستعمرات نيكوبوليس حيث هزم أوغسطوس البقية الباقية من أتباع أنطونيو وإليوسيس على القناة الكانوبية، وهو أيضا مكان للهو والعربدة التى لا حياء فيهما للذين يريدون أن يحيوا حياة كانوبية.

لقد ضمت مدينة الإسكندرية أحياء أكثر من جميلة وقصوراً ملكية تبلغ مساحتها ربع مساحة المدينة كلها «وكان هناك مبنى فوق مبنى» وكلها مربوطة ببعضها البعض.

لقد كان المتحف جزءا لا يتجزأ من القصور الملكية وكان فيه ممشى عام تنتشر على جانبيه المقاعد وكان فيه بيت كبير يجتمع فيه العلماء من كل حدب وصوب يتشاطرون العلوم.

وكان ضريح العظماء هو الآخر جزءا هاما من القصور الملكية. وكان المكان مخصصًا كمدافن للملوك وللإسكندر الأكبر.

لقد تبلورت مميزات هذه المدينة فى أنها:

١ ـ المكان الوحيد فى مصر ذو الموقع الطبيعى المهيأ لتجارة البحر حيث الميناء الرائع وتجارة البر حيث كان النيل يحمل كل شىء إليه. إنها أعظم مركز تجارى فى كل العالم المعمور.

٢ ـ إمكانية توصيل مياه الشرب العذبة من النيل إليها بسهولة عن طريق فرع كانوب.

٣ ـ إمكانية وصل جزيرة فاروس بها على نحو ما صادفناه قبلاً.

٤ ـ تعتبر جزيرة فاروس خط دفاع أمامى للمدينة.

٥ ـ وجود بحيرة مريوط فى الجنوب يشكل خط دفاع جنوبى عن المدينة، وتغسل المدينة بمياهها من الظهر كما يغسل البحر المدينة بمياهه من الوجه.

٦ ـ اعتدال المناخ على مدار العام.

لقد غدت مدينة الإسكندرية سيدة مدن العالم بلا منازع وسيدة طرق التجارة وقلب مراكز الفكر والثقافة فى العالم المعروف آنذاك.

لقد كان هناك فى تلك المدينة أربعة مبان تذكارية فاقت وبزت أى نظير لها مما وصلنا خبره. ونأتى على الصفحات التالية ببعض التفاصيل عن كل منها:

ضريح العظماء (سوما):

توفى «الإسكندر الأكبر» فى بابل فى الأولمبياد الرابع عشر بعد المائة (وفى التقويم الجريجورى يكون التاريخ هو ١٣ من يونية ٣٢٣ ق.م. وكان آنذاك فى سن الثانية والثلاثين وثمانية شهور طبقا لما قال به آريان. ومن الناحية العملية البحتة بقى جثمانة مهملاً هناك وانصرف جنرالاته إلى التناحر على اقتسام السلطة واقتسام الإمبراطورية التى خلفها وبعد شهر من موته قام المصريون المهرة بتحنيط الجثمان، ثم لف الجثمان بأرقى أنواع الكتان الفاخر وفوقه لف بصفائح رقيقة من الذهب وذلك حفاظًا على الجسم الرائع الجميل للبطل الإغريقى ويقص علينا «ديودورس الصقلى» كيف أعد الكفن ليناسب حجم الجسم. وهذا الكفن هو الآخر من الذهب وكان فيه فجوات ملئت بالتوابل النادرة للحفاظ عليه وكان للكفن أيضا غطاء آخر من الذهب المطروق لكى يناسب أيضا مقاييس جسم الإسكندر. وإن دراسة متأنية للنص الذى أورده هذا المؤرخ تكشف عن أن الإسكندر كان يحنط طبقًا للطريقة المصرية شأنه شأن الفراعنة العظماء فى مصر القديمة. وقد صنعت عربة جنائزية غير عادية فى فخامتها وصلابتها حتى تتحمل

وعورة الطرق الآسيوية وقد زينت هذه العربة بزينات هللينية شرقية غاية فى الأبهة. وفى مركز هذه العربة الجنائزية من أعلاها شيدت غرفة مستطيلة للجثمان مساحتها ١٢ × ١٨ قدمًا على هيئة معبد أيونى ذى أعمدة ذهبية وفوق الأعمدة سقف هو الآخر من الذهب مرصع بقطع من الأحجار الكريمة، وقد أحيطت الأعمدة هى الأخرى بكورنيش من صفائح الذهب ولم تكن ثمة جدران لتلك الحجرة بل مجرد شبكة من الذهب حتى تسمح برؤية الناووس أى التابوت المسجى فيه الجثمان. وكما يقول ديودورس الصقلى كانت الشبكة الذهبية هذه تقوم على الإفريز الذهبى الذى أشرت إليه سابقًا وكانت هذه الشبكة المذهبة تصور:

١ ـ الإسكندر فى عربته الملكية مع حارسيه المقدونى والفارسى.

٢ ـ أفيال الحرب تتبع الملك وحاشيته.

٣ ـ سلاح الخيالة فى هيئتهم الحربية.

٤ ـ السفن الحربية فى وضع الاستعداد للحرب.

وفى مدخل هذه الحجرة نصبت أسود من ذهب كحراس للجثمان الملكى. وإلى جوار هذه وعلى قاعدة عريضة وضع تاج ذهبى كبير يرتفع حتى السقف وكان هذا التاج على هيئة إكليل الغار للمنتصر، وكلما تحركت العربة الجنائزية تحت أشعة الشمس خرج من التاج ضوء يشبه الضوء المنبعث من زيوس. لقد كانت العربة الجنائزية مزدوجة المحاور وكانت عجلاتها الأربعة مصنوعة من الحديد على الطراز الفارسى ومطعمة برقائق من الذهب كما كان المحوران ينتهيان برؤوس أسود من الذهب الخالص وتخرج من أفواهها سهام ذهبية أيضًا. ويذكر ديودورس لنا أن محورى العجلات كانا مزدوين بآلة عجيبة تحمى غرفة الجثمان ومحتوياتها الثمينة من الاهتزازات العنيفة والصدمات التى تنتج عن السير فى الطرق الوعرة. وكان يجر العربة أربعة جياد فى المقدمة اثنان على كل جانب واحد أمام الثانى وخلف كل جواد كانت هناك أربع مجموعات من البغال كل

مجموعة منها تتألف من أربعة بغال ومن هنا يكون عدد البغال أربعة وستين بغلاً وكانت الجياد والبغال ذات سروج مزينة بحليات الذهب المبالغ فيها وقد صحب العربة الجنائزية فريق من المهندسين والميكانيكيين وممهدى الطرق. ومن المؤكد أنه كان يحمى هذا كله فرقة مختارة من الجنود كانت فى شرف الوداع الأخير لقائدها الراحل العظيم. لقد استغرق تنفيذ هذا العمل والاستعداد له عامين كاملين وانفقت عليه كما رأينا مبالغ طائلة للغاية ليس فقط بسبب كميات الذهب المستخدمة فيه وإنما أيضا بسبب الدقة المتناهية فى الاعداد والاستعداد.

وعلى طول الطريق من المدينة التى انطلقت منها الجنازة حتى مدينة المثوى الأخير خرجت الجموع لتشهد الموكب الفخم الضخم. لقد خرج المحفل الجنائزى من مدينة بابل واخترق بلاد ما بين النهرين وسط المظاهر العسكرية التى تليق بالقائد ثم اخترق سوريا حتى وصل إلى دمشق ثم إلى معبد آمون فى الصحراء الغربية لمصر حتى يبارك الإله ابنه المقدس ثم ينقل الجثمان بعد ذلك إلى مدينة إيجه المقدونية القديمة حتى يدفن الإسكندر هناك مع بقية الملوك من الأسرة الحاكمة. وهنا يتوقف ديودورس ويقول لنا إن هذه الخطوة الأخيرة من الموكب الجنائزى تم تغييرها فى اللحظات الأخيرة بناء على قرار من «بطليموس» الذى أدرك الأهمية السياسية الكبرى لدفن القائد المنتصر فى المدينة التى أنشأها فى مصر وأعطاها اسمه الخالد. ومن هنا قام «بطليموس» فى كوكبة من جنوده بمقابلة حملة الموكب الجنائزى وتفاوض مع قائدهم حتى يسمح له بتنفيذ الخطوة الأخيرة من مراسيم الدفن. ومن ثم حمل «بطليموس» الجثمان إلى منف حيث استقر هناك لفترة حتى تم تشييد مقبرة العظماء أو الضريح الأكبر فى قلب حى البروكيوم الحى الملكى فى مدينة الإسكندرية على النحو الذى بسطناه سابقًا بالقرب من الميدان الذى يتعامد فيه الشارعان الرئيسيان وهنا دفن الإسكندر فى مقبرة خاصة داخل حرم الضريح وضرب حولها سور خاص بها وقد أطلق عليها اسم (سوما) لأنها تضم جثمان أشهر رجل عرفه التاريخ. وحول هذا المكان الذى دفن فيه الملوك نشأت أفخم منطقة مقابر عرفها التاريخ. لقد صنعت هذه

المقابر من أندر أنواع الرخام اليونانى والمصرى وتوفر عليها أشهر الصناع الإغريق وأمهر البنائين والمهندسين حتى تليق بالمكان الأبدى لجثمان القائد ذى الروح الخالدة وقد امتزج فى هذه المقابر فن العمارة فى القرن الخامس قبل الميلاد مع فن العمارة فى القرن الرابع قبل الميلاد. لقد أقيمت مراسيم الدفن فى ساحة الضريح ذات الأعمدة الشاهقة الفخمة ثم فى قاعة الشعائر التى تنحدر عن الساحة بضعة درجات تلك القاعة التى أطلق عليها قاعة الأحزان، وقد امتزجت فى تلك الشعائر: الشعائر الإغريقية القصيرة اللائقة بالبطل الإغريقى والشعائر المصرية الطويلة المستفيضة اللائقة بالإله الشرقى. وفى مؤخرة غرفة الأحزان هذه وضع تابوت الإسكندر مغلفاً برقائق الذهب الخالص وفوق قاعة الأحزان هذه أقيم رواق عظيم أو لنقل معبد من الرخام الأبيض على الطراز اليونانى القديم البالغ الجمال ودقة المناسيب. وفى هذا المعبد وضعت بعض متعلقات الإسكندر وبعض قطع الأثاث الجنائزى النادرة وذات القيمة العالية. وفى هذا المكان كانت تمارس طقوس العبادة العامة المشتركة بين المصريين والإغريق.

والسؤال الذى يطرح نفسه عادة فى هذا السياق هو من بنى الضريح (سوما) وأحضر جثمان الإسكندر ليدفن فى مدينة الإسكندرية المصرية؟ يعتقد الكثيرون أن «بطليموس سوتر» هو الذى قام بكل ذلك؛ وهذا أمر طبيعى حيث مات الإسكندر ودفن فى عهد «بطليموس سوتر» فى حكم مصر والإسكندرية. وربما تكون هناك توسعات قد حدثت فى الضريح خلال حكم «بطليموس الثانى» وخلفائه وخاصة «بطليموس الرابع فيلوباتر» الذى يقال أنه أعاد ترتيب وضع المقابر داخل الضريح. ولكن طبقا لأقوال «بوزانياس» ظل جثمان «الإسكندر الأكبر» فى منف لمدة أربعين سنة ولم ينقل إلى مدينة الاسكندرية إلا على يد «بطليموس الثانى» ابن سوتر؛ ويؤكد على ذلك ما ذهب إليه كثير من الكتاب القدامى والمحدثين حيث يعزون هذا الفضل إلى «بطليموس الثانى»، وإن كان ذلك لا يتسق مع الجهود الكبيرة والمخاطر التى تجشمها «بطليموس سوتر» للاستيلاء على الجثمان والعربة الجنائزية من قائد الموكب، ومن ثم لم يكن

بطليموس الأول (سوتر) بالرجل الذى يترك الجثمان فى منف أو فى غيرها بل كان يرغب فى أن يعزى الفضل إليه، وقد أدرك بحسه مدى الفائدة الكبرى التى تعود على الإقليم الذى يحكمه (مصر) من دفن الإسكندر فى المدينة التى أسسها وحملت اسمه واتخذت حاضرة لمصر وأصبحت منارة للعالم، وبالتالى لم يتردد فى القيام بتلك الإنجازات.

وفى هذا الصدد يقول الدكتور إدوين بيفان لقد أكد «ديودورس واسترابون» وغيره من الثقاة الأقدمون أن «بطليموس الأول» هو الذى قام بنفسه بوضع جثمان الإسكندر فى مقبرته (سوما) فى مدينة الإسكندرية وكانت هناك حتى العصر الرومانى. وربما كانت تلك هى الحقيقة ولكن السبب وراء عبارة «بوزانياس» أن الجثمان بقى فى ممفيس عدة سنوات حتى تعد العدة فى الإسكندرية لاستقباله ودفنه هناك.

وبعد ذلك انتشرت حول ضريح الإسكندر مقابر ملوك الأسرة البطلمية وبدأت بمقبرة «بطليموس سوتر» أخلص خلصاء الإسكندر ومؤسس الأسرة اليونانية ـ المصرية التى انتهت بموت «كليوباترا» بطريقة درامية؛ وقد قيل أن «كليوباترا» و«انطونيو» قد دفنا بدورهما بالقرب من ضريح «الإسكندر» (سوما).

وقد ظل هذا الضريح (سوما) لعدة قرون مزاراً يحج إليه العظماء والسفلة من الحكام والعامة على السواء على مدار الأيام. لقد حج إلى هذا المقام «قيصر» وحفيده ذائع الصيت «أوغسطوس» الذى يقال أنه أثناء تحسسه لجثمان الإسكندر المحنط كسر جزءا من أنفه الملكى. وإلى هذا المقام حج «الإمبراطور سيفيروس» الذى وضع فى مكتبة الضريح مجموعة من الكتب الدينية المقدسة المصرية وأغلق المكان فى وجه العامة ولم يسمح بعد ذلك بزيارتهم للمكان. فى نفس هذا المكان جاء ابن سيفيروس «كاراكاللا» سيىء الخلق، وبعد أن أودع فيه مجوهراته الخاصة وملابسه الامبراطورية أمر بذبح شباب المدينة الذين كانوا يسخرون من شخصيته البشعة. ولقد تواتر على هذا المكان «فسباسيان»، «دوميتيان»،

«هادريان»، «أورليان» وغيرهم من أباطرة روما، ويقال أن المسلمين عندما جاءوا إلى الإسكندرية بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤٢م كان الضريح مايزال فى أبهى حلله وهيئته الأصلية التى كان عليها. ولقد قال ليو أفريكانوس ـ الذى تنصر وعمده أبوه الروحى البابا ليو العاشر ـ فى كتابه (وصف أفريقيا) الذى نقله إلى الإنجليزية جون بورى ما نصه؛ وكان هذا النص فى نهاية القرن الخامس عشر:

«إن مما لا يمكن إغفاله بين أطلال مدينة الإسكندرية الأثرية منزل صغير على شكل معبد تحته مقبره تحتوى على رفات نبى وملك (هكذا يسمونه) يجله المسلمون ورد ذكره فى القرآن آلا وهو الإسكندر الأكبر».

وإذا كان هذا الكلام قد ذكر فى نهاية القرن الخامس عشر فإن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد أسطورة يتم تناقلها من جيل إلى جيل أو ربما فعلا بقايا حطام ضريح الإسكندر الذى كان يزين المدينة لفترة طويلة، تلك المدينة التى بهتت وانهارت وتعاورتها ضروس السنين وطحنتها الأيام فغدت أثرا بعد عين وغلفتها العزلة.

وهناك دارسون وباحثون آخرون يؤكدون استمرار ضريح الإسكندر فترة طويلة بعد دخول العرب المسلمين إلى الإسكندرية من بينهم «إدوارد دانييل كلارك» الذى وضع كتابا قيما مثل كتاب ليو أفريكانوس بعنوان (مقبرة الإسكندر) وهذا الباحث جاء قبل «شامبليون» الفرنسى بفترة وهو انجليزى الجنسية وباحث فى الكلاسيكيات وقد أثبت فى هذا الكتاب أن مقبرة الإسكندر وتابوته كانا على غرار مقابر وتوابيت الفراعنة المصريين وأنها استمرت فى الوجود بنفس الفخامة والأبهة لعدة قرون بعد دخول المسلمين وربما بقيت كذلك حتى القرن الخامس عشر.

يقول «إدوارد ألكسندر بارسونز» أنه من المحتمل أنه البقايا الإمبراطورية وضريح الإسكندر قد استمرت فى أبهتها الأصلية وفخامتها على امتداد سبعة قرون بعد إنشائها ويستشهد على ذلك بقول «القديس جون كرايسوستوم» بعد

تدمير معبد سيرابيس والآثار الوثنية (٣٩١م) بثمانية أعوام الذى نطق به بعد الانتصار الكاسح للمسيحية بأعلى صوت «أين الآن قبر الإسكندر؟ أرونى إياه». وهكذا اختفت مقبرة البطل الإغريقى الإسكندر الأكبر التى قامت فى قلب الحاضرة المصرية والتى كانت مثار إعجاب العالم ومحط أنظارهم حتى لقد قيل: مات الإسكندر؛ دفن الإسكندر؛ تحول الإسكندر إلى تراب.

المتحف

لم يكن المتحف كما يبدو من اسمه مجرد مكان لتجميع التحف بل كان فى حقيقة أمره أكاديمية كاملة للدرس والبحث العلمى. وقد قامت هذه الأكاديمية هى الأخرى فى قلب الحى الملكى، الحى اليونانى، حى البروكيوم. وكان يتألف من مجموعة من البنايات الفخمة الضخمة المشيدة من الرخام الأبيض والحجارة البيضاء وكانت هذه البنايات عبارة عن صالات لإقامة التماثيل، ومعارض للوحات، وقاعات محاضرات ومساكن لإقامة العلماء والباحثين المغتربين والذين كان يقدر عددهم بأكثر من مائة عالم وباحث فى الوقت الواحد، كلهم كانوا يقيمون تحت كفالة ورعاية تلك المؤسسة الملكية: المتحف. هنا كان الباحثون وبالمجان والإقامة الكاملة، يدرسون ويبحثون ويكتبون فى كل مجالات المعرفة البشرية: فى التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والتطبيقية واللغة والأدب. وفوق كل هذا وذاك كانوا يقومون بتحقيق النصوص، ويقومون بنسخها وتعديد نسخها ويبيعونها لمن يريد أن يكون مكتبة شخصية. لقد كان كبير أمناء المتحف أو مدير الأكاديمية شخصا عالمًا بل وأهم مفكر فى عصره.

يقول «بارسونز» فى هذا الصدد أن المتحف كان يعتبر أكبر جامعة فى العالم الهللينى. ولم يكتف المتحف بأن يقدم للعلماء والباحثين أماكن للنوم والإقامة وصالات الطعام وأماكن للراحة والمشى والنقاش والتأمل، وقاعات للمحاضرات فى الفلسفة والعلوم وقراءة أعمال الشعراء والمؤرخين الكلاسيكيين؛ ولم يكن كذلك مجرد مكان لحدائق النباتات والحيوانات اللازمة للبحث والدرس، ولكنه

كان قبل ذلك وفوق ذلك المكان الذى لا نظير له فى جمع وتنظيم أكبر مجموعة من مصادر المعلومات فى العالم القديم ونعنى بذلك مكتبة الإسكندرية مما سنراه تفصيلاً فى هذا البحث.

يقول فيرديناند جريجوريوس فى كتابه عن الإمبراطور هادريان «لقد نشرت مدرسة الإسكندرية العلم والمعرفة فى العالم المتحضر بأوسع وأطول مما قامت به أية جامعة لاحقة عليها سواء تلك التى وجدت فى باريس أو بولونيا أو بادوا لقد استمر هذا العطاء العلمى فترة أطول كثيرا بعد توقف قوة العلم الإغريقى والمعرفة الموسوعية للإغريق. لقد تجمع هذا كله وأتى أكله فى مكتبة ومتحف الإسكندرية».

السيرابيـوم

يعتبر معبد السيرابيوم الذى أقيم على ربوة عالية فى الحى المصرى القديم (راقودة)، والذى بنى أساسًا من الرخام المصرى ومواد أخرى نادرة، يعتبر أهم المبانى الأثرية فى الإسكندرية القديمة على الإطلاق. وقد سيطر على الحاضرة كلها بكل أحيائها. وفى هذا المعبد كما ألمحت من قبل كان يمكن للمصريين واليونانيين على السواء أن يتعبدوا فى الصلوات الجماعية معًا ويؤدوا شعائر مشتركة بينهم وتحت قيادة كاهن واحد مشترك، سواء كان الكاهن تابعا للإله زيوس اليونانى أو الإله أوزيريس المصرى القديم.

هذا السيرابيوم أو معبد سيرابيس كان من الجمال والجلال بحيث قال عنه «إميانوس مارسللينوس»:

«لا يمكن لوصف أن يوفيه حقه. إنه تزينه ردهات ذات أعمدة بهية وتماثيل تكاد تتنفس وقطع فنية أخرى كثيرة. وهو يلى فى روعته مبنى الكابيتول فى روما الذى تتطلع به إلى الخلود ولا يوجد فى الدنيا كلها ما هو أفخم منه».

ومن المعروف أن المكتبة الصغرى أو المكتبة الإبنة للإسكندرية كانت قد وضعت فى هذا المعبد، على النحو الذى سوف نراه تفصيلا فيما بعد.

لقد كانت الإسكندرية مدينة الجن والملائكة، مدينة العلم والملاهى ويصدق عليها وصف «هيرودس» حيث قال:

«مصر ـ الإسكندرية ـ !! هناك تجد معبد الإلهة آرسينوى. هناك تجد كل شىء من أى مكان: الثراء الفاحش؛ دور العلم؛ القوة؛ الراحة والاسترخاء؛ المجد؛ العروض الفنية؛ الفلاسفة؛ الذهب؛ الشباب؛ الآلهة والإلهات الأخوة والأخوات؛ الملك؛ الرجل المتحرر؛ المتحف؛ النبيذ؛ كل الأشياء الجميلة الطيبة التى يتمناها القلب، والنساء أيضا هناك أكثر عددا من النجوم، وهن فى جمال الإلهات اللائى ذهبن إلى باريس للتقاضى!!».

وبينما كانت شمس أثينا تغرب وأيام خريفها تقترب وكانت الثقافة اليونانية آخذة فى التجمد وكتابها الذهبى بدأ يغلق، ظهر هناك شاب حمل المشعل المتهاوى وحمله عبر القارات الثلاث، وفى قلب العالم القديم بنى أثرا بقى لمدة ثلاثة قرون حاملاً مجد الفكر الهلليني فى التجارة والفن والعلم. وعندما ماتت بلاد اليونان وقام على أنقاضها الرومان بعثت روح الإسكندر فى المنطقة أربعة قرون أخرى.

لقد بقيت الإسكندرية رمزًا لعظمة بانيها؛ واستغرقت ألف سنة من الثورات المتلاحقة وحملات التخريب حتى خفت صوتها وخنقت فيها روحها الكلاسيكية، وسقطت فى ظلام العصور الوسطى.

المكتبة

كانت المكتبة هى أحد ملحقات المتحف الأساسية وكانت ترتبط بمبانى المتحف عن طريق بهو من أعمدة الرخام الأبيض. وكان مبنى المكتبة نفسه هو الآخر من الحجر الأبيض والرخام الأبيض ومن ثم كان منسجمًا مع سائر مبانى المتحف وجزءا متكاملا معها بحيث يقدم العلم والحكمة حسب مشورة ونصيحة «ديمتريوس الفاليرى» إلى «بطليموس الأول». وهنا فى هذا المكان كانت المكتبة الأم مكتبة المتحف كما كانت تسمى والتى اعتبرت إحدى عجائب العالم القديم.

لقد ضمت المكتبة كما سنرى تفصيلا فيما بعد عشر صالات واسعات، كانت جدرانها مقسمة إلى خزانات مرقمة ومعنونة وفى كل خزانة كانت ترتب الكتب التى تحوى الحكمة والعلم والمعرفة التى تراكمت عبر قرون البشرية العالمة. ولقد خصصت كل صالة من الصالات العشر لأحد فروع المعرفة البشرية حسب التصنيف العشرى الهلليني للمعرفة على نحو ماجاء فى فهرس «كاليماخوس» المسمى بيناكس. وكان من المألوف أن يرتاد هذه الصالات العلماء والباحثون للقراءة والبحث والاطلاع، على الرغم من أنه كانت هناك قاعات أصغر منفصلة للبحث الفردى أو للمجموعات الصغيرة التى تقوم بأبحاث خاصة ودراسات مشتركة.

لقد أنشئت المكتبة مع نهاية عصر الكتَّاب اليونانيين العظام (أرسطو، ديموثينز: توفيا سنة ٣٢٢ ق.م)، وحيث قدمت أثينا كل أدوات ومقومات قيام تلك المكتبة: القوة والابتكار والعلم والإنتاج الفكرى اللازمة للقيام والاستمرار والحماية. لقد كان قيام المكتبة أهم إنجاز فى الحياة الفكرية للبشر فى حينه.

الحضارة الهللينية

يقصد بالحضارة الهللينية تلك الحضارة التى ازدهرت فى القرون الثلاثة السابقة على ميلاد المسيح مباشرة أى التى أعقبت موت الإسكندر الأكبر. وهى فى أصلها وجوهرها حضارة يونانية امتزجت بحضارات المناطق التى فتحها الإسكندر وكون منها إمبراطوريته. ولابد وأن نقرر بداية أنها كانت حضارة اللغة اليونانية لأن تلك اللغة أصبحت لغة الدواوين الحكومية فى عموم الإمبراطورية وكانت لغة التخاطب بين التجار ولغة المعاملات التجارية حيث انتشر التجار اليونانيون فى عموم الإمبراطورية وأكثر من هذا انتشرت الجاليات اليونانية فى مشارق الدولة ومغاربها وافتتحوا المدارس فانتشرت معهم لغتهم وخاصة لغة أهل أثينا.

لقد كانت اللغة اليونانية أيضا هى لغة التأليف والنشر ليس فقط من جانب المفكرين والعلماء الإغريق ولكن أيضا من جانب العلماء والمفكرين فى الدول

المفتوحة الذين وجدوا أنه من الضرورى لانتشارهم وذيوع صيتهم أن يكتبوا وينشروا باللغة الرسمية لغة السيادة، وعليه فلم يكن الفكر الذى أبدع فى الحقبة الهللينية كله فكرًا يونانياً إغريقياً خالصًا، بل ولم يكن هذا الفكر يمثل إلا جزءا صغيرا مما نشر فى تلك القرون.

من جهة أخرى فلابد وأن نتوقف أمام حركة الترجمة والنقل التى قام بها الإسكندر الأكبر وخلفاؤه من لغات الدول المفتوحة إلى اللغة اليونانية فنقل كثيرًا من أعمال الفرس وأعمال البابليين والآشوريين والمصريين وغيرهم إلى اللغة اليونانية وكانت حركة نقل وترجمة واسعة النطاق أثَّرت فى وأثرت مقتنيات مكتبة الإسكندرية إلى حد كبير. إن المرء فى تلك الفترة كى يبدو متحضراً ومثقفًا كان عليه أن يجيد اللغة اليونانية قراءة وكتابة ويستعملها فى حياته اليومية كما نفعل نحن اليوم بالنسبة للغات السيادة: الإنجليزية والفرنسية. ولم يقتصر انتشار اللغة اليونانية على المدن فقط بل تسللت إلى القرى وإن كان أهل القرى يتكلمون اليونانية المكسرة غير اليونانية الفصحى السليمة التى يتحدثها أهل المدن. ومما يكشف عن أهمية وخطورة تعلم اللغة اليونانية فى تلك الحقبة قيام اليهود أنفسهم بترجمة العهد القديم من العبرية والآرامية إلى اللغة اليونانية فى الإسكندرية فيما عرف بالترجمة السبعينية.

ولعله من نافلة القول أن نذكر فى هذا السياق أن اليونانيين قد اشتقوا لهم أبجدية من الأبجدية الفينيقية، وأن هذه الأبجدية هى التى كتب بها الفكر فى الحقبة الهللينية. وكانت مادة الكتابة الأساسية فى تلك الحقبة هى ورق البردى المصرى الذى كان سيد مواد الكتابة ربما حتى القرن الرابع الميلادى، وإن لم يعدم الأمر وجود مواد أخرى كالرق وألواح الخشب وألواح الطين. ومن هذا المنطلق فقد كان الجانب الأعظم من الإنتاج الفكرى آنذاك مكتوبا على البردى؛ وكانت مقتنيات مكتبة الإسكندرية هى أساسًا من هذه المادة.

لقد عاش سكان المدن الهللينية فى بلهنية من العيش وبحبوحة من النعيم

ورفاهية وترف مقيم. وكان الأثرياء منهم يبنون منازلهم بالحجر الأبيض بدلاً من الطوب ويحيطونها بأروقة ذات أعمدة من الجوانب الأربعة. وكانوا يستخدمون الفسيفساء والرخام بغزارة فى أرضيات المنازل وجدرانها. وفى معظم الحالات كانت البيوت تؤثث بأفخر الأثاث وآنقه. وفى عصور الرفاهية المطلقة كان الماء يدخل إلى المنازل عبر أنابيب خاصة تمتد تحت بلاط الشوارع، كما عرفت البيوت أيضا أنابيب الصرف الصحى.

وانتشر فى العصر الهللينى إنشاء المدن الجديدة بكثرة واضحة وكانت تلك المدن الجديدة منظمة تنظيماً جيدًا بحيث تكون الشوارع قائمة الزوايا وتقسم المدينة إلى أحياء كل حى يتألف من مجموعة مربعات أو مستطيلات يضم المستطيل والمربع الواحد عددًا من المنازل. وكانت الشوارع مبلطة تجرى تحتها أنابيب المياه والمجارى. وكانت الشوارع تضاء ليلا بالمصابيح. وكان فى كل مدينة مبانى عامة وحكومية، وأسواق وحدائق وملاعب وحمامات وميادين للسباق ومسارح للتمثيل ومعابد لعبادة الآلهة. ولم يكن ذلك الأمر قاصرًا على المدن الكبيرة فقط بل امتد إلى المدن الصغيرة التى لم يكن سكانها ليزيدوا عن بضعة آلاف نسمة ومن الطريف أنه كان فى كل مدينة صالة اجتماعات فسيحة تسمى قاعة المجتمع تعقد فيها الاجتماعات العامة وكان اليونانيون يطلقون عليها «بازيليكا» وكان مكانها غالبا على جانب من السوق العامة. وقد أسلفت كيف تأنق المهندسون الهللينيون فى تخطيط وتنفيذ مدينة الإسكندرية. ومن المدن الجميلة أيضا فى العصر الهللينى مدينة برجاموم التى أسست هى الأخرى مكتبة كبيرة أرادت أن تنافس بها مدينة الإسكندرية. وقد ازدهر فى تلك المدينة فن نحت التماثيل وأعمال الصخور والرخام.

لقد ازدهرت فى العصر الهللينى فنون التصوير إلى جانب فن النحت. ولم يكتف فنانو ذلك العصر برسم الصور والمناظر على مواد التصوير بل رسموها أيضا على الجدران وأرضيات الفسيفساء. ومن الطريف أن الشخصيات الكبيرة كان لها رساموها الخصوصيون فهذا هو الإسكندر الأكبر كان له مصور رسام

اسمه «أبلاس» رسمه ذات مرة وهو ممتطيا جواده وقد أحكم الرسام تلوين الجواد إحكاماً مدهشًا حتى ظهر الجواد وكأنه حى يركض، ويقال أن حصاناً مر بتلك الصورة وتوقف أمامها وركض إليها وحمحم. ولقد انتشرت أعمال تصوير المناظر الطبيعية والأشخاص انتشاراً كبيراً وإن لم يصلنا منها شيئ كثير. ولقد وصلتنا المنحوتات بكثرة سواء على الحجر أو المعدن أو النياشين وقطع النقود.

ولم تنتشر فى العصر الهللينى العلوم الطبيعية النظرية وحدها بل طبق العلم على العمل وانتشرت العلوم التطبيقية على نطاق واسع كما سنرى فيما بعد. لقد ارتفع شأن علم الرياضيات وبرز «إقليدس» من بين رجال أكاديمية الإسكندرية (المتحف) وكان أعظم علماء الرياضيات طرا ومازال اسمه يتردد حتى يومنا هذا ومازال كتبه فى الهندسة يدرس حتى الآن. وظهر فى ذلك العصر أيضا «أرشميدس» ووضع نظريات جديدة فى الرياضيات وطبق العلم على العمل على نحو ما سنعالجه فيما بعد. وبلغ من صعوبة النظريات التى وضعها أنها لم تنتشر فى ذلك الزمان إلى أن أعيد إحياؤها الآن. ولقد ازدهر علم الفلك أيضا ازدهاراً عظيما وعُنّى به البطالمة أيما عناية ونحن نعلم أنه ألحق بالمتحف فى الإسكندرية مرصد فلكى استخدم فى القيام باكتشافات فلكية عظيمة توفر عليها فلكى من ساموزا اسمه «أرسترخس» وهو الذى قال بأن الشمس ثابتة والأرض وغيرها من الكواكب حولها تدور على العكس مما كان سائداً آنذاك. كما وضع أحد الفلكيين فى ذلك العصور جدولاً فلكياً يضم أسماء وأوصاف نحو تسعمائة نجم من النجوم الثابتة. وفى ذلك الوقت تم قياس محيط الأرض وجاء قريبا جدًا من القياس الحقيقى لها الآن.

ازدهر علم النبات وعلم الحيوان وقاد «أرسطو» وتلاميذه التفكير والتأليف فى هذين العلمين، وقد اكتشفوا بدون آلات أو ميكروسكوبات الكثير من الحقائق العلمية والنظريات الجديدة وأسقطوا معلومات ونظريات قديمة. وكان لديهم فى متحف الإسكندرية معمل للتشريح: تشريح الحيوانات والبشر وكان البطالمة يقدمون لهذا المعمل عدد كبيراً من المحكوم عليهم بالإعدام لإجراء التجارب

العلمية عليهم وهم أحياء. وكان من جراء تلك التجارب اكتشاف الجهاز العصبى ودوره فى توصيل رسائل اللذة والألم إلى المخ من سائر أجزاء الجسم واكتشفوا أن المخ هو مركز ذلك الجهاز العصبى. ونحن نعلم أن الإسكندرية كانت فى تلك الحقبة أهم مركز للدراسات والبحوث الطبية فى العالم القديم يقصده طلاب الطب من جميع أنحاء ذلك العالم.

وعندما تذكر اليونان والعالم الهلليني فلابد وأن تذكر الفلسفة والأخلاق والمنطق حيث هى علوم يونانية هللينية صرفة. ولقد انتشرت التربية والتعليم فى بادىء الأمر على شكل مدارس خاصة فى أول الأمر ولكنها أصبحت حكومية تتولى الدولة أمرها وتتحمل تكاليفها. وكان الطالب الذى يجتاز المرحلة الإبتدائية يواصل تعليمه العالى فى اللغة والفلسفة والرياضيات. ورغم أن الفلسفة كانت تتضمن دراسة كل فروع المعرفة البشرية تقريبًا إلا أنه كان هناك نوع من التخصص فى الدراسة على حسب المهنة التى يرغب الشخص فى امتهانها بعد الانتهاء من الدرس، وعلى سبيل المثال: الطب والهندسة والفلك والكيمياء.. ويمكننا القول مطمئنين بأنه كانت هناك فى ذلك العصر مدرستان أو جامعتان كبريان لتدريس العلوم وتدارسها. أولى تلك المدارس مدرسة الإسكندرية التى تجمع منها رهط عظيم من العلماء يدرسون فى موضوعات مختلفة كالفلك والطب والرياضيات وعلم النبات وعلم الحيوان وعلوم اللغة والآداب والجغرافيا وغيرها. وكانت مدرسة الإسكندرية تميل إلى التجريب والتطبيق أكثر من ميلهم نحو التجريد والفلسفة ولذلك لم تحفل الإسكندرية كثيرا بالعلوم الفلسفية النظرية على نحو ما حفلت به أثينا كما سنرى بعد قليل والمدرسة الثانية أو الجامعة الثانية فى الحقبة الهللينية كانت مدرسة أثينا وكانت هذه المدرسة تجنح نحو العلوم الفلسفية أكثر، وكان طلاب الفلسفة يأتون إلى أثينا من كل حدب وصوب وكان على رأس هذه المدرسة أتباع أفلاطون وطلابه (٤٢٨ ـ ٣٤٧ ق.م) يدرسون كتب أفلاطون ونظرياته فى المكان الذى اختاره وهو الأكاديمية. وكان «أرسطو» تلميذ «أفلاطون» ومعلم الاسكندر قد عاد من مقدونيا إلى أثينا بعد أن أتم تعليم

الإسكندر. وقد انشأ «أرسطو» مدرسة خاصة به لاختلافه علميًا مع أستاذه «أفلاطون». وقد عرفت مدرسة أرسطو باسم الليسيوم نسبة إلى المكان والمشائين نسبة إلى طريقة التدريس أثناء المشى أو بمعنى آخر المشى أثناء التدريس. وقد جمعت أعمال أرسطو فى موسوعة ضخمة اعتبرت المرجع الأساسى في العلوم طوال العصور الوسطى واعتبر «أرسطو» أعظم مفكر فى العالم القديم والوسيط على الاطلاق ولما مات «أرسطو» تفككت مدرسته.

ومن الطبيعى أن تأخذ فلسفة أفلاطون وقتها ثم يتحول عنها الناس، وكذلك الحال بالنسبة لفلسفة أرسطو، وكان من الطبيعى أن تنشأ مدارس فلسفية أخرى من أثينا؛ مدارس تواكب العصر الجديد وتحاول أن تقدم للناس فلسفة تساعدهم على الحياة العملية وطيب العيش بدلاً من الفلسفة التى تطلب منهم المجاهدة والمجالدة لتحقيق الكمال. ومن هذه الحال والأوضاع خرجت مدرستان جديدتان للفلسفة هما: مدرسة الفلسفة الرواقية ومدرسة الفلسفة الأبيقورية. ومؤسس الفلسفة الرواقية هو زينون القبرصى المولد الشرقى السامى الأصل وسميت فلسفته بالرواقية لأنه كان يعلم تلاميذه في الرواق القديم فى المدينة فنسبت المدرسة والفلسفة إلى المكان الذى تلقى فيه المحاضرات. وملخص هذه الفلسفة الجديدة أن الحياة تقوم على شيئين فقط أحدهما صالح وهو الفضيلة والآخر فاسد وهو الرذيلة وأنه لكى تعيش النفس فى سلام وطمأنينة فلابد أن تحيا حياة الفضيلة وفى هذه الحالة سوف يستوى لديها اللذة والألم فإذا حدث ما ينغص الحياة لم تشعر النفس الفاضلة بذلك التنغيص. وقد انتشرت هذه الفلسفة بين الناس انتشاراً كبيراً لأنها تحقق لهم السلام الداخلى والطمأنينة. أما المدرسة الثانية وهى الأبيقورية فإنها تنسب إلى «أبيقورس» الذى كان يحاضر طلابه فى حديقته بأثينا. وتقوم الفلسفة الأبيقورية على أن الخير الأعظم للإنسان هو اللذة سواء كانت لذة فكرية معنوية أو لذة حسية مادية بشرط أن تكون هذه اللذة «حلالاً» أى تدخل فى دائرة الفضائل ولا تقترب من دائرة الرذائل. ومن هذا المنطلق انغمس الأبيقوريون فى تحقيق الملذات وخاصة الأكل ولذلك وجدت هذه الفلسفة

رواجاً عظيماً لدى الناس فأقبلوا عليها إقبالاً شديدًا، بيد أنهم مع مرور الوقت أنحرفوا عن مبادىء الفضيلة وانخرطوا فى لذات الرذيلة غير المشروعة حتى غدا شعار هذه الفلسفة «لنأكل ونشرب ونمرح لأننا غدا سوف نموت».

لقد كان من بين حسنات الفلسفة الرواقية والأبيقورية أن اتخذها المثقفون والمتحضرون دينا لهم أحلوه محل الآلهة المتعددة، وبالتالى انصرفوا عنها وفقدت تلك الآلهة ماكان لها من منزلة فى نفوس الناس بل وأكثر من هذا وأصبحت الآلهة فى نظر هؤلاء الناس مجرد كائنات بشرية يمجدونها فقط. وكتب «أهميروس» الذى عاش بعد عصر الإسكندر قصة خيالية تؤكد على أن هذه الآلهة التى اخترعها اليونانيون كانت فى الأصل ملوكا من ذوى الحول والطول والدهاء بذلوا جهدًا كبيراً فى استعباد الناس. وهذه القصة حقيقية مائة فى المائة ولنا فى الملوك والأباطرة اليونانيين أنفسهم الدليل على ذلك حتى الإسكندر نفسه سعى هذا السعى.

لقد جاد العصر الهللينى علينا بأربعة مدارس فكرية: الأكاديمية (امتداد أفلاطون فى الزمان والمكان والفلسفة)؛ الليسيوم (مدرسة أرسطو التى كانت أعظم المدارس أثناء حياته وإن خفتت بعد وفاته). الرواق (رواق زينون الذى كان يدرس فيه فلسفته)؛ حديقة أبيقورس (المكان الذى كان يلقى فيه أبيقور محاضراته على تلاميذه). وفى ظل هذا كله قامت مدرسة الإسكندرية على النحو الذى سنراه تفصيلاً.

لقد ازدهر علم الجغرافيا فى العصر الهللينى إلى حد كبير بفضل تقدم علم الفلك من جهة وتقدم الرحلات والأسفار من جهة ثانية فقد ساعد علم الفلك على معرفة حجم الأرض وحركات الشمس صيفا وشتاءً. وساعدت الأسفار والرحلات على معرفة مساحات المناطق المسكونة وقياس علو الجبال. ويذكر أن التجار اليونانيين خاضوا عباب البحار والمحيطات بسفنهم التجارية وداروا حول أفريقيا وارتادوا جزيرة سيلان (سريلانكا الآن) والساحل الشرقى للهند. كما قام

الفينيقيون بعبور بوغاز جبل طارق. ويذكر أن الجغرافى والفلكى «بيثياس» جهز سفينة على حسابه الشخصى واخترق بها جبل طارق ودار حول الجزر البريطانية وعبر إلى بحر الشمال وجزيرة ثول (أيسلندا الآن).

وبرز فى العصر الهللينى الجغرافى الأشهر «إراتوثينز» الذى وضع كتابا ضخمًا في الجغرافيا رسم فيه خريطة للعالم القديم المعروف له بقاراته الثلاث: أوروبا ـ آسيا ـ أفريقيا. ورسم على هذه الخريطة خطوط الطول والعرض ووصف حوض البحر الأبيض المتوسط وصفا دقيقًا وجمع فى هذا الكتاب مادة علمية غزيرة لم يسبقه إليها غيره.

لم يكتف علماء العصر الهللينى بالنظر والبصر فقط بل انطلقوا من ذلك كله إلى التجريب والتطبيق واستخدام العلم فى العمل، فجاد العصر باختراعات عديدة، بعضها كان عامًا من النوع الذى يحدث الانقلاب فى مجال العلم والعمل، وبعضها محدود طريف. من بين الاختراعات العامة آلات إطفاء الحرائق، الآلات الحربية التى تقذف اللهب بضغط الهواء فقط، المسارح المتحركة تلقائيًا، الساعات الشمسية والمائية، عصًارات زيت الزيتون. ومن الاختراعات المحدودة مغاسل أوتوماتيكية تقدم الماء والصابون بقدر اللزوم، طرق فتح وغلق الأبواب أوتوماتيكيا، صنابير الماء.

وتذكر المصادر أن أعظم رحالات العلوم التطبيقية فى ذلك العصر هو أرشميدس الشهير من سيراقوسة، وهو صاحب آلات رفع الأثقال التى تقوم على مجموعة من البكرات تساعد على تعظيم قوة الدفع والرفع إلى درجة خيالية حتى أنه يمكن دفع سفينة ضخمة مملوءة بالبضائع فى البحر بحركة بسيطة من تلك البكرات. ولقد اخترع الرجل أيضا آلات حربية جبارة لم تُعرف قبل زمانه وغير ذلك من الاختراعات العملية التى دفعت الحضارة الهللينية قدماً إلى الأمام. لقد فاخر الرجل إلى حد الشطط باختراعاته هذه حتى قال «أعطونى مكانا أقف فيه أزحزح لكم الأرض». لقد كان أرشميدس مدرسة فى حد ذاتها وكانت هناك

مراسلات وصلات علمية مع زملائه فى مدرسة الإسكندرية، وقد ألفوا فيما بينهم جمعية علمية داخل متحف الإسكندرية ودفعوا البحث العلمى واكتشاف القوانين العلمية خطوات كثيرة إلى الأمام.

ولعله من نافلة القول أن هذه الحركة العلمية الثقافية الفكرية الحضارية فى العصر الهلليني واكبها وساعد عليها ازدهار حركة التأليف والترجمة والنشر وانشاء المكتبات. لقد جاءت روافد حركة النشر من مصادر ثلاثة هى:

١ ـ تحقيق التراث القديم وتدوينه، ذلك أن الشعب اليونانى كان فى بادىء الأمر يجنح نحو النقل الشفوى للمعلومات وظل ردحاً طويلاً من الزمن على ذلك الحال ومن ثم فإنه فى العصر الهلليني وجد تراث ضخم انتقل من جيل إلى جيل ومن مكان إلى مكان عن طريق التواتر وبالتالى كان لابد من تسجيله وتدوينه ونشره بين الناس، وما وصل إلى هذا العصر مكتوباً كان لابد من الوقوف أمامه وتحقيقه وإمعان النظر فيه.

٢ ـ الترجمة، فكما ألمحت من قبل حرص الإسكندر الأكبر على نقل تراث الشعوب المفتوحة إلى اللغة اليونانية وكانت حركة الترجمة قد اشتدت بعد وفاته وعظمت إلى حد كبير سواء من الفارسية أو المصرية القديمة أو البابلية أو الأشورية أو الآرامية والعبرية ولو نظرنا إلى رصيد الفكر البابلى والآشورى والمصرى القديم لوجدناه من الضخامة بحيث يمد حركة الترجمة إلى اليونانية أرداحا طويلة من الزمن.

٣ ـ التأليف الجديد إن المتأمل فى الثقافة الهللينية سوف يجدها إلى حد كبير نتاج ثقافات وفكر العديد من الشعوب المفتوحة يضاف إليها الثقافة اليونانية الأصلية المتأثرة بداية بالثقافة المصرية والأشورية وكما أشرت من قبل قام المؤلفون فى عموم الامبراطورية الجديدة بوضع المؤلفات فى كل المجالات والموضوعات باللغة اليونانية التى أصبحت لغة العلم والأدب.

هذه الروافد الثلاثة أمدت حركة نشر الكتب فى الحقبة الهللينية بوقود لا ينفد

يدلنا على ذلك العدد الكبير من المجلدات التى تجمعت لدى مكتبة الاسكندرية على النحو الذى سنراه تفصيلا فيما بعد، والمكتبات الأخرى التى انتشرت فى العصر الهلليني.

لقد انتشرت المكتبات الخاصة فى تلك الحقبة انتشارًا كبيرًا بسبب انتشار التعليم من جهة وانتشار البحث العلمى من جهة ثانية. يضاف إلى ذلك المكتبات الرسمية التى بدأت منذ زمن الاسكندر واستمر مدها بعد وفاته وعظمت حركتها فى الحقبة الهللينية. ويذكر أن أول مكتبة أسستها حكومة يونانية كانت مكتبة «هرقلية» على ساحل البحر الأسود نحو سنة ٣٥٠ ق.م وتوالت المكتبات الرسمية بعد ذلك فى أماكن مختلفة وكانت الحكومة هى التى تشرف عليها وتقوم بنفقتها. وكانت مكتبة الإسكندرية تتويجًا رائعًا لحركة إنشاء المكتبات فى الحقبة الهللينية.

يقول الدكتور مصطفى العبادى أنه بعد وفاة الإسكندر وانقسام الإمبراطورية بين قادته إلى ممالك مستقلة، نشأت بينهم منافسة شديدة حيث أراد كل منهم أن تكون مملكته هى الأقوى والأعظم والأكثر تحضرا فى مضمار العلم والثقافة ومن أهم من برز فى هذا الشأن البطالمة فى مصر والسلوقيون فى سوريا والآتاليون فى برجاموم، حيث حاول هؤلاء جميعا إحراز قصب السبق فى العلم والثقافة وإنشاء المكتبات على الأقل فى عواصم ممالكهم وهى على التوالى الإسكندرية وأنطاكية وبرجاموم. ومع التطور وبالتدريج وجدنا المكتبات العامة تتخذ شكل الظاهرة فى معظم المدن الهللينية كبيرها وصغيرها حتى إن مؤرخًا مثل بوليبيوس فى القرن الثانى قبل الميلاد يعتبر وجودها أمرًا مفروغًا منه على النحو الذى نستشفه من عبارته الساخرة «إنه من اليسير على أى شخص أن يكتب بالنقل من الكتب إذا ما أقام فى مدينة مزودة بوفرة من الوثائق ومكتبة».

* * *

الفصل الثالث

تأسيس وقيام مكتبة الإسكندرية القديمة

الفصل الثالث

تأسيس وقيام مكتبة الإسكندرية القديمة

كانت مكتبة الإسكندرية القديمة لغزًا فى قيامها وتأسيسها ولغزًا فى نهايتها ومصيرها. نحن لا نعرف على وجه اليقين من أسس المكتبة كما لا نعرف على وجه اليقين الأسباب التى دعت إلى إنشائها، كذلك لا نعرف حجمها ولا نوعيتها بل وجنسيتها. وكل مالدينا من معلومات عبارة عن نتف مبعثرة هنا وهناك وآراء وأقوال متضاربة فى معظم الأحيان ونحن هنا نحاول جهد الطاقة أن نرسم لوحة متكاملة قريبة مما نعتقد أنه الحقيقة من تلك النتف المبعثرة، ومن المؤكد أن هناك دائمًا بذرة الحقيقة الكامنة فى بطن كل أسطورة.

بعد وفاة الإسكندر فى يونية ٣٢٣ ق.م كان هناك صراع على السلطة بين قادته وخلصائه ومناورات ومؤامرات حول من يخلفه. ومن الناحية الرسمية البحتة نصب أخوه المختل عقليا «فيليب آرهيدايوس» ملكا على الإمبراطورية خلفًا للإسكندر ولكن السلطة الحقيقية كانت فى يد القادة المقدونيين وغدا «بيرديكاس» الوصى الأعلى على الامبراطورية. وكانت هناك صفقة من نوع ما بين «بيرديكاس» و«بطليموس» وبمقتضى هذه الصفقة عضد «بطليموس» «بيرديكاس» فى الوصاية على الإمبراطورية بينما يمنح «بطليموس» حكم مصر. وقد قام أحد القادة المقدونيين بإعداد ترتيبات الجنازة على نحو ما رأيناه سابقا وكان هذا القائد يعرف باسم «آرهيدايوس» أيضا ـ وهو غير شقيق الإسكندر ـ وفى خلال خمسة شهور فقط ارتحل «بطليموس» إلى مصر لتولى السلطة ويصبح السوتراب.

كان «بطليموس» سليل عائلة نبيلة فقد كان أبوه «لاجوس» من نبلاء الريف

فى مقدونيا وأمه تمت للعائلة الملكية بنسب. وكانت هناك شائعة تقول بأنه ابن «فيليب الكبير» ومن ثم فإنه يكون أخ غير شقيق للإسكندر. وفى صباه تربى داخل البلاط الملكى مع الإسكندر وكان دائما صديقا حميمًا له وقد صحبه فى حملته فى آسيا الوسطى فى أعماق الهند بل وكان واحدا من حراسه السبعة. وكان بطليموس قائداً وجندياً فذاً. وكان الرجل مسيطراً على نفسه بحيث تجنب الكثير من الإغراءات التى وقع فيها كثير من خلصاء الإسكندر ويقول عنه الثقاة أنه كان بعيد النظر ثاقب البصيرة يجيد لعبة السياسة ويخرج منها منتصراً عادة. وكان إذا دخل صفقة مع رجل أو امرأة كسبها وربحها، كان يعرف بالضبط ماذا يريد ويصل إلى غايته بهدوء وسرعة وسرعان ما اكتسب الرجل حنكة سياسية بارعة ومن ثم أصبح بلا منازع أنجح خلفاء الإسكندر وكان حيثما تفشل السياسة يستخدم القوة المسلحة، ويستخدم القوة المسلحة فقط عندما لا يجد مفراً من ذلك. ولقد كانت لديه الجسارة والجرأة فى الاستيلاء على مصر واتخاذ القرارات المناسبة التى تتطلبها المخاطر الجسيمة.

لقد ظهر «بطليموس» فى مصر فى الوقت الذى وصلت فيه جنازة الإسكندر إلى جنوبى سوريا بقيادة «آرهيدايوس» بعد سفر طويل من بابل. وكما ألمحت سابقا قابل «بطليموس» موكب الجنازة بحفاوة بالغة ومراسيم شديدة القوة والروعة وأخذ الجثمان إلى ممفيس (منف) مقر حكم الفراعنة فى مصر القديمة حيث أقيمت الصلوات والمراسيم الدينية للراحل العظيم. وكان «بطليموس» يعلم أنه بهذا الإجراء واعتزامه إبقاء الجثمان فى مصر إنما يعتدى على سلطات «بيرديكاس» الوصى على الإمبراطورية، ولكنه اتخذ هذه الخطوة لإظهار قوته الشخصية. ولقد أبقى الجثمان فى ممفيس بعض الوقت حتى أتم بناء ضريح العظماء (سوما) الذى يدفن فيه جثمان الإسكندر وسائر ملوك الأسرة البطلمية على النحو الذى ألمحت إليه سابقًا، تلك الأسرة التى حكمت مصر ثلاثة قرون بعد ذلك.

ولما أصبح العداء هكذا ظاهرًا بين «بطليموس» و «بيرديكاس»، قبض

«بطليموس» على «كليومينيس» مهندس مدينة الإسكندرية وجابى الضرائب سابق الذكر وكان صديقا للوصى على الإمبراطورية «بيرديكاس» بل وجاسوسًا له على «بطليموس» وحاكمه وحكم عليه بالإعدام وصادر الأموال التى نهبها من الشعب وكانت تقدر بمبلغ ثمانية آلاف تالنت (مرتب العالم فى سنة كان ١٢ تالنتًا انذاك) فيما يذكر كل من «أرسطو»، «ديموثينز»، « آريان».

بعد عام واحد من تولى «بطليموس» السلطة فى مصر قام بالاستيلاء على كيرين وهى جمهورية يونانية مستقلة ظلت بعيداً عن الحكومة المركزية لمدة قرن من الزمان وقد برز فيها علماء وباحثون وفنانون على درجة عالية من الشهرة ونظرا لوقوعها جهة الغرب فإنها تعتبر حماية لحدود مصر من جهة البحر. وفى ربيع ٣٢١ ق.م جاء بيرديكاس على رأس جيش كبير لتدمير «بطليموس» ومعاقبته ولم يكن قد مضى عليه عام فى السلطة فى مصر (نهاية ٣٢٣ ق.م) ولكن «بيرديكاس» فشل فى مهمته واغتيل فى معسكره، ورغم أنه عرض على «بطليموس» أن يحتل منصب الوصى على الإمبراطورية محل «بيرديكاس» إلا أنه رفض وفضل البقاء حاكما على مصر وحدها. وقد أثبتت الأيام حنكة قراره فقد تناحر الحكام الآخرون طيلة أربعين عامًا يغيرون على بعضهم البعض بينما بقى «بطليموس» آمنا مطمئنا فى مصر لم يقترب منها أيهم. وفى خلال عامين فقط من استيلائه على السلطة فى مصر وعلى جثمان الإسكندر وإبقائه فيها كان قد تم القضاء على «بيرديكاس» وعميله فى مصر «كليومينيس».

وفى العشرين عامًا التى تلت كانت هناك مغامرات عسكرية محدودة، برز من بينها اثنتان تستحقان الذكر: حروبه فى جنوبى سوريا وفينيقيا وانتصاره هناك واستيلائه على بيت المقدس (أورشليم ٣١٩ ـ ٣١٨ ق.م) كما احتل قبرص (٣٢٠ أو ٣١٥ ق.م) وبالتالى أصبحت هناك حماية مؤكدة لجزر بحر إيجه.

ولابد من التوقف هنا أيضًا أمام موقعة إبسوس ٣٠٥ ـ ٣٠٤ ق.م حيث قام «أنتيجونيوس» العجوز بحشد قوة ضاربة قوامها قوات مشاة بطول ثمانين ألف

قدم، ثمانمائة حصان، ثلاثة وثمانون فيلا هنديا، وقوات بحرية ١٥٠ سفينة حربية ومائة سفينة ناقلة جنود وعتاد. تلك الموقعة اشترك فيها ضد «انتيجونيوس» كل من «ليسيماخوس» و«سلوقس» و«كاساندر» حيث كسبوا المعركة وتحقق لهم النصر فى صيف ٣٠١ ق.م. ورغم أن «بطليموس» لم يشترك فى المعركة ولم يظهر فيها إلا أنه طالب بنصيبه من الغنائم وحصل على جنوبى سوريا للمرة الرابعة. وبعد هذه الموقعة كان فى حوزه «بطليموس» إضافة إلى مصر جنوبى سوريا وفلسطين وقبرص ولم يدخل بعدها فى أية حروب واستطاع «بطليموس» بعد ذلك أن يرسى دعائم الإمبراطورية البطلمية واتخذ من الإسكندرية عاصمة لها وأخذ فى تطوير الإسكندرية ووضع دعائمها الأساسية كعاصمة ليس لمصر وحدها ولكن كعاصمة للعالم كله ويتم ما أنجزه «كليومينيس» بين العشرين من يناير ٣٣١ ق.م وحتى نهاية ٣٢٣ ق.م فى ظل الإسكندر الأكبر، وكان ما أنجز كثير وكثير جدا.

ومنذ نهاية ٣٢٣ ق.م وحتى ٣٠١ ق.م أى طيلة واحد وعشرين عامًا رغم أن «بطليموس» كان مشغولاً فى الأمور العسكرية وإرساء قواعد الإمبراطورية، إلا أنه على الجانب الآخر أعطى وقتا كافيا لتطوير مدينة الإسكندرية وتنفيذ بعض المشروعات الحيوية فيها بما يليق بها كحاضرة ملكه. وقد لمسنا كيف دعته حنكته السياسية أن يبقى جثمان الإسكندر فى مصر وأن يبنى لهذا الجثمان الضريح الفخم الضخم كى يدفن فيه ويضع فيه أيضا كل متعلقات الإسكندر. لقد نجح «بطليموس» أيضا فى خلق دين جديد مزيج من ديانات اليونانيين والمصريين وجمع بين الزعيم الدينى اليونانى «تيموثينز» والزعيم الدينى المصرى «مانيتو»، وهما معًا ابتدعا الديانة الجديدة التى أشرنا إليها عبادة سيرابيس التى أرضت الطرفين وجمعتهما فى شعائر جماعية واحدة. وتوفر «بطليموس الأول» على انشاء معبد السيرابيوم ثانى أفخم وأضخم مبنى فى العالم القديم.

ونأتى بعد ذلك إلى الفضل الأكبر الذى قام به الجندى الفذ والسياسى المحنك بانى الإمبراطورية، منشىء الديانة الجديدة ونعنى بهذا الفضل المتحف والمكتبة سواء كان هو صاحب الفكرة أو بايحاء من «ديمتريوس الفاليرى».

هناك جدل كبير حول منشىء المتحف والمكتبة فثم من يقول بأنه «بطليموس الأول» (سوتر) وثم من يقول بل ابنه «بطليموس الثانى» (فيلادلفوس)، وسواء كان هذا أو ذاك فإن المصادر تُجمع على أن الفكرة نبعت من «ديمتريوس الفاليرى»، وحيث لا يوجد إلا مصدر واحد يقول بأن فكرة المتحف والمكتبة جاءت من طرف شخص آخر أوحى بها إلى بطليموس.

لقد أورد «ألكسندر بارسونز» عدداً كبيراً من النصوص والنقولات من مؤلفين مختلفين كلهم أكدوا على أن صاحب الفكرة هو «ديمتريوس الفاليرى» ومن ثم فإن هذا الشخص يكون هو صاحب المشروع وهو الذى أوعز بانشاء المتحف والمكتبة ولأن «ديمتريوس الفاليرى» هذا عاصر الملكين: «بطليموس الأول» (سوتر) و«بطليموس الثانى» (فيلادلفوس) فإن السؤال إذن مَّن من الملكين يكون المنفذ للمشروع؟ هل هو بطليموس الأول؟ أم ابنه بطليموس الثانى؟ وللإجابة على هذا السؤال فإن الأمر يحتاج إلى التوقف برهة أمام حياة «ديمتريوس الفاليرى» وعلاقته بالملكين ومقارنة هذه الحياة بالنصوص التى تحدثت عن تاريخ انشاء المتحف والمكتبة وعن ظروف إنشائهما. وربما كان أحسن من كتب فى هذه الجزئية هو الدكتور جورج هنريتش كليل عن متحف الإسكندرية والذى نشره فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٨٣٨ وقد أكد فى بحثه بدون تردد أن المتحف والمكتبة أنشئا مابين سنة ٣٠٠ و ٢٩٠ ق.م ومن ثم يكون الإنجاز العظيم حدث فى عهد بطليموس الأول. ويحلل الدكتور مصطفى العبادى شخصية وسيرة «ديمتريوس الفاليرى» لكى يصل إلى نفس النتيجة. ومن المعروف أن «يمتريوس الفاليرى» (ديمتريوس من فاليرون) كان تلميذاً من تلاميذ «ارسطو» وعضواً بارزاً فى مدرسة المشائين التى أسسها أرسطو وأصبح حاكما مستبداً لأثينا إلى أن طرد سنة ٣٠٧ ق.م ففر إلى مدينة طيبة فى وسط اليونان ومنها ارتحل هارباً متخفياً إلى مصر حيث لجأ إلى بلاط «بطليموس سوتر». وكان الرجل إلى جانب عمله السياسى مفكراً ومثقفاً وعالماً فى مجالات مختلفة ومن ثم هيئت له كل الظروف ليكون مستشاراً للملك.

ويقول الدكتور جورج كليبل فى هذا الصدد أن «بطليموس الأول» كان لابد وأن يرحب به ويشجعه على الإقامة فى بلاطه لأنه وجد فيه الشخص المناسب الذى يساعده فى جعل الإسكندرية أثينا الثانية فى عالم الفن والعلم والأدب وهو ما سعى إليه كما رأينا من قبل. صحيح ليس هناك من بين الكتاب المعاصرين لتلك الفترة ما يؤكد ذلك ولكن أيضا ليس هناك ما ينفى أو يعكر صفو تلك الحقيقة. لقد بدأت الفكرة بأن أوعز «ديمتريوس» إلى الملك بأن يستقطب من أثينا العلماء والمفكرين والفلاسفة أقرانه على الأقل من مدرسة الليسيوم وبالتالى عندما اقتنع الملك بالفكرة كان لابد من إنشاء أكاديمية لهم على غرار الليسيوم أو أكاديمية أفلاطون، تجمعهم وتدبر لهم فيها أسباب العيش والعمل ومن هذا المدخل فكر «بطليموس» فى إنشاء المتحف الذى هو أكاديمية على غرار مدارس أثينا.

ولعله من نافلة القول أن نذكر هنا بأن الاقتناع السريع من جانب بطليموس بإنشاء الأكاديمية يرجع إلى أنه هو نفسه كان تلميذا «لأرسطو» مع الإسكندر فى مدينة بيلا عاصمة مقدونيا آنذاك، ومن هنا أيضا كان احترامه لمدرسة المشائين وقد حاول استقطاب رئيس المدرسة بعد وفاة «أرسطو» وهو المدعو «ثيوفراستس» الذى رفض الحضور إلى الاسكندرية فدعا تلميذه الأشهر «سترابون».

ولقد ظل «ديمتريوس الفاليرى» فى بلاط «بطليموس الأول» معززا مكرما إلى أن توفى «بطليموس الأول» سنة ٢٨٣ ق.م؛ فتبدل الحال حيث غضب عليه «بطليموس الثانى» (فيلادلفوس) لمواقف سابقة منه فأبعده عن البلاط وعن الإسكندرية في أبوصير حتى توفى ودفن هناك. ومن هنا لا يمكن أن يكون «بطليموس الثانى» هو الذى أنشأ المكتبة بداية بإيعاز من «ديمتريوس الفاليرى» بل ربما يكون قد توسع فيها بعد وفاة أبيه وتوليه هو السلطة من بعده. وهذه القصة نفسها نصادفها فى حالة (بيت الحكمة فى بغداد) المكتبة العظيمة التى أنشأها هارون الرشيد وتوسع فيها ونماها ابنه المأمون.

وطالما أننا قد أثبتنا الآن أن «بطليموس الأول» هو الذى أنشأ المتحف والمكتبة بناء على نصيحة من ديمتريوس الفاليرى فإن السؤال الذى يفرض نفسه بعد ذلك

هو متى تم الإنشاء مع الأخذ فى الاعتبار أن إنشاء المكتبة قد تم قبل إنشاء المتحف فيما يقول الدكتور جورج كليبل، وأن المتحف نفسه اكتمل ما بين ٢٩٠ ـ ٢٨٤ ق.م قبيل وفاته مباشرة؛ وبالتالى فإن المكتبة تكون قد أسست مابين ٣٠٠ ـ ٢٩٠ ق.م.

والمشكلة التى تواجهنا حقيقة أن المصادر المختلفة لا تربط بين المتحف وبين المكتبة إلا فيما ندر فكثير من المصادر تتحدث عن المتحف وحده ومصادر أخرى تتحدث عن المكتبة وحدها مما يشير إلى صدق ما ذهب إليه الدكتور «كليبل» من أن المكتبة قد نشأت قبل المتحف وأنها لم تكن كما ذهب البعض جزءا منه بل وجدت الصلة فيما بعد عندما احتاج الباحثون إلى استخدام مصادر المكتبة وأدواتها ونحن نجد أن تيمون و«هيروداس» يشيران فى أشعارهما إلى المتحف فقط. وفى القرن الثانى قبل الميلاد نجد «أريتياس» يتحدث عن المكتبة وحدها وهو أقدم من وصلتنا كتاباته عن المكتبة. كذلك فإن «استرابون» عندما وصف الإسكندرية لم يتحدث عن المكتبة بل تحدث فقط عن المتحف. وفى العصر الرومانى نجد الكتّاب يتحدثون عن المؤسستين معًا على نحو ما فعل «أثينايوس» و«ايريانوس» فى القرن الثانى الميلادى.

لا ينبغى أن ننزعج من مصطلح المتحف (الموسيون) وننظر إليه على أنه مكان لعرض التحف ولكنه فى حقيقة الأمر كان أكاديمية أو بمعنى عصرى مركز بحوث واسع النطاق يضم كبار الباحثين والعلماء المنغمسين فى القيام بدراساتهم وبحوثهم وتجاربهم العلمية وإلى جانبهم شباب الباحثين ممن يتدربون على منهج البحث وأساليب عمل الدراسات والبحوث تحت إشراف شيوخ البحث وأساطينه وهكذا كان يتم التواصل العلمى بينهم. ولم يكن المتحف مدرسة يلقى فيها العلم بطريقة منظمة أو منتظمة وإن لم يعدم الأمر وجود ما يمكن أن نطلق عليه المحاضرات العامة أو المناظرات العلمية التى كان الملك يحضر جانبا منها. ولذلك نعتقد أن المتحف كان قاصرا على صفوة العلماء وأنه لم يلتحق به إلا من يسمح له الملك بالانخراط فى سلك أعضاء المتحف.

ونظراً لأننا لم يصلنا وصف تفصيلى لمبنى المتحف أو أقسامه وكل ما وصلنا هو وصف عام قدمه لنا استرابون الذى شاهده عند زيارته للإسكندرية ووصفه من خلال وصفه لها يقول استرابون أن هذا المتحف أو الموسيون يقع فى حى البروكيوم أى الحى الملكى وله ممشى طويل محاط بأعمدة مزدوجة وينتهى برواق معقود. وفيه بيوتات من بينها قاعة كبيرة للطعام يأكل فيه أعضاء الموسيون، وهم يشكلون جماعة واحدة لهم ملكية مشتركة معهم كاهن يعينه الملك (ثم الإمبراطور فى العصر الرومانى) ويكون هذا الكاهن رئيس المتحف ـ يقول الدكتور مصطفى العبادى ربما يكون المتحف قد بنى على نفس طريقة أكاديمية أفلاطون وليسيوم أرسطو فى أثينا وأن «ديمتريوس الفاليرى» الذى أشرف على تخطيط وبناء المتحف كان متأثرا إلى حد كبير بأكاديميات أثينا وخاصة الليسيوم الذى كان ينتمى إليه.

وقد رأينا أن الملك «بطليموس الأول» حرص كل الحرص على استقطاب العناصر العلمية المتميزة للانخراط فى سلك علماء وباحثى المتحف وفى نفس الوقت تربية أبنائه وتأديبهم. وتذكر المصادر أنه من بين من استقدمهم عالم الطبيعة «استراتون» والأديبان اللغويان «فيليتاس» من قوص و«زينودوتس» من أفيسوس والرياضى الأشهر «إقليدس».

كان المتحف يمول كلية من قبل الدولة أى من ميزانيتها العامة وكان العلماء والباحثون فى المتحف يتقاضون إلى جانب الإقامة الكاملة ـ سكن وطعام وانتقالات ـ مرتبات شهرية كانت تتراوح ما بين تالنت واحد وخمسة تالنتات شهريًا على حسب الدرجة والمقام. ونحن وإن لم تصلنا جداول المرتبات فإننا نستطيع من السياق تقديرها واستنتاجها على النحو السابق، ذلك أن «سوسيبيوس» الأديب والناقد اشتكى «لبطليموس الثانى» (فيلادلفيوس) من عدم حصوله على مرتبه الملكى، كما أن «بناريتوس» العالم المغمور كان يتقاضى اثنى عشر تالنتًا؛ وأن عالم الطبيعة المشار إليه «استراتون» الذى كان يعلم ابن بطليموس «سوتر» قد تقاضى مبلغ ثمانين تالنتًا نظير هذا العمل كله ولا نعرف

المدة التى انقضت فى هذا العمل. من ناحية أخرى أعفى العلماء والباحثون فى المتحف من الضرائب وهو امتياز كان يحصل على المدرسون فى عهد بطليموس الثانى.

ويبدو أن المتحف رغم اشتغاله الأساسى بالعلم إلا أنه كان فى نفس الوقت مكانا لربات العلوم والفنون حيث وضعت تماثيل هذه الربات ربما كراعيات للعلوم والفنون والآداب، وربما يفسر هذا أيضا أن رئيس المتحف كان كاهناً إلى جانب وجود مدير للشئون المالية والإدارية فيه.

ورغم أن المتحف قد تأثر بالظروف السياسية باعتباره مؤسسة حكومية ممولة من قبل الدولة ويعين رئيسه ومديره بل والعلماء والباحثون فيه بموافقة من الملك، إلا أنه لم يقف عن العمل وممارسة النشاط حتى بعد زوال ملك البطالمة ودخول مصر والإسكندرية إلى حوزة الحكم الرومانى. ولقد حباه الرومان بكل العناية والرعاية واستمر الوضع على ما كان عليه أيام البطالمة من حيث التمويل الحكومى والإقامة الكاملة مع الرواتب الشهرية والإعفاء الضريبى وزيارة الأباطرة الرومان له والإلتقاء مع العلماء وعقد المناظرات معهم.

لقد حرص الأباطرة الرومان هم الآخرون على استقطاب العناصر العالمة إلى المتحف وقد قام كثير من العلماء والباحثين بإضافات علمية لها خطرها وشأنها ومن بين العلماء والباحثين الذين برزوا وازدهروا فى المتحف فى ظل الرومان «هيرون» الذى اخترع عدداً من الآلات الميكانيكية، و«كلوديوس بطليموس» عالم الفلك والجغرافى الشهير و«جالينوس» الطبيب المؤلف و«فيلون» و«أفلوطين» أصحاب المذاهب الفلسفية المجددة فى ذلك العصر وكذلك «آريوس» الفيلسوف الرواقى وغيرهم كثيرون.

وسواء نشأ المتحف حول المكتبة أو كانت المكتبة أداة من أدوات المتحف شأنها شأن حدائق الحيوان والنباتات والمعامل والمراصد الفلكية فقد كانت مؤسسة قائمة بذاتها وفاقت شهرتها شهرة المتحف نفسه، ربما لأنها نشأت قبله واستمرت بعده

وربما لأنها كانت أهم أدواته تستقيم بدونه ولا يستقيم بدونها. المهم أنها نالت من الحظوة والاهتمام والكتابة مالم يحظ به المتحف نفسه.

ونحن لا نعرف على وجه اليقين ماهى الأسباب التى دعت إلى إنشاء المكتبة أو الأهداف المبتغاة من وراء إقامتها. وهل كانت مجرد محاكاة لمكتبات سبقت أو مكتبات عاصرت؟ هل كانت مكتبة يونانية أم مصرية أم قصد بها أن تكون مكتبة عالمية؟

ليست لدينا فى حقيقة الأمر إجابات محددة وقاطعة فى هذا الصدد وليس لأية إجابات أن تكون محددة أو قاطعة وإلا خرجت عن طبيعة الأشياء.

نحن نعلم أن الإسكندر الأكبر كان تلميذاً لأرسطو الذى كانت عنده مكتبة خاصة عظيمة الشأن أفاد منها الإسكندر وتأثر بها ومن المحتمل أنه عندما خطط لإقامة مدينة الإسكندرية كان من بين ما خطط له أن يكون فيها أكاديمية ومكتبة عظيمة على غرار أكاديمية ومكتبة أرسطو وهو الأمر الذى نفذه خلفاؤه لأنه هو نفسه لم يشأ له القدر أن يرى الإسكندرية بعدما قامت وأسست.

هناك آراء تشى بأن مكتبة الإسكندرية قصد بها أن تكون مستودعًا للفكر اليونانى، ولكن هناك على الجانب الآخر آراء توحى بأن مكتبة الإسكندرية قد قصد بها أن تكون مستودعًا للفكر العالمى سواء كان يونانياً محضًا أو أجنبياً نقل إلى اللغة اليونانية أو كتب أصلا باللغة اليونانية أو بقى بلغته الأصلية وخطه الأصلى. وأنا أميل فى حقيقة الأمر إلى هذا الرأى الأخير. لقد قامت مكتبة الإسكندرية منذ بادىء أمرها كى تكون مكتبة عالمية حيث بدأ الإسكندر الأكبر هذا الاتجاه إذ أمر بنقل التراث الفارسى والآشورى والبابلى والمصرى إلى اللسان اليونانى وسواء أنه أمر بحرق الأصول أم أن هذه فرية افتريت عليه فى بعض المصادر فإن اللغة اليونانية قد ثريت بالفكر الأجنبى الذى نقل إليها ومن هنا تكون مكتبة الإسكندرية مكتبة عالمية قامت على الأرض المصرية ذات التاريخ العريق فى إنشاء المكتبات، ومواد الكتابة وأدوات الكتابة وأمناء المكتبات وحركة نشر الكتب والتأليف والمؤلفين فى كل المجالات؛ وبقرار من الحكام اليونانيين.

إن مما يؤكد على استقلال المكتبة عن المتحف أنه كانت لها إدارة مستقلة قائمة بذاتها وأن رئيس المكتبة كان يُعَيَّن بقرار من الملك شأنه فى ذلك شأن رئيس المتحف ومديره، مما حمل البعض على اعتبار المؤسستين صنوين على مستوى واحد وهو ما أميل إليه وتشير إليه كل الشواهد ولقد حاولت جاهدًا أن أوفق قائمة رؤساء المكتبة من العديد من المصادر وعلى رأسها القائمة التى تناثرت فى حاشية تزيتزيس وبردية أوكسيرنخس (البهنسا من أعمال الصعيد). وربما تتفق قائمتنا جزئيا مع بعض القوائم التى استنبطها زملاء لنا وربما تختلف فالأمر كله متروك للمناقشة، لأنه فى حالة مكتبة الإسكندرية القديمة يكون الاستنتاج والاستنباط هو الأصل والأساس وليس ثمة شيء مسلم به:

ومن الواضح أن القائمة التى أعدها صاحب هذا البحث تحمل أحد عشر اسمًا وتصل إلى نحو منتصف القرن الثانى الميلادى ولا تتضمن اسم كوداس (الرماح) الذى انفردت به قائمة العبادى ويغطى ثلاثين عاما مفقودة من القائمتين الأخريين. وتتضمن قائمة العبادى سبعة أسماء فقط اتفقت فى ست منها مع القائمتين الأخريين وانفردت كما رأينا باسم كوداس الرماح الذى يغطى فترة ثلاثين عاما لم تظهر فى القائمتين الأخريين. وقد أتت قائمة غندور على تسعة أسماء كلها ظهرت فى القائمة الأولى. والخلاف بين القوائم الثلاثة فى تواريخ تولى رئاسة المكتبة وضع طبيعى لأنه يوجد مثيل له حتى فى تواريخ الميلاد، كما أن الخلاف فى هجاء الأسماء وضع طبيعى بسبب الخلاف فى نطق الأسماء ونقحرتها من اليونانية إلى العربية. نفس هذا الخلاف حتى في ترتيب رؤساء المكتبة نجده داخل قوائم تزيتزيس نفسه فقد جاءت بعد زينودوتس بثلاث طرق مختلفة هى:

هذه الأسماء التى ظهرت كرؤساء للمكتبة أو مديرين لها يرى الباحثون فى بعضها أنها لم تصل إلى مرتبة رئيس أو مدير المكتبة ومن بينهم على سبيل المثال

«كاليموخوس»، ويرون أنه كان مجرد أمين مكتبة وربما رئيس قسم فقط وأن وجه شهرته الحقيقى وارتباطه بالمكتبة يرجع إلى الفهرس العظيم الذى أعده لمجموعات المكتبة؛ كما أن من بينهم أيضا «كوداس الرماح» الذى يتساءل الدكتور مصطفى العبادى عن عمل رجل يحمل الرمح بين العلماء ثم يجيب على تساؤله بأنه تعيين استثنائى لظروف استثنائية عام ١٤٥ ق.م، وهى ظروف استئثار «بطليموس الثامن» بالسلطة فى أعقاب الحرب الأهلية مع أخيه الأكبر وأن «كوداس» عين لينفذ سياسة بطليموس الثامن والقضاء على خصومه داخل جماعة الموسيون حيث نعرف أن «أريستارخوس» رئيس المكتبة السابق عليه اعتزل المنصب سنة ١٤٥ ق.م. وفر خارج البلاد مع علماء آخرين.

وتضيف بردية أوكسيرنخوس بعد كوداس الرماح هذا بطريقة غامضة غير مفهومة أسماء «أمونيوس»، «زينو»، «ديوكولوس»، «أبوللونيوس»، وكلهم من المؤلفين الذين التحقوا بالمتحف ولكن ليس ثمة دليل إطلاقا على أنهم تولوا رئاسة المكتبة بل ولا حتى كانوا من المكتبيين العاديين فيها. ورغم أن الدكتور مصطفى العبادى لم يسجل اسم «أونيساندر» فى قائمته إلا أنه فى تعليقه ذكر أن أونيساندر هذا هو آخر من ورد أنه تولى المنصب وهو قبرصى من بافوس ويستند فى ذلك إلى نقش من عهد «بطليموس التاسع» (سوتير الثانى)حيث نجد «أونيساندر» يحمل لقب المشرف على المكتبة الكبرى فى الإسكندرية ويقول سيادته بأنه من المحتمل أن أونيساندر هذا كان من أعوان «سوتير الثانى» فى فترة نفيه فى قبرص ثم كوفىء بتعيينه فى منصب المشرف على المكتبة بعد عودة الملك إلى الإسكندرية فى سنة ٨٨ ق.م.

ولابد حتى للعين العابرة من أن تلاحظ أن رؤساء المكتبة حسب القائمة السابقة قد جاءوا من مناطق مختلفة وجنسيات متعددة مما يؤكد عالمية المكتبة ويفسر ذلك أن مدينة الإسكندرية نفسها كانت فى ذلك الوقت مدينة جديدة جاء سكانها كما أشرنا سابقًا من أصقاع الأرض المختلفة ولم يكن فيها ما نطلق عليه السكان الأصليون أو السكان الوطنيون أصحاب المكان اللهم إلا مجموعة

الصيادين المصريين فى قرية راقودة والذين لم يكونوا يمثلون سوى كسرة من سكان الإسكندرية بعد ذلك. ومن ثم فإنه طالما كانت الإسكندرية مدينة عالمية ومكتبتها مكتبة عالمية كان لابد للعاملين فيها ولمديريها بالضرورة أن يكونوا عالميين ينتمون إلى جنسيات ومناطق عالمية.

لقد كانت الشخصية الأولى فى رئاسة المكتبة هو بالضرورة المشرف على إنشائها «ديمتريوس الفاليرى»، الرجل الذى جاء من اليونان الأم، والذى تصفه المصادر بأنه شخص غير عادى، ثرى فى تجاربه سواء الناجحة أو الفاشلة، صاحب قلم ومفكر، فيلسوف ورجل دنيا، سياسى محنك، شرب من معين القوة، عاش عيشة فخمة مترفة ولكنه أيضًا أكل العيش الجاف والجبن الخشن وشرب التفالة. لقد كان الرجل الذى فهم بطليموس الأول وفهمه بطليموس الأول ووثق فيه واتخذه صديقا وصاحبا ومستشاراً. وفى سنوات عمره المتأخرة شهد عصره الذهبى بمصاحبة الملوك وعليه القوم لدرجة أن «بطليموس سوتر» استشاره كما رأينا فيمن يخلفه على العرش من أبنائه.

ولد «ديمتريوس» فى فاليرون، أحد موانى أثينا الثلاثة فى أى من السنوات بين ٣٥٤ ـ ٣٤٨ ق.م. وكان أبوه يدعى «فانوستراتوس». ومهما كانت نشأته المتواضعة فلقد تلقى تعليم شباب أثينا من الطبقة الراقية، ولقد واصل تعليمه العالى بعد ذلك فى الليسيوم (أكاديمية أرسطو) وتتلمذ على يد «ثيوفراستوس» تلميذ وخليفة أرسطو، وتشرب ينبوع حكمة هذه المدرسة، ورغم أنه لم يعاصر أرسطو إلا إنه بالضرورة سمع عنه وتعلم الأخلاقيات النبيلة التى دعا إليها ونمط الحياة الهادىء الوديع المعتدل الذى كان يدرسه فى الليسيوم والذى يقوم على ملاحظتنا الفاحصة للأشياء ولأنفسنا واعتناقنا لكل ماهو خير ورفضنا لكل ماهو سىء وشرير. ولقد دخل «ديمتريوس» معترك الحياة اليومية العامة بين الرابعة والعشرين والثلاثين من عمره (حوالى ٣٢٤ ق.م) وظهرت مواهبه الفذة كخطيب مفوه. وكان أخوه «هيمرايوس» عضواً نشيطاً فى الحزب المعادى للمقدونية وضد الإسكندر وحركته، كما اشترك فى الحرب اللامية ولكنه أعدم مع كل من

«ديموسثينز» و«هيبريدس». ورحل «ديمتريوس» إلى بيرايوس للإقامة مع نيكانور حيث التقى مع «كاساندر» والتحق بحزب فوكيون حزب السلام والإصلاح. وكان كاساندر واحدا من حكماء اليونان ويحفظ أشعار هوميروس عن ظهر قلب ورجلاً من رجالات النهضة اليونانية وقد قام بتعيين ديمتريوس نائبًا له فى حكم أثينا وكان ذلك من حظ أثينا فيما يقول المؤرخون وبقى فى هذا المنصب عشر سنوات (٣١٧ ـ ٣٠٧ ق.م) وربما كان ذلك من أصعب المهام التى نجح فيها ديمتريوس ويقال أن مواطنيـه اعترافاً بفضله صنعوا له ٣٦٠ تمثالا فى أوضاع مختلفة. وإلى جانب الخدمات السياسية والإدارية التى قدمها لأثينا قام بأعمال ثقافية وفكرية جليلة لبلده ومن بينها قيامه بإحصاء السكان ولم يكن أحد قبله قام بهذا العمل ونذكره هنا فقط على سبيل التمثيل:

٩٠,٠٠٠ مواطن أصلى

٤٥,٠٠٠ أجنبى

٣٦٥,٠٠٠ عبد

٥٠٠,٠٠٠ مجموع السكان

وبعد تقسيم إمبراطورية الإسكندر عقب وفاته كان من نصيب «ديمتريوس» مدينة بيرايوس وما حولها ونصبه مواطنوه هو وأباه ملوكا وآلهة. ثم قلبت الدنيا له وجهها ونفى إلى طيبة (اليونانية) وربما ارتحل بعدها إلى مقدونيا واشتغل بالعلم والفلسفة طيلة سنوات النفى.

لقد كتب الرجل فى كل المجالات تقريبا من الحب إلى التشريع ومن هوميروس إلى بطليموس وكتب أشعارًا دينية ظل الناس يرددونها طيلة ستة قرون بعده وكتب تاريخًا مطولاً عن أثينا من واقع الوثائق التى توافرت لديه. وكنا نود لو وصلتنا السيرة الذاتية التى كتبها عن نفسه بعنوان (سنوات سيادتى العشر) لقد كان الرجل آخر الكُتّاب العظام فى الفترة الأثينية وربما أول عظماء فترة الإسكندرية.

لقد دعاه «بطليموس الأول» (سوتر) إلى القدوم إلى الإسكندرية سنة ٢٩٧ ق.م ولم يكن من بين من دعاهم بطليموس إلى بلاطه من ساسة وشعراء وفلاسفة وعلماء ولغويين وخطباء من يعدل «ديمتريوس الفاليرى» فى خدماته للملك وانجازاته لمدينة الاسكندرية وللفكر الإنسانى عمومًا. ومن السهل أن نفهم كيف أصبح هذا الرجل متعدد المواهب صديقاً ومستشارً للملك وأخلص خلصائه ولكن من الصعب أن نفهم كيف احتفظ بهذه المنزلة طوال حياة بطليموس الأول وكيف أنه كان يختار للملك الكتب التى يقرؤها بل وكيف حمل الملك على قراءة ودراسة كتب الديمقراطية والحكومات المتحررة، بل وكيف كان الملك يستشيره فيمن يخلفه في الحكم من أبناء زوجتيه؛ مما أغضب عليه بطليموس الثانى فيما بعد وجعله ينفيه إلى صعيد مصر، حيث عضه الصل (أفعى صغير) فمات ودفن هناك.

لقد تابع الرجل خلال «حكم بطليموس» الأول عملية دعوة الأدباء والفلاسفة والعلماء إلى الإسكندرية التى أدرك بحسه أنها ستكون درة مدن العالم ومركزها الفكرى والتجارى والسياسى. ولذلك اقترح على «بطليموس الأول» انشاء الجامعة المصرية التى عرفت باسم المتحف (الموسيون) مكان التقاء العلماء والباحثين من كل أنحاء الأرض ولتكون محراباً لربات الفنون التسع. وهنا يجب أن يكون للعلماء سكن وإقامة وقاعات محاضرات ومناظرات ومعامل ومراصد وقاعات طعام وحدائق حيوانات ونباتات. هناك يجب أن تجتمع علوم آسيا وافريقيا وأوروبا ولم يكن «ديمتريوس» بالرجل الحالم بل كان الرجل المفكر، الرجل المنفذ. وإلى جانب اقتراح إنشاء الجامعة المصرية، اقترح انشاء مكتبة الإسكندرية وشرع فى جمع أول مجموعة كبيرة من الكتب والتى قدرها البعض بنحو مائتى ألف مجلد وقد «أدرك بطليموس» سوتر بحسه ومعرفته قدرة الرجل فعينه مشرفاً على المكتبة فيما تذكر المصادر. وقد أمل «ديمتريوس» أن يصل بتلك المجموعات إلى نحو خمسمائة ألف مجلد فى عهده. ومن هنا يكون «ديمتريوس الفاليرى» هو صاحب الفضل فى تنفيذ مكتبة الإسكندرية القديمة وأول رئيس لها

وواضع لبنات المجموعات الأولى فيها وذلك فى عهد «بطليموس سوتر». ولقد نمت المجموعات بعد ذلك من بطليموس إلى بطليموس حسب اهتمامات كل منهم وما يرصده للمكتبة من إمكانيات وحسبما يتوافر لها من مديرين ورؤساء ومن المؤكد أن «بطليموس الثانى» (فيلادلفوس) قد حباها بنصيب كبير من اهتمامه ورصد لها مبالغ كبيرة من المال ساعدت بالقطع على تنميتها وتوسيع نطاق خدماتها.

من الشخصيات التى لمعت فى إدارة المكتبة «زينودوتس» من إفسوس الذى خلف «ديمتريوس الفاليرى» وقد جاء «زينودوتس» بطبيعة الحال بعد نفى ديمتريوس الفاليرى إلى صعيد مصر واعتلاء «بطليموس الثانى» عرش مصر. ومن المعروف أن «زينودوتس» كان تلميذ فيليتاس الشاعر اللامع والنحوى البارع ومربى بطليموس الثانى. لقد كان رينودوتس نحويًا وناقدًا. وقد ولد فى سنة ما بين ٣٢٥ و ٣٢٠ ق.م. ولقد بدأ نجمه فى السطوع حوالى ٢٨٢ ق.م أى بعد وفاة بطليموس الأول مباشرة ولا نعرف متى توفي. وترى المصادر أنه أول رئيس للمكتبة، وربما كان ذلك صحيحا إذا اعتبرنا أن ديمتريوس الفاليرى هو المنشىء لها ولم يتول هذا المنصب بصفة رسمية وقد قضى الفترة من ٣٠٧ ـ ٢٨٢ (أو من ٢٩٦ ـ ٢٨٢ فى مصادر أخرى) ق.م فى مجرد جمع الكتب من جميع أنحاء العالم وتنظيمها وتهيئتها للاستخدام وكان مديرا للمكتبة الملكية قبل فتحها أمام جمهور المستفيدين ولكن المنطق والإنصاف يقتضى منا أن نضع ديمتريوس الفاليرى كأول مدير للمكتبة وزينودوتس كثانى مدير لها.

كذلك فإن من الشخصيات التى لمعت فى سماء مكتبة الإسكندرية فى عهد بطليموس الثانى شخصية «ألكسندر الآيتولى» (من آيتوليا) المولود فى نحو ٣١٥ ق.م وهو شاعر ونحوى عاش معظم حياته فى الإسكندرية. وكان واحدا من الشعراء السبعة المعدودين فى التراجيديا السكندرية. وقد كلفه بطليموس الثانى بإعداد قائمة بالمسرحيات الكوميدية والتراجيدية وعينه فى إحدى الوظائف المرموقة فى مكتبة الإسكندرية وقام بدور هام فى إدارة وتنظيم المكتبة وربما

مساعداً للرئيس الثانى للمكتبة «زينودوتس» وإن ذكرت بعض المصادر أنه خلفه فى وظيفة المدير أو الرئيس. ونحن نعرف أن «ألكسندر الآيتولي» ترك الإسكندرية سنة ٢٧٦ ق.م والتحق ببلاط «أنتيجونوس جوناتيس» فى بيللا. ولم يصلنا من أعماله إلا مسرحية تراجيدية واحدة وبعض القصائد.

ومن الأسماء التى وصلتنا من مكتبة الإسكندرية وكان دور فى إدارة وتنظيم المكتبة وإن لم تظهر فى قائمة المديرين اسم «ليكوفرون» من تشاليكيس كاتب التراجيديا والشاعر والنحوى والذى لا نعرف عن حياته إلا النزر اليسير ولقد تبناه المؤرخ ليكوس عدو ديمتريوس اللدود. وهو من الشعراء السبعة المعدودين فى التراجيديا السكندرية وهو صاحب القصيدة العظيمة الإسكندرية التى ظل الناس يرددونها قرونا طويلة. ورغم أن مسرحياته كانت ضعيفة المستوى إلا أن أشعاره كانت قوية ناعمة أعجبت بطليموس وأرسنوى ومن أهم أعماله دراسته المستفيضة حول الكوميديا فى تسعة كتب. لا نعرف بالضبط متى ولد (فى سنة مابين ٣٣٠ ـ ٣٢٠ ق.م) ولا نعرف متى توفى وإن كان أوفيد يقول بأنه قتل بسهم. وتذكر بعض المصادر أنه عين مديراً للمكتبة بعد الكسندر الآيتولى، ولكن ربما كان مساعداً للمدير أو رئيس قسم على أكثر تقدير. وتقدم المصادر أعماله الفكرية بنحو ستة وأربعين أو أربعة وستين مسرحية تراجيدية، ومسرحية كوميدية واحدة. وإن كان ما حصر منها هو عشرون عنوانا فقط.

ومن الأسماء التى يجب التوقف أمامها طويلا نسبيًا «كاليماخوس الكرينى»، وربما كان أشهر شخصية فى تاريخ مكتبة الإسكندرية، أشهر من «ديمتريوس الفاليرى» نفسه وذلك بسبب الفهرس العظيم الذى أعده لمقتنياتها؛ وتضعه المصادر كثالث رئيس للمكتبة وإن كانت هناك مصادر أخرى تنكر ذلك وتنفيه ويعتبر «كاليماخوس» فى نظر الكثيرين هو «أبو الببليوجرافيا» وأعظم كتبى فى عصره لقد كان باحثا قديراً عالميا. ولد كاليماخوس حوالى ٣٠٥ ق.م وتاريخ وفاته غير معروف على وجه الدقة ويحدده البعض بنحو سنة ٢٤٠ ق.م ومن ثم يكون قد عاش فى عهد «بطليموس الثانى» وردحاً من الزمن فى عصر «بطليموس الثالث»

الملقب «يورجيتس» وكانت إدارته للمكتبة بين ٢٦٠ ـ ٢٤٠ ق.م أى نحو عشرين عامًا. وسوف نعود إلى مجهوده الفذ فى اعداد فهرس المكتبة (بيناكيس) وتطفو على السطح أيضا شخصية «إراتوسثينز الكرينى» التى ليس عليها أى خلاف فى الوصول إلى منصب مدير المكتبة وإن كان الخلاف حول الترتيب فقط هل جاء بعد «زينودوتس» أم «كاليماخوس» أو «أبوللونيوس الروديسى»؟ ومهما يكن من أمر هذا الترتيب فقد كان الرجل أهم وأمهر تلاميذ «كاليماخوس» وكان موسوعى المعرفة متعدد المواهب: هو عالم فى الرياضيات والجغرافيا والفلك والنحو والتاريخ والأنساب، واللغة والفلسفة بل وشاعر أيضًا. ويقال أنه مؤسس علم الفلك والجغرافيا الطبيعية. ولد سنة ٢٧٥ ق.م. ومن بين أساتذته كان أريستون، زينودوتس، كاليماخوس على الترتيب. يقول ألفرد كرواست عنه «بعد حياة حافلة فى أثينا دعاه «بطليموس يورجيتس» مرة ثانية إلى الإسكندرية وكان فى نحو سن الأربعين لإدارة مكتبة الإسكندرية الشهيرة بعد وفاة كاليماخوس» وتوفى الرجل فى سن الثمانين بسبب الامتناع عن الطعام وكان قد فقد بصره ومل حياته سنة ١٩٦ ق.م. وللرجل أعمال فكرية عديدة نثرًا وشعرًا. وليس هناك خلاف فى أنه مؤسس علم الحوليات وعلم الجغرافيا. ويعزى إليه قياس محيط الأرض وإذا كان فيثاغورس قد لقب بالفيلسوف الأول فإن «اراتوسثينز» قد لقب بعالم اللغة الأول. ويبالغ البعض ويعتبره أعظم باحث فى العصر البطلمى كله.

من الشخصيات الفذة أيضا فى مكتبة الإسكندرية «أبوللونيوس ألكسندرى» الذى عرف باسم «أبوللونيسو الروديسى»، وأيا ما كانت نسبته فهو واحد من تلاميذ كاليماخوس. وربما كان على خلاف كل مديرى المكتبة الوحيد الذى كان مصريا ولأنه كان ضد النظام الطبقى الذى ساد المتحف والمكتبة فقد ارتحل إلى رودس حيث حقق شهرة واسعة وسعادة غامرة فى مدارسها الفكرية هناك؛ ثم عاد إلى الإسكندرية فى عهد «بطليموس الثالث» (يورجيتس) (٢٤٧ ـ ٢٢١ ق.م). وقد خلف كاليماخوس فى إدارة المكتبة بعد وفاته وكان للرجل انتاج فكرى غزير شعرًا ونثرًا وقد أثار غيرة وحسد الكثيرين من أقرانه فى المتحف

ونشب بينه وبينهم نزاع طويل انتهى كما رأينا برحيله إلى رودس. ليس هناك خلاف حول توليه منصب المدير ولكن الخلاف كما هى العادة فى الترتيب فهناك من يسجل أنه جاء بعد كاليماخوس وهناك من يذكر أنه جاء بعد إراتوسثينز إلا أن الرأى عندى أنه جاء بعد كاليماخوس لأنه لو جاء بعد إراتوسثينز لكان طاعنا فى السن حيث توفى إراتوسثينز بين ١٩٦ ـ ١٩٣ ق.م. وقد دفن فى المقبرة التى تلى مقبرة كاليماخوس مما يؤكد تلك الحقيقة.

ويعتبر «أريستوفانيس البيزنطى» من العلامات المضيئة فى إدارة وتاريخ مكتبة الإسكندرية بل وفى كل العالم القديم. ولقد كان الرجل تلميذاً لكل من كاليماخوس وإراتوسثينز. كما كان على الجانب الآخر استاذًا ومعلمًا لأرستارخوس الذى خلفه فى إدارة المكتبة. ومما يذكر عنه أنه قد عين مديراً للمكتبة وهو فى سن الستين من عمره وإذا كان الرجل قد ولد بين ٢٥٧ و ٢٥٠ ق.م وتوفى حوالى ١٨٠ ق.م فإنه بالتالى يكون قد تولى أمانة المكتبة لمدة تصل إلى خمسة عشر عامًا. ومن المعروف أن أريستوفانيس جاء إلى الإسكندرية فى شبابه مع والده الجندى وبعد أن تعلم على يد أساتذتها العظام كرس حياته لدراسة علم اللغة وعين مديرا للمكتبة حوالى سنة ١٩٥ ق.م ويقال أنه زهد فى الوظيفة قبل وفاته بل وزهد فى الإسكندرية كلها ورحل إلى سوريا فى سن متأخرة. ويقال أن «يومينس الثانى» ملك برجاموم فى الفترة (١٩٧ ـ ١٥٩ ق.م) دعاه ليتولى رئاسة مكتبة برجاموم الشهيرة. وكان أريستوفانيس من أخصب المؤلفين فى مجال علم اللغة والأدب، وقد احتل فيهما مكانة مرموقة بين المتخصصين فيهما.

وقد خلف أريستوفانيس فى إدارة المكتبة تلميذه «أرستارخوس الساموثى» وإن كان هناك جدل حول هذه الخلافة لأن بردية أوكسيرنخوس تضع بينهما شخصية أخرى هى شخصية أبوللونيوس «المصنف» أو الأيدوجرافى في الفترة بين ١٨٠ ـ ١٦٠ ق.م وتزحزح أرستارخوس بين ١٦٠ ـ ١٣١ ق.م ولو كان أرستاخوس قد ولد حوالى ٢٢٠ ق.م حسب بعض المصادر فإن عمره عند تولى إدارة المكتبة

يكون ستين عامًا وإن كان قد ولد بين ٢٠٢ ـ ٢٠٠ ق.م حسب مصادر أخرى فإن عمره آنذاك يكون أربعين عامًا. ونحن لا نعرف على وجه التحديد متى هرب من الإسكندرية وإن كان يظن أنه كان فى حكم «بطليموس يورجيتس الثانى» الطاغية (١٤٥ ـ ١١٦ ق.م) الذى كان تلميذا له. وإن كان يرجح أنه خرج مع تلميذه العجوز يورجيتس الثانى عندما طرد من الإسكندرية ١٣١ ـ ١٣٠ ق.م واستقر فى قبرص. ويقال أنه امتنع عن الطعام حتى الموت فى تلك الجزيرة قبيل عودة يورجيتس إلي الإسكندرية. ومن الغريب أن بطليموس يورجيتس الثانى هذا كان يعمل رغم طغيانه ووحشيته على دعم العلوم والفنون والآداب وتنمية مكتبة الإسكندرية بل ويقال أنه وضع بعض المؤلفات من بينها دراسة نقدية مطولة عن ملحمة الأوديسة فى ٢٤ كتاباً، ومن بينها مؤلف مستفيض عن الآثار التاريخية. وفيما يذكر الدكتور كليبل أن أرستارخوس كان وراء التوسيع الكبير والإضافات القيمة التى قام بها «بطليموس يورجيتس الثانى» فى مكتبة الإسكندرية. ومن المعترف به أنه فى عهد هذا «البطليموس السابع» (يورجيتس الثانى فايسكون) استخدمت ثروات مصر فى رشوة حكام روما حتى يخففوا الضغط على مصر وكانت النتيجة أن عانت المكتبة والمتحف معاناة شديدة فتقلص البحث العلمي وقل إنتاج العلماء وبحث كثير منهم عن مكان آخر خارج مصر وتحول المتحف من أكاديمية للبحث العلمى إلى جامعة لتدريس العلوم وتعليمها وعندما دخلت مصر فى حوزة الرومان، انتهى دور البحث العلمى وابتدأ أو استمر دور التدريس والتعليم فقط. وتذكر المصادر أن أرستارخوس كان أهم وأشهر النقاد فى الإسكندرية بل كان أمير النقاد فى كل العصر الكلاسيكى ومازال نقده لأعمال هوميروس يُدرس ويُدَرَّس إلى اليوم. ومع نهاية عمله فى إدارة المكتبة يكون عصر المديرين العمالقة للمكتبة قد انتهى وجاء بعده عصر المديرين المغمورين الذين لا نشك أنه كان من بينهم بعض الشخصيات التى دفعت المكتبة والمتحف قدما إلى الأمام ولكن تعوزنا معلومات تفصيلية عنهم. إن مصدرنا الأساسى فيما بعد أرستارخوس هى بردية أوكسيرنخوس وهى بردية عثر

عليها بين ما عثر عليه الدكتور «بيرنارد جرينفل» والدكتور «آرثرهنت» من برديات قديمة وحديثة بالشعر والنثر فى أطلال مدينة أوكسيرنخوس فى الصحراء الغربية المصرية على بعد ١٣٠ كيلو مترا من القاهرة وكان هذا الكشف سنة ١٩٠٣/ ١٩٠٤م وهذه البردية تدور حول مكتبة الإسكندرية هذه البردية تحمل رقم ١٢٤١ بين برديات هذه المجموعة من أوكسيرنخس وتحمل هذه البردية ستة أعمدة من الكتابة المتصلة كتبت بخط أونسيال وترجع إلى النصف الأول من القرن الثانى بعد الميلاد فى عصر الأباطرة الرومان الأول. ويتضمن هذا العمل مجموعة من القوائم من بينها:

أ ـ قائمة بالنحاتين والمثالين والرسامين والنحويين المشاهير.

ب ـ أمناء المكتبة فى الإسكندرية.

ج ـ الأشخاص الذين أشعلوا الحروب والذين اخترعوا آلات حربية وقننوا قواعد الصراع.

ونحن لا نعرف من وضع تلك البردية أو أعد تلك القوائم، هل أعدها أحد الباحثين أم أحد طلاب العلم وهل كانت توضع فعلاً موضع الاستخدام الفعلى أم أنها كانت فقط للاستخدام الشخصى؟ إن قائمة أمناء مكتبة الإسكندرية تالفة جزئيًا فى نهاية العمود الأول ولكنها فى حالة جيدة فى كل العمود الثانى والقائمة كلها تحتل عشرين سطراً ونصف السطر.

ومهما يكن من أمر فإنها تمدنا بمعلومات إضافية عن مديرين آخرين للمكتبة فى نهاية العصر البطلمى وأوائل العصر الرومانى مثل «أونيساندر» القبرصى و«كايريمون» السكندرى (خيرمون فى قراءات أخرى) و«ديونيسيوس» ابن جلوكوس و«كايوس يوليوس فاسينوس». ويمكن الرجوع إلى النص المنشور للبردية والذى توفر على تحريره ونشره بعناية فائقة الدكتور «آرثرهنت» ومساعده اللامع البروفيسور «ف. فون فيلاموفيتز ـ مولندورف»؛ وحيث لم يدخر العالمان وسعًا فى تحقيق هذه الوثيقة النادرة تحقيقا علميًا متأنيًا.

* * *

الفصل الرابع

مجموعات مكتبة الإسكندرية القديمة

وفهارسها وتصنيفاتها

مجموعات مكتبة الإسكندرية القديمة وفهارسها وتصنيفاتها

ألمحنا فيما سبق إلى أن مكتبة الإسكندرية كانت مكتبة عالمية ومن ثم كان لابد لهذه العالمية من أن تنعكس على تكوين المجموعات وطبيعتها. وكان لثروة وسلطان وقوة البطالمة، كما كان لاسم الإسكندر فعل السحر أمام وكلائهم الذين جابوا الأركان الأربعة للعالم الهلليني والبحر الأبيض المتوسط والمدن الآسيوية بل وحتى المناطق الريفية بحثًا عن الكتب والوثائق من كل نوع وشكل. وكانت الكتب يتم الحصول عليها بأى شكل وبأى طريقة سواء كانت شريفة أو غير شريفة؛ بالشراء أو بالقوة. وعندما عرف أن هناك سوقًا رائجة للكتب فى الإسكندرية أسرع تجار الكتب من كل حدب وصوب إلى ملكة المدن المصرية لبيع أندر الكتب وأثمن الوثائق للبطالمة هناك.

ولقد جلبت كميات كبيرة من الكتب بصفة خاصة من أثينا وردوس مركزى النشر الكبيرين للكتب اليونانية فى ذلك الوقت. ومن المؤكد أن المدن اليونانية الكبرى فى آسيا الصغرى وفى بلاد الشام كانت هى الأخرى أماكن محتملة لتوريد الكتب إلى الإسكندرية ومن جهة أخرى كانت المكتبات الشخصية مجالاً خصبًا لتغذية مكتبة الإسكندرية بمجموعات كبيرة والمثال هنا يأتى من مكتبة أرسطو ومكتبة ثيوفراستوس، اللتين باعهما نيليوس تلميذ وقريب ووريث ثيوفراستوس بثمن ضخم إلى أبليكون ثم إلى مكتبة الإسكندرية.

ومن طرق الحصول على الكتب تفتيش حمولات السفن التى كانت ترسو فى ميناء الإسكندرية ومصادرة أية كتب توجد على متنها وتستنسخ منها نسخ فقط تعطى لأصحابها ويحتفظ بالأصول فى المكتبة مع أية تعويضات تطلب إذا كانت

هناك أية مشاكل فى هذا الإجراء. ومن الطريف أنه فى السنوات الأولى للمكتبة كانت المجموعات المصادرة من السفن تعزل فى مكان خاص ويؤشر عليها بعبارة (كتب السفن) ولا نعرف الدلالة الحقيقية لتلك التأشيرة.

وهناك قصة مشهورة أشار إليها «جالينوس» عن كيفية حصول «بطليموس الثالث» (يورجيتس) على النسخ الأصلية والنسخ التى بخط مؤلفيها من أعمال «أسخيلوس»، «سوفوكليس»، «يوريبيدس» من داخل أثينا حيث ذهب صيادو الكتب ودفعوا رهنًا مقابل الحصول على تلك النسخ الأصلية وذلك لاستنساخها ولكنهم أعادوا النسخ الجديدة واحتفظوا بالأصول وتنازلوا عن الرهن.

ومن خلال هذه الطرق تجمع عدد ضخم من الكتب لابد وأنه شمل كل الإنتاج الفكرى اليونانى المكتوب شعرًا أو نثرًا. وربما نتوقف هنا برهة لنقول بأن المكتبة الرئيسية فى حى البروكيوم ربما تكون قد ضاقت بما تجمع فيها من كتب فاستدعى الأمر إنشاء مكتبة فرعية لها فى معبد سيرابيس أو السيرابيوم فى حى راقودة (راكوديس). ومن هناك دأب الكُتَّاب والمؤرخون على الإشارة إلى المكتبة الرئيسية فى الحى الملكى باسم المكتبة الكبرى أو المكتبة الأم وإلى المكتبة الفرعية فى السيرابيوم على أنها المكتبة الصغرى أو المكتبة الابنة.

والحقيقة أنه ليست لدينا أرقام محددة أو دقيقة عن حجم المجموعات أو عدد الكتب التى كانت موجودة فى المكتبتين؛ ولا ينبغى أن يكون لدينا مثل هذه الأرقام المحددة أو الدقيقة إلا إذا ارتبطت بتاريخ معين. فإذا وضعنا تلك الحقيقة نصب أعيننا فإننا يجب أن نقبل الأرقام التى نجدها على علاتها ونحللها على ضوء مصدرها. لقد أعطى الكُتَّاب الإغريق واللاتين أرقامًا مختلفة عن عدد الكتب (اللفافات) التى كانت مقتناة فى المكتبة؛ ويجب أن نعرف أن اللفافة الواحدة تمثل مجلدًا فى زماننا وأن العمل الواحد قد يقع فى عدة لفافات كما أن اللفافة الواحدة قد تنطوى على عدد من الأعمال سواء كانت أعمالاً شعرية أو أعمالاً نثرية.

لقد بدأ «ديمتريوس الفاليرى» (٣٥٤ ـ ٢/٢٨٣ ق.م) الذى جاء إلى الإسكندرية بعد سنة ٣٠٧ ق.م كما رأينا مهمة جمع الكتب فى ظل «بطليموس الأول» (سوتر). وقد ذكر «جوزيفوس» (يوسف) المؤرخ اليهودى فى القرن الأول الميلادى أن «ديمتريوس الفاليرى» جمع ٢٠٠,٠٠٠ لفافة وكان سند جوزيفوس فى هذا الشأن رسالة أرستياس وربما كان جمع هذا العدد قد تم دون فرز ودون ترتيب وتركت هذه المهمة لأمناء المكتبة فى عهد «بطليموس فيلادلفوس» ومن بعده. من جهة ثانية أمدتنا حاشية تزيتزيس على أرستوفانيس التى كتبت على هامش مخطوط بلوتوس من القرن الخامس عشر والذى عثر عليه سنة ١٨١٩ فى الكلية الرومانية الباحث أوسان، أمدتنا هذه الحاشية بالأرقام الآتية عن عدد اللفافات فى كل من المكتبتين:

* فى المكتبة الرئيسية بالمتحف فى حى البروكيوم ٤٠٠,٠٠٠ لفافة غير مصنفة (التى أطلق عليها المكتبة الداخلية) ٩٠,٠٠٠ لفافة مصنف ومرتبة

* فى المكتبة الخارجية التى فى حى راقودة المصرى فى معبد السيرابيوم. ٤٢,٨٠٠ لفافة مرتبةومصنفة

وهذه الأرقام تدل على ما كانت عليه المجموعات فى زمن «كاليماخوس» الذى توفى فى سنة ما بين ٢٣٥ و ٢٤٠ ق.م.

وفى القرن الثانى الميلادى كتب «أولوس جيليوس» عن مجموعات المكتبة خلال الكتاب أو العمل الذى كتبه لأطفاله «ليالى أثينا» ـ يقول:

«كمية ضخمة من الكتب تصل إلى حوالى ٧٠٠,٠٠٠ مجلد تم شراؤها أو نسخها فى مصر تحت حكم الملوك المعروفين باسم البطالمة».

كذلك كتب «إميانوس مارسيللينوس» سنة ٣٩٠م عن المجموعات يقول: «لقد كان هنا فى هذا السيرابيوم مكتبات ثمينة وقد وقفت على مصادر قديمة مجهولة المؤلف تقول بأنه تجمع فيها ٧٠٠,٠٠٠ مجلد توفر على جمعها الملوك

البطالمة». وقد جاءت هذه المعلومات فى كتابه «التاريخ الرومانى» الذى يعتبر تتمة أو تكملة لتاريخ تاكيتوس.

وفى مطلع القرن الخامس كتب «باولوس أوروسيوس» يقول بأنه كان فى مكتبة السيرابيوم نحو أربعين ألف لفافة. ويؤكد «سينيكا» (٤ ـ ٦٥م) على وجود أيضًا نفس هذا الرقم.

هذه الأرقام المختلفة تشير إلى أن أقصى رقم وصلت إليه المجموعة هو ٧٠٠,٠٠٠ مجلد وذلك حتى القرن الأول قبل الميلاد أى قبل الحريق الجزئى الذى عساه يكون قد وقع مع ضرب يوليوس قيصر للإسكندرية. ومن أسف أنه ليست لدينا أرقام مؤكدة بعد القرن الأول قبل الميلاد بعد ذلك الحادث وبعد تعويض كليوباترا كما قيل بمكتبة برجاموم بعد سقوطها فى يد أنطونيو سنة ٤١ ق.م والتى قدرت بنحو ٢٠٠,٠٠٠ لفافة من رقوق وبردى تلك المكتبة التى كانت فخرًا للملوك الآتاليين. كذلك فإن من الصعب معرفة الاتجاهات الموضوعية لمقتنيات المكتبة حيث لم يصلنا حتى الفهرس الذى وضعه «كاليماخوس» للمجموعات.

يقول «إدوارد ألكسندر بارسونز» أنه من المؤكد بعد الدفعة القوية والبداية العظيمة التى ابتدأها «ديمتريوس الفاليرى» فى جمع الكتب للمكتبة فى فترة قدرت بعشر سنوات، قام المديرون المتعاقبون على المكتبة كل حسب طاقته ومنزلته بجمع المزيد من الكتب بأعداد ونوعيات مختلفة؛ وأن هذا التيار المتدفق من التزويد عبر قرنين ونصف من الزمان انصرمت بين «ديمتريوس الفاليرى» و«كليوباترا» والذى بدأ كما رأينا بمائتى ألف كتاب، وانتهى بمائتى ألف أخرى من مكتبة برجاموم أضيفت إلى المكتبة السكندرية، هذا التيار لابد وأن يكون قد ارتفع بمجموعات مكتبة الإسكندرية إلى نحو مليون لفافة.

إن المرء ليدهش حقيقة من هذا العدد الضخم من الكتب حتى ولو انطوى على نسخ مكررة أو وقع العمل الواحد فى عدة مجلدات. إننا نستطيع أن نركب

الموضوعات التى عالجها هذا الإنتاج المتراكم على الأقل بالنسبة للكتب اليونانية على أساس أن جميع الكتب اليونانية فى الحقبة الكلاسيكية قد تم جمعها ابتداءً من «هوميروس» وحتى «ديموسثينز» و«أرسطو» والمؤلفين السكندريين والمؤلفين الأجانب الذى كتبوا باليونانية أو ترجمت أعمالهم إلى اليونانية. كما أننا يجب أن نضيف إلى ذلك الحواشى والتعليقات وكتب الكتب. لقد كان هناك الشعر الذى أبدعه شعراء الحقبة الممتدة وأتباعهم من أمثال «فيليتاس»، «كاليماخوس»، «لايكوفرون»، «أبولّلينوس»، «إيفوريان»، «ثيوقريطس»، «بيون»، «موسخوس». وكان هناك النثر الذى أبدعه الكتاب والدارسون من أمثال «ديمتريوس»، «زينودوتس»، «ألكسندر الآيتولى»، «أريستوفانيس البيزنطى»، «أرستارخوس». وكانت هناك الكتابات العلمية والاختراعات والاكتشافات التى أبدعها العلماء من أمثال «إراتوسثينز»، «إقيلدس»، «أرشميدس»، «كونون»، «هيبرارخوس» النيقى الذى أضاف إلى الفكر اليونانى مالم يضفه أحد طوال الفترة الكلاسيكية. لقد كانت هناك أيضًا الكتابات اللغوية والدراسات الفيلولوجية والنحوية التى أبدعها علماء اللغة والنقد. لقد جاء جانب كبير من الإنتاج من مراكز النشر المختلفة خارج مصر أنتجتها المناسخ فى أثينا، رودس، قوص، أنطاكية، برجاموم، طرطوس، نيقيا، بيزنطة، سراقوسة، كوماى، بيللا وغيرها كثير. ولا ينبغى أن نغفل إلى جانب الكُتّاب والمؤلفين المحدثين أولئك المؤلفين اليونانيين القدامى.

وإذا كانت مكتبة الإسكندرية القديمة قد حرصت على جمع كل أو جل الإنتاج الفكرى اليونانى قديمه وحديثه فإنها بالضرورة قد تطلعت أيضًا إلى جمع ما يمكن جمعه من كتب الأمم الأخرى بلغاتها أو خطوطها مثل كتب اليهود وكتب المصريين، وكتب البابليين والآشوريين وكتب الفرس، وهذا يتمشى بطبيعة الحال ولا يتنافر أبدًا مع التركيبة السكانية لمدينة الإسكندرية التى جمعت كل الجنسيات وكل اللغات وكل الخطوط البشرية.

لقد ورث الإغريق حضارتين عظيمتين فى الشرق القديم هما الحضارة

الآشورية امتداد الحضارة البابلية والتى سبقت الحضارة الفارسية والحضارة المصرية؛ ومن ثم سعى الإغريق إلى محاولة معرفة لغة وتاريخ وثقافة مصر وآشور ويؤكد السير فلندرزبترى ماذهبت إليه سابقًا من أن مكتبة الإسكندرية القديمة اشتملت على ترجمات يونانية لكثير من الكتب باللغات الأخرى كاللغة المصرية القديمة، واللغة العبرية واللغة الفارسية واللغة البونية وغيرها.

ومن الثابت تاريخيًا أنه عاش فى الإسكندرية رهط كبير من اليهود وكان لهم كما أسلفنا حى خاص بهم وكانوا يشعرون بالتميز دون سائر البشر لأنهم شعب الله المختار وكانت لهم شريعتهم ودينهم وكتبهم المقدسة التى وجدت طريقها إلى المكتبة سواء عن طريق الترجمة إلى اليونانية أو عن طريق النص الأصلى.

ولقد ورد خبر تلك الكتب اليهودية فى وثيقة عرفت باسم «رسالة أرستياس» الذى كان موظفًا رسميًا فى بلاط «بطليموس فيلادلفوس» (٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م). وتشير هذه الوثيقة إلى خبر ترجمة أسفار اليهود إلى اليونانية حسب طلب ديمتريوس الفاليرى أمين المكتبة الملكية وقد عرفت تلك الترجمة بالترجمة السبعينية، والتى اشتهرت فيما بعد بالعهد القديم اليونانى. وسميت بالترجمة السبعينية لاشتراك اثنين وسبعين مترجماً فى عملها. وهذه القصة جاءت على شكل رسالة بعث بها «آرستياس» إلى أخيه «فيلوكراتيس». ويزعم «آرستياس» أنه كان عضواً فى البعثة التى أرسلت من الإسكندرية إلى أورشليم القدس لجلب نسخة من شريعة اليهود (العهد القديم) والاتفاق مع عدد من المترجمين الفلسطينيين.

وعندما كتب «ديمتريوس الفاليرى» إلى بطليموس يخبره بالتقدم العظيم الذى حققه فى جمع الكتب للمكتبة ذكره بأن هناك عدداً كبيراً من كتب الشريعة اليهودية تستحق أن تجمع وتقتنى فى المكتبة إلا أنها مكتوبة بالخط العبرى غير المقروء بالنسبة لليونان وأن هذه الكتب اليهودية مليئة بالحكمة المخفية وليس عليها أى غبار لأنها شريعة الله ولا يدرى السبب الذى من أجله كما يقول «هيكاتيوس

الأباديرى» أغفل الشعراء والمؤرخون ذكرها وذكر أحبار اليهود الذين يحملون هذه الشريعة رغم أنها شريعة مقدسة ولا ينبغى للأفواه الدنسة أن ترددها.

ولطرافة هذه الرسالة فسوف أقتبس منها النص الآتى حسب كلام «آرستياس» نفسه.

[«لقد أخبرت أنا (ديمتريوس) أن لليهود أيضًا شرائع خاصة بهم تستحق النسخ والاقتناء فى المكتبة» فرد الملك «وما الذى يمنع من القيام بذلك إذن؟ إن كل الوسائل الضرورية لذلك موجودة فى خدمتك. ورد «ديمتريوس» بأن الترجمة مطلوبة أيضًا لأنهم فى بلاد اليهود يستخدمون خطًا خاصًا بهم (كما هو الحال بالنسبة للمصريين الذين لهم حروفهم) كما أنهم يتكلمون لغة خاصة. إنه يظن على العموم أنهم يستخدمون اللغة السوريانية ولكن هذا خطأ، إنها لهجة مختلفة». وعندما علم الملك كل الحقائق، أصدر أمره بكتابة خطاب إلى كبير أحبار اليهود حتى ينفذ الاقتراح السابق»].

ويقال أن الملك أمر بتحرير الأسرى والعبيد اليهود فى مصر، كما أمر «ديمتريوس» بأن يكتب تقريراً عن أوضاع المكتبة. وقد وضع «ديمتريوس» التقرير التالى بناء على أوامر الملك:

[« إلى الملك العظيم من ديمتريوس. إطاعة لأوامر جلالتكم أيها الملك بإضافة الكتب المطلوبة إلى مجموعات المكتبة وترميم تلك الكتب التالفة وإصلاحها، لقد بذلت أقصى العناية فى سبيل ذلك وتم المطلوب فعلاً. إننا نحتاج إلى كتب الشريعة اليهودية وقليل غيرها وهى مكتوبة بالحروف العبرية وباللسان العبرى وهى مترجمة ترجمة مهملة إلى حد ما بحيث لا تمثل النص الأصلى وذلك طبقًا للمعلومات التى قدمها لى الخبراء لأن تلك الترجمات لم تتم أبداً تحت رعاية الملك. ومن المهم أيضًا أن تقتنى تلك الكتب فى حالة جيدة بالمكتبة لأن هذه الشرائع لكونها مقدسة مليئة بالحكمة وخالية من الأخطاء. ولهذا السبب أمسك المؤلفون والشعراء وجموع المؤرخين عن ذكر تلك الكتب والرجال الذين يؤمنون

بها لأن الآراء الموجودة فيها لها طهارة وقدسية من نوع خاص فيما يقول هيكاتيوس الأباديرى. فإذا كان ذلك بالأمر الطيب أيها الملك فإن من الممكن كتابة خطاب إلى كبير الأحبار فى أورشليم القدس نسأله فيه أن يرسل ستة أشخاص كبار من كل سبط، رجالاً من أعلى مستوى متفقهين فى شريعة بلدهم ليدلونا على الأجزاء الأكثر أهمية فى تلك الكتب ومن ثم نحصل على ترجمة دقيقة تتخذ مكانها السامى، وبطريقة تنفيذ تتفق مع الإرادة السنية. ولنا النجاح والتوفيق»].

وقد كتب الملك «بطليموس» خطابًا إلى كبير الأحبار «إليعازار» يقول فيه «إننا نريد أن نصنع معروفًا ليس فقط فى اليهود الموجودين فى الجيش والبلاط ولكن أيضًا لكل يهود العالم وللأجيال المقبلة، ولذلك فقد انصرفت إرادتنا إلى ترجمة شريعتكم من اللسان العبرى المستخدم لديكم إلى اللغة اليونانية، وكذلك أن توضع هذه الكتابات فى مكتبتنا مع المجلدات الملكية الأخرى».

وقد رد إليعازار بالإيجاب قائلاً «لقد اخترنا ستة رجال كبار من كل سبط، رجال طيبين وصادقين وقد أرسلنا معهم نسخة من الشريعة».

ونجد فى الرسالة أسماء المترجمين ووصفًا للهدايا الملكية وتقريرًا عن رحلة البعثة اليونانية إلى يهوذا ووصف حى شاهد عيان لمدينة أورشليم ووصف إليعازار المكتوب للشريعة اليهودية، ووصف لاستقبال المترجمين فى مدينة الإسكندرية وإقامتهم والأسئلة التى وجهها الملك إليهم والإجابات التى تلقاها منهم. وبعد ثلاثة أيام اصطحب «ديمتريوس» المترجمين إلى بيت مخصوص أعد لهم فى جزيرة فاروس. وقد انتهت أعمال الترجمة فى اثنين وسبعين يومًا وياله من اتفاق فى عدد المترجمين وعدد الأيام.

إلى جانب ترجمة العهد القديم إلى اليونانية ووضع الترجمة والأصول فى المكتبة، تمت ترجمة العديد من الكتب المصرية القديمة إلى اليونانية ووضعت الترجمات والأصول فى المكتبة وعلى رأسها أعمال «مانيتو» وقبل أعمال مانيتو

ترجم تقويم سايس إلى اليونانية. كما كتب المؤلفون اليونانيون فى فترات مختلفة عن العجائب المصرية والأسرار الفرعونية ولكن للأسف لم تصلنا تلك الأعمال. لقد عاش «مانيتو» الكاهن المصرى فى زمن كل من «بطليموس الأول» (سوتر) (٣٢٣ ـ ٢٨٣ ق.م) وولده «بطليموس الثانى» (فيلادلفوس) (٢٨٥ ـ ٢٤٦ ق.م). وهذا الكاهن الأعظم كاتب الأسرار المقدسة المصرية ولد فى سيبنتوس واتخذ هيليوبوليس مقرًا له. وكان «مانيتو» فيما يبدو مستشارًا لبطليموس سوتر وله علاقة وطيدة بالمستشار الروحى للملك «تيموثيوس» وكان لهما اليد الطولى فى إرساء عبادة سيرابيس التى اجتمع عليها المصريون واليونانيون معًا.

لقد كان «مانيتو» كاهنًا على درجة عالية من الثقافة والفكر ورجل أدب من الطراز الأول وكتب كثيرًا من الكتب باليونانية حول التاريخ والدين المصرى ومن ثم نقل إلى اليونانيين كثيرًا من المعلومات المقدسة والحوليات التاريخية للقدماء المصريين التى كتبت بالكتابة الهيروغليفية. ولقد كان الرجل مؤهلاً كل التأهيل لينقل العلوم المصرية إلى اللغة اليونانية فقد تعلم فى جامعة هيليوبوليس، العلوم التى كانت ترعاها الإلهة «سيشات» (حتحور) سيدة الفكر وسيدة المكتبات والتى كتبت بخط يدها أعمال وإنجازات حكام مصر. وقام الرجل بنقل ما أمكن نقله من العلوم المكتوبة بالهيروغليفية إلى اليونانية والتى يعتقد أنها كانت مكتوبة بخط يد «حتحور». ولقد كانت درجة الثقة فيما كتب مانيتو أعلى بكثير من درجة الثقة فيما كتبه «هيرودوت». لقد وقعنا على نص مكتوب على ورق الشجر بخط يد «حتحور» وتحوت وآتوم عن الشجرة المقدسة. وقد توفر «مانيتو» على نقل هذه الشجرة المقدسة إلى اليونانية كأحسن ما يكون النقل، ويعتقد أن تسمية «مانيتو» تعنى «محبوب تحوت» أو «لسان صدق تحوت». ولم يكتف «مانيتو» بنقل كتابات «حتحور» فقط بل نقل أيضًا الكثير من المصادر التى تمكن من الوصول إليها فى مكتبات القصور الفرعونية، مكتبات المعابد كما لكل الكتب المقدسة المصرية، كتاب الموتى، الوصفات الطبية للأحياء، حوليات الملوك المصريين التى دأب الكهنة على الاحتفاظ بها عبر الأجيال كما نقل الوثائق الاقتصادية الخاصة بالمعابد

والإقطاعيات، كما نقل قسطًا كبيرًا من القطع الأدبية النثرية والشعرية على السواء. لقد بقى إلى زمن مانيتو الآلاف من البرديات والمسلات والآثار التى تحمل كتابات دينية وتاريخية وأدبية وعلمية خاصة بالآلهة والبشر والأموات والحكام مكتوبة بالكتابات المصرية القديمة (هيروغليفية، هيراطيقية، ديموطيقية) ترجم منها «مانيتو» ما استطاع ترجمته إلى اليونانية، واستقر الباقى بلغته وكتابته المصرية فى مكتبة الإسكندرية. ومن بين ما ترجم نستطيع أن نميز:

١ ـ قائمة أبيدوس الملكية. وتضم معلومات عن ٦٧ ملكًا (وكانت مكتوبة على جدار الممر المعتم فى «معبد سيتى الأول» فى أبيدوس وتبدأ من «مانيس» حتى «سيتى الأول».

٢ ـ قائمة الكرنك الملكية. وتضم معلومات عن ٦١ ملكًا (من «مانيس» وحتى «تحتمس الثالث»). وهى موجودة الآن فى متحف اللوفر.

٣ ـ قائمة سقارة الملكية. وتضم معلومات عن ٥٨ ملكًا ولكن جزءًا منها كسر ولم يتبق سوى معلومات عن ٤٧ ملكًا (من ميبيس الأسرة الأولى). وهى موجودة الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة.

٤ ـ بردية تورينو. وهى مكتوبة بالخط الهيراطيقى على ظهر وثيقة قديمة ترجع إلى عصر رمسيس الثانى (حوالى ١٢٠٠ ق.م). وبيانات عن الملك الخاصة به على الوجه. أما الوثيقة التى نحن بصددها (الظهر) فإنها تضم أسماء الملوك متتابعين والتى تربو على ثلاثمائة مع ذكر سنوات حكم كل منهم بالسنين والشهور والأيام وللأسف لم تنشر هذه البردية نشرًا سليمًا دقيقًا كاملاً حتى الآن. وهذه البردية موجودة الآن فى متحف تورينو.

٥ ـ حجر باليرمو. ويحمل قائمة بالملوك العظام فى المملكة القديمة بدءًا من الأسرة الخامسة.

وإذا كان «مانيتو» قد نقل هذه الأعمال وغيرها من كتابات غيره فإن المصادر قد سجلت أنه كتب باليونانية أعمالاً من تأليفه من بينها:

١ ـ تاريخ مصر.

٢ ـ كتاب سوثيز.

٣ ـ الكتاب المقدس.

٤ ـ ملخص قوانين الطبيعة.

٥ عن الاحتفالات.

٦ ـ عن الشعائر والديانات القديمة.

٧ ـ حول صناعة الكايفى (نوع من البخور).

٨ ـ نقد هيرودوت.

ومن أسف أنه لم يصلنا أى عمل من أعمال «مانيتو» المترجمة أو المؤلفة؛ وكل ما وصلنا مجرد مقتطفات عبر مقتطفات فى أعمال أخرى نقلت من الأصول على نحو ما نجده فى كتابات «جوزيفوس» اليهودى (نحو ٣٧ ـ ١٠٠م) الذى كان يكتب تاريخ اليهود حتى ذلك الوقت. وقد قام أحد المؤلفين بتلخيص ملخصه عن قوانين الطبيعة ولكنه هو الآخر فقد وبقيت منه مقتطفات فى كتب بعض الكتاب المسيحيين. وقد اعتمد «سكتوس جوليانوس أفريكانوس» (الأفريقى) فى كتابة حولياته منذ بدء الخليقة من سنة ٥٤٩٩ وحتى «إيلاجابالوس» سنة ٢١٧ أو ٢٢١م والتى بلغت خمسة كتب، اعتمد على حوليات مانيتو ولكن حتى حوليات أفزيكانوس نفسها فقدت ولم يصلنا منها سوى مقتطفات فى كتابات بعض الكُتَّاب المتأخرين فى العصرين الهللينى والرومانى وفى القرن الثامن قام جورج الراهب بنقل بعض المقتطفات التى نقلها «سينسيلوس سيدرينوس» من «مانيتو»، وكان عمل جورج الراهب بعنوان تاريخ العالم (منذ آدم حتى الإمبراطور ديوقليتيان). ومن الثابت أيضًا أن من بين من اقتطفوا من مانيتو ولكن على نطاق ضيق كل من: «بلوتارخ»، «ثيوفيلوس»، «آيليان»، «فورفوريوس»، «ديوجينيس لايرتيوس»، «ثيودوريتس»، «لايدوس»،

«مالالاس»، «حواش أفلاطون»، وغيرهم؛ ومن الطريف أننا من هذه المقتطفات نستطيع أن نخرج بكتب كاملة من أعمال مانيتو (ومن المعروف أن مانيتو عاش عهد «بطليموس الثانى» (فيلادلفوس) وكان محوراً لبحوث ودراسات العديد من المؤلفين فى عصرنا).

ونريد أن نؤكد للمرة الثانية أن كثيرًا جدًا من الكتب المصرية جمعت من مظانها المختلفة لتستقر كما هى فى مكتبة الإسكندرية القديمة ولعل هذا هو سر عدم عثورنا على مقتنيات المكتبات المصرية القديمة قبل مكتبة الإسكندرية وهى كثيرة جدًا رغم عثورنا على مبانيها بل وبعض فهارسها.

وكما حرصت مكتبة الإسكندرية القديمة على اقتناء الكتب المصرية القديمة سواء فى أصولها أو ترجماتها فقد حرصت أيضًا على اقتناء الكتب البابلية والآشورية والفارسية. وكما فعل مانيتو قام «ميناندر» الفينيقى بكتابة تاريخ الفينيقيين وقام «بيروسوس» كاهن بعل ـ ماردوك البابلى بكتابة تاريخ بابل. ونحن لا نعرف إلا القليل عن حياة بيروسوس، فقد كان كاهنا بابليـًا من قالديا وكان ذا تعليم راق وعاصر الإسكندر الأكبر وعاش فى عهد «أنطيوخوس الأول» (٢٨٠ ـ ٢٦١ ق.م) وقد أهدى له كتابه عن تاريخ بابل، وكان عالمًا بالفلك ويقال أنه أسس مدرسة للفلك فى قوص ودرّس فى أثينا، كما يقال أنه صنع له هناك تمثال لسانه من ذهب. وكانت له نظريات جديدة فى البصريات لعكس أشعة الشمس والقمر وقد وصفه البعض بأنه أكثر المؤرخين فى غربى آسيا علمًا وقد انتشرت أعماله الفكرية فى بلاد اليونان وبلاد الرومان. ويقدر المؤرخون أن بيروسوس عاش ما بين ٣٥٦ و ٢٦١ ق.م.

وإلى جانب تاريخ بابل قام «بيروسوس» بكتابة العديد من الكتب باليونانية من بينها عمل مستفيض عن تاريخ بلاد مابين النهرين فى ثلاثة مجلدات: الأول منذ بدء الخلق حتى الطوفان والثانى من الطوفان حتى نبوخذ نصر والثالث من نبوخذ نصر حتى «الإسكندر الأكبر» و«أنطيوخوس الأول». لقد رسم الرجل فى كتابه

صورة للحياة البدائية استقاها من الكتابات التى وجدها على معبد بعل فى بابل جاء فيها دراسة طبية عن حيوانات ماقبل التاريخ كما درس ألواح الطين وما عليها من كتابات مسمارية حول الملوك الغابرين فى المنطقة. ولكن للأسف الشديد لم يصلنا هذا العمل العظيم وكل ماوصلنا كما هو الحال فى أعمال مانيتو مجرد مقتطفات فى أعمال تلاميذه والكُتَّاب الذين تعاقبوا بعده ومن بين من نقلوا عنه تلميذه «أبيدينوس» الذى وضع كتابًا عن تاريخ آشور، وكذلك «أبوللودورس» و«ألكسندر» الملقب بأبى التاريخ ·بوليهستور). وبعض مقتطفات من هذه المقتطفات نجدها عند «نيقولاس» الدمشقى صديق هيرود، ونجدها عند «جوزيفوس» المؤرخ اليهودى و«أثينايوس» و«جوليوس أفريكانوس» و«بوسبيوس» و«جورج سينسيلوس».

لقد وجدت الكتب التى كتبت فى قالديا، بابل، ميديا، بلاد الفرس طريقها بالضرورة إلى مكتبة الإسكندرية. يقول إدوارد بارسونز إنه من الصدف العجيبة أن يكتب بيروسوس كاهن بعل ـ ماردوك تاريخ قالديا فى ثلاثة كتب، ويكتب مانيتو الكاهن المصرى فى الإسكندرية تاريخ مصر فى ثلاثة كتب ويهدى الأول مجلداته إلى أنطيوخوس الأول الحاكم اليونانى فى غربى آسيا، ويهدى الثانى مجلداته إلى بطليموس الثانى الحاكم اليونانى فى مصر.

لقد وُجِد كُتَّاب آخرون كثيرون غير يونانيين أقل مرتبة من «مانيتو» المصرى و«بيروسوس» البابلى، استقرت أعمالهم فى مكتبة الإسكندرية وإن لم يصلنا منها شىء سوى مقتطفات ومقتطفات المقتطفات. من بين هؤلاء المؤلفين نذكر:

١ ـ «ميناندر» الصورى، الإفسوسى وربما البرجامى. صاحب كتاب تاريخ صور أو تاريخ فينيقيا أو وقائع اليونانيين والبرابرة فى عهد ملوك صور.

٢ ـ «ديوس». صاحب كتاب تاريخ فينيقيا الذى نقل عنه «جوزيفوس» المؤرخ اليهودى مقتطفات كثيرة وطويلة تتعلق بسليمان وحيرام.

٣ ـ «هيبسكريتس». صاحب كتاب تقرير فينيقيا وقد كتب بالفينيقية وترجمة «أسيتوس» أو «لايتوس».

٤ ـ «ثيودوتوس». صاحب عمل مستفيض عن تاريخ فينيقيا ترجم كذلك إلى اليونانية.

٥ ـ «فيلوستراتوس». كتب عن تاريخ فينيقيا وعن تاريخ الهند كما كتب عن حصار صور.

٦ ـ «هيرونيموس» من كانديا فى عهد «أنتيجونوس» وهو أحد المؤرخين الفينيقيين المعدودين. كتب أيضًا عن تاريخ فينيقيا.

٧ ـ «موخوس». مؤرخ فينيقى ورد ذكره كثيراً فى كتب أثينايوس، ربما كان من صيدا. يعزو إليه استرابون النظرية الذرية.

٨ ـ «سانخونياثون». مؤلف فينيقى مجهول ربما كان مسئولاً عن الكتب المقدسة الفينيقية. كما سجل الأساطير الفينيقية وكلها ترجمت إلى اليونانية وإن لم يصلنا منها شىء سوى مقتطفات.

٩ ـ فيلو من ببلوس. كتب فى الأساطير والديانات الفينيقية ونقل كثيراً عن «سانخونياثون». ولم يصلنا من إنتاجه سوى مقتطفات.

ومن الهند أيضًا جاءت كتب وأعمال كثيرة مترجمة وأصلية إلى مكتبة الإسكندرية تلك القارة التى غزاها الإسكندر بعد أن دمر الإمبراطورية الفارسية ووضع حدًا للممالك المتشرذمة هنا وكانت مهيأة للدخول فى الإمبراطورية الجديدة عندما توفى الإسكندر. ولكن قفز إلى الحكم واحد من أبنائها هو «شاندراجوبتا» الذى كان معجباً بالإسكندر وعبده ضمن ما عبد من آلهة هندية، وقد خلف شاندراجوبتا ابنه «بندوسارا» الذى أنجب الحاكم العظيم (أسوكا) الذى يمثل الجيل الثالث فى تلك الأسرة الحاكمة هناك. هؤلاء الحكام الهنود الثلاثة: شاندراجوبتا ـ بندوسارا ـ أسوكا ـ كانت لهم صلات وثيقة وعلاقات طيبة مع خلفاء الإسكندر المقدونيين، والعالم الهلليني. وقد أرسل «سلوقس» سفيره «ميجاسثينز» إلى بلاط «شاندراجوبتا» فى مهمة أو بعثة محددة هى جمع كل الإنتاج الفكرى الذى أبدعه الهنود القدماء فى جميع فروع المعرفة البشرية. وإلى

بلاط «نبدوسارا» أرسل السفير «ديماخوس» من بلاتيا. ولم يتردد البطالمة فى إرسال البعوث هم أيضًا إلى الهند كما فعل السلوقيون فى سوريا فأرسل «بطليموس الثانى» سفيره «ديونيسيوس» إلى البلاد الهندى لجمع الكتب الهندية لمكتبة الإسكندرية.

لقد قام أسوكا بإرسال بعوث هندية كثيرة إلى البلاطات الهللينية ومنها بطبيعة الحال بلاط البطالمة فى مصر حيث شوهدت هذه البعثات فى شوارع الإسكندرية وفى المدن المصرية المختلفة ومن المؤكد أن تلك البعثات قد حملت معها كتبًا هندية كثيرة ولكن للأسف ضاعت كلها مع ضياع سائر مقتنيات المكتبة. لقد ظل تيار العلاقات الثقافية المصرية الهندية متدفقًا يجلب معه بصفة مستمرة الكتب الهندية إلى مكتبة الإسكندرية.

إننى أختتم هذه المعالجة لمجموعات مكتبة الإسكندرية القديمة بسؤال جسور ليست له إجابة وهو هل تعرف ما كانت عليه مجموعات مكتبة الإسكندرية وماذا كانت الكتب الموجودة بين جنباتها؟ لقد كانت فى ظنى جميع الكتابات التى كتبها اليونانيون منذ هوميروس مرورًا بالحقبة الهللينية والتقويم الوثنى كله وما بعده حتى القرن السابع الميلادى، كما كانت جل الكتابات غير الإغريقية التى تجمعت من مصر وفينيقيا والهند وروما وغربى أوروبا؛ جمعت جميعًا باللغة التى أجادها المقدونيون وأعنى بها لغة القوة.

لم تكن مكتبة الإسكندرية فقط أكبر وأعظم وأهم مجموعة كتب يونانية تجمعت على مدار التاريخ، ولكنها أيضًا فى أزهى عصورها كانت أعظم وأكبر مكتبة عرفها العالم والتاريخ حتى القرن الثامن عشر الميلادى.

وأجد لزامًا علىَّ فى هذه الخاتمة أن أقدم هنا حاشية تزيتزيس على الأقل فى صيغة واحدة من صيغها حيث أنها النص الوحيد الذى نعتمد عليه فى تقدير حجم مجموعات مكتبة الإسكندرية والذى نقل عن نص معاصر للمكتبة لم يصلنا.

لقد اكتشف هذا النص باحث يعرف باسم «ف. أوسان» فى مكتبة الكلية الرومانية القديمة فى كتاب من رق يرجع إلى القرن الخامس عشر من تأليف بلوتوس يتضمن خمس عشرة مسرحية وكان ذلك الكشف فى سنة ١٨١٩م. لقد وجد هذا الباحث حاشية فى ورقة بين مسرحيتين. وقد وقعت هذه الحاشية باسم كايكيوس، وهذه الحاشية تتعلق بمكتبة الإسكندرية. وقد قدم «كايكيوس» هذه الحاشية إلى «ماينكه» الذى قام بنشرها وقد بلغ عدد سطورها فى المخطوط ١٣ سطراً وفى المطبوع خمسة عشر سطراً. وكان أول نشر لها سنة ١٨٣٠م وقد قام «و. وندورف» بتحقيق اسم «كايكيوس» وقال بأن اسمه الحقيقى هو «جوهان تزيتزيس» وهو باحث بيزنطى من القرن الثانى عشر. وقام «ف. ريتشل» سنة ١٨٣٨ بنشر النص اللاتينى ثم مرة أخرى مع تعليقات سنة ١٨٦٦م.

ويسير النص مترجماً إلى العربية على النحو الآتى:

[قام «ألكسندر» من آيتوليا و«لايكوفرون» من كالكيس و«زينودوتس» من أفيسوس بناء على طلب من «الملك بطليموس» المشهور باسم «فيلادلفوس» الذى كان يهتم جداً بمواهب وشهرة العلماء، بجمع كتب الشعر اليونانية وتنظيمها وترتيبها: ألكسندر قام بجمع وترتيب التراجيديات؛ لايكوفرون قام بجمع وترتيب الكوميديات، زينودوتس قام بجمع وترتيب قصائد هوميروس وغيرها من القصائد الرائعة. ولأن هذا الملك كان على معرفة بالفلاسفة وغيرهم من الكتاب المشهورين فقد طلب الحصول على الكتب من جميع أنحاء العالم بقدر الإمكان على نفقة البلاط الملكى السخى وكلف ديمتريوس الفاليرى (وغيره من المستشارين) بذلك. وقد أعد مكتبتين لذلك إحداهما خارج القصر والثانية داخل القصر. وفى المكتبة الخارجية كان هناك ٤٢,٨٠٠ مجلد وفى مكتبة القصر كان هناك ٤٠٠,٠٠٠ مجلد مركب و٩٠,٠٠٠ مجلد مفرد وملخصات طبقاً لما قال به «كاليماخوس» رجل البلاط وأمين المكتبة الملكى والذى سجل بيانات تلك المجلدات الكثيرة. وكان هناك شخص آخر قدم نفس هذه المعلومات هو «إراتوسثينز» الذى كان رئيساً لنفس المكتبة ليس بمتأخر كثيراً عن كاليماخوس.

هذه المجلدات العلمية التى استطاع الحصول عليها جاءت من كل الشعوب وبكل اللغات وقد أمر الملك بترجمتها إلى لغته بأقصى درجة من العناية على يد أمهر المترجمين. والآن تم جمع كل الأشعار على يد «بيزستراتوس» الذى عاش قبل بطليموس فيلادلفوس بمائتى عام، بأقصى درجة من العناية. والآن جمع شعر هوميروس الذى كان مشتتًا من قبل، وقد قام بتلك المهمة المقدسة أربعة من العلماء المشهورين وهم بالاسم: «كونيلوس»؛ «أونوماكريتوس» الأثينى؛ «زوبيروس» من هرقلية؛ «أورفيوس» من كروتون. وقبل ذلك الوقت كانت أشعار هوميروس مشتتة قطعًا قطعًا وتقرأ بصعوبة. وبعد عناية بيزستراتوس بأشعار هوميروس للمرة الأولى، وتحت رعاية بطليموس يقوم «أرستارخوس» بكل الدقة باستكمال مجموعة هوميروس. يقول «هيليودوروس» أشياء كثيرة مناقضة لذلك بشكل مضحك قام تزيتزيس بدحضها على نحو مطول؛ لأنه (هليودوروس) يقول بأنه تم جمع أعمال هوميروس بواسطة ٧٢ عالمًا عينهم بيزاستراتوس لهذا الغرض لأن هؤلاء (أى الاثنين وسبعين عالمًا) قاموا فى حقيقة الأمر بأعمال كلفوا بها من قبل زينودوتس وأرستارخوس وقد فضلوا عمن سواهم، والزيف واضح هنا حيث أنه كانت هناك ٢٠٠ سنة بين بيزستراتوس وزينودوتس وكان أرستارخوس أصغر بنحو أربع (و) سنوات من كل من زينودوتس وبطليموس.]

وإلى هنا تنتهى حاشية «تزيتزيس» وليس هنا مجال التعليق عليها سطرًا بسطر لأنها كانت فى حقيقة الأمر مثار تعليقات كثيرة باعتبارها أقرب مصدر إلى مكتبة الإسكندرية.

فهرسة وتصنيف مجموعات مكتبة الإسكندرية

لكى نكشف عن المجهود الخرافى الذى بذل فى فهرسة وتصنيف مقتنيات مكتبة الإسكندرية على يد «كاليماخوس» ومعاونيه لابد أن نستدعى أرقام تلك المقتنيات وطبيعتها حيث قلنا أنه كانت هناك على وقت كاليماخوس ٤٠٠ ألف

لفافة مركبة و١٣٢ ألف لفافة مفردة، ومعنى اللفافة المركبة أنها تشتمل على عدد من المؤلفات القصيرة داخل اللفافة الواحدة سواء كانت تلك المؤلفات لمؤلف واحد أو لعدد من المؤلفين، وسواء كانت كلها فى مجال واحد أو فى عدد من الموضوعات. ويقصد باللفافة المفردة أنها تضم عملاً واحداً لمؤلف واحد ومن ثم فى موضوع واحد. ومن جهة ثانية فإن العمل الواحد يمكن أن يقع فى عدة مجلدات أى لفافات، خذ على سبيل المثال عملاً مثل الإلياذة أو الأوديسة التى قام «زينودوتس» الذى أشرت إليه سابقًا بتقسيمها إلى ٢٤ كتابا ليس فقط كى تتساوى مع حروف الأبجدية الإغريقية ولكن أيضًا كى يضم كل كتاب ألف بيت من الشعر ومن ثم يمكن تسجيل كل كتاب فى لفافة من الحجم المعقول. ومن الطبيعى أن يكون هناك من الأعمال فى اللفافات المركبة بقدر ما تشتمل كل لفافة من عدد هذه الأعمال ويكون العدد النهائى للأعمال المجموعة ضخمًا للغاية وعلى سبيل التقدير والتقريب لو اشتملت كل لفافة مركبة فى المتوسط على خمسة أعمال قصيرة لكان مجموع الأعمال نحو مليونى عمل فى المجموعة المركبة فى المكتبة الأم يضاف إليها ١٣٣ ألف عمل مفرد ليصل عدد الأعمال إلى نحو مليونين ومائة وخمسين ألف عمل. وحتى لو كانت هناك نسخ مكررة من العمل الواحد أو من اللفافة المركبة فإنها لابد وأن تخضع جميعًا للفهرسة والتصنيف لأننا فى حالة المخطوطات نفهرس كل نسخة على حدة لأن الملامح المادية التى توصف تتفاوت حتمًا من نسخة إلى نسخة وليس هناك أية فرصة للتطابق كما هو الحال فى المطبوعات. وإذا أضفنا إلى ذلك أن كل لفافة كانت تحتاج إلى فردها لاستقاء البيانات منها وحيث لا توجد لا صفحة عنوان ولا عناوين جارية ولا بيانات معزولة فى مكان خاص عن المؤلف والعنوان والناسخ ومكان النسخ وتاريخ النسخ، ويجب أن نضيف إلى ذلك أيضًا عوامل تلف بعض اللفافات وعدم وضوح الخط فى بعضها وانطماس البيانات فى البعض الآخر وعدم التنميط فى إخراج اللفافات؛ إذا وضعنا ذلك كله فى الحسبان وأضفنا إليه العصر الذى أعد فيه فهرس مكتبة الإسكندرية أدركنا مدى الجهد

الضخم والوقت والمال الذى بذل فى إعداد هذا الفهرس ولقتلنا الحزن والأسف والغم على المصير الذى لقيه هذا الفهرس مع مقتنيات تلك المكتبة.

لقد احتاج الأمر للتعامل مع هذا الكم الهائل من اللفافات إلى فرز مبدئى لها لترميم ما يحتاج أو يمكن ترميمه ثم توزيع مبدئى على أساس المؤلفين أو الموضوعات أو ربما الخطوط وربما أيضًا مصدر الحصول عليها كما ألمحنا من قبل «كتب السفن»، بل يذهب البعض إلى أن الفرز المبدئى ربما يكون على أساس الشعر والنثر وقد يكون الأمر قد انصرف إلى عزل الأعمال الدرامية عن الأعمال غير الدرامية ومهما يكن من أمر الفرز المبدئى فإن الفهرسة النهائية والتصنيف قام بهما كاليماخوس ورفاقه فى فهرس عرفه العرب باسم فينكس تحريفًا عن الاسم اليونانى بيناكيس أى القوائم.

فهارس كاليماخوس

من الثابت تاريخياً أن قدماء المصريين ومن بعدهم الآشوريون ثم «كاليماخوس» كانوا رواداً فى علم المكتبات وإعداد الفهارس والببليوجرافيات. وإن كان «كاليماخوس» يوصف بأنه أبو الببليوجرافيا، وذلك لعدم حصولنا على أسماء المصريين أو الآشوريين الذين سبقوه فى هذا المضمار وإن كانت أعمالهم قد وصلتنا. ومن المؤكد أن ما قام به «كاليماخوس» هو أكبر وأضخم عمل ببليوجرافى ليس فقط فى وقته ولكن حتى القرن التاسع عشر الميلادى، وما قام به «جزنر» فى القرن السادس عشر وخلفاؤه فى السابع عشر والمحاولات التى جرت فى الثامن عشر، وما حاوله كل من «بول أوتليت» و«هنرى لافونتين» فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين؛ كل ذلك ليس سوى كسرة محدودة للغاية مما نفذه فعلاً وقام به «كاليماخوس» ورفاقه فى القرن الثالث قبل الميلاد. وعندما ندرك أن ثلاثة فقط هم الذين قاموا بهذا العمل المستفيض أدركنا مدى الجهد الذى قام به كل منهم والزمن الذى استغرقه كل منهم من عمره فى هذا العمل حتى لقد قيل بأن كاليماخوس قد ودع الشعر وطلقه وتزوج العمل الببليوجرافى

وتفرغ له. ولعل أحسن من أرخ لكاليماخوس وفهارسه وجهوده الببليوجرافية هو «رودلف بلوم» فى كتابه «كاليماخوس: مكتبة الإسكندرية وأصول البيليوجرافيا». وقد كتب بالألمانية وترجمه إلى الإنجليزية هانز ويليش ونشرته جامعة ويسكونسن سنة ١٩٩١.

والكتابات عمومًا حول كاليماخوس وحياته وأعماله محدودة بل ومليئة بالتناقضات. وقد تواتر فى المصادر القليلة أنه «كاليماخوس» أبوه «باتوس» وأمه «ميزاتما» [أوميجاتيما] من كيرين اشتغل بالنحو وهو تلميذ النحوى «هيرموكراتيس» من إياسوس وقد تزوج ابنة «يوفراتيس» من سيراكيوز وابن أخته يدعى أيضًا كاليماخوس (الأصغر) كتب ابن أخته شعرًا كثيرًا عن الجزر ويحدث اللبس بينهما من هذا المنطلق. ولقد عاش كاليماخوس القرن الثالث قبل الميلاد. ويقال أنه كتب أكثر من ثمانمائة كتاب وربما كانت عبارة عن رسائل صغيرة. وقد عاش فى عصر «بطليموس فيلادلفوس». وقبل أن ينخرط فى بلاط الملك كان يعمل مدرسًا فى المدرسة الابتدائية فى إيلوسيس وكانت ضاحية من ضواحى الإسكندرية ويقال أنه عاش حتى وقت بطليموس الثالث يوجريتيس.

ومن خلال إنتاجه الفكرى والكتابات القليلة التى كتبت عنه يمكننا القول أنه كان نحوياً أى مشتغلاً بعلم اللغة، كما كان شاعرًا وكما أسلفنا كان ببلوجرافياً. وكما يظهر من قائمة مديرى مكتبة الإسكندرية فى الفصل السابق عمل الرجل فى المكتبة من ٢٦٠ ـ ٢٤٠ ق.م.

وكببليوجرافى فقد أعد «كاليماخوس» عددًا من الببليوجرافيات والفهارس من بينها قائمة بأعمال كُتَّاب المسرحيات الأثينيين وقائمة بكتابات ديموقريطس. وأهم أعماله الببليوجرافية على الإطلاق هو فهرس مكتبة الإسكندرية ولابد من التنبيه بداية إلى حقيقة هامة وهى أن جميع أعماله الببليوجرافية وفهارسه يشار إليها باسم: بيناكيس على سبيل الاختصار.

والعنوان الكامل لقائمة أعمال كُتَّاب المسرحيات الأثينيين هو «قائمة وسجل

كُتَّاب المسرحيات مرتبة زمنيًا منذ البداية». أما قائمة أعمال ديموقريطس فعنوانها «قائمة حواشى وكتابات ديموقريطس».

والعمل البيليوجرافى الذى يتصل بمكتبة الإسكندرية هو قوائم المؤلفين الإغريق وأعمالهم. وهذا العمل هو أعظم عمل أنجزه كاليماخوس ويفوق جميع أعماله الأخرى كلها شعرية أو نثرية بمراحل، ليس فقط بسبب استفاضته (١٢٠ كتاباً أو مجلداً) ولكن أيضاً فى أهمية هذا العمل وخطورته. وهذا العمل العلمى هو قمة أعمال كاليماخوس العلمية والذى تردد ذكره كثيرًا عند المؤلفين القدامى جميعهم. والعنوان الكامل لهذا العمل كما وضعه كاليماخوس نفسه هو: «قائمة بهؤلاء الذين تميزوا فى كل فروع المعرفة وكتاباتهم».

وينظر إلى هذه القوائم على أنها: فهرس مشروح لمكتبة الإسكندرية كما ينظر إلى كاليماخوس على أنه الراعى المقدس للمفهرسين. وينظر بعض الباحثين إلى هذه القوائم ليس فقط على أنها فهرس ولكن أيضا على أنها ببليوجرافية عالمية مستفيضة للعصور القديمة؛ ذلك أنها تتضمن معلومات أكثر بكثير مما يتضمنه فهرس أى مكتبة؛ فهى تقدم عن كل مؤلف نبذة مختصرة عن حياته وسيرته وقائمة بأعماله الفكرية حتى تلك الأعمال المفقودة التى لم تصل إلى المكتبة ومعلومات عن أى شك يتطرق إلى نسبة العمل إلى المؤلف. وكما سنرى فيما بعد رتب المؤلفون تبعاً لفئات واسعة. لقد جاءت هذه القوائم سجلاً تحليلياً وافياً بالإنتاج الفكرى فى العالم القديم؛ وربما كانت أول تأريخ للفكر يحاول مسحًا كاملاً للكتب الإغريقية حيثما وأنىٍّ وجد.

ورغم أنه كان فى مصر فهارس وفى العراق القديم فهارس وربما فى مناطق أخرى من الشرق القديم فإن كاليماخوس لم يكن أمامه نموذج يحتذيه فى عمله المستفيض لأن أهدافه البيليوجرافية كانت غريبة تمامًا. لقد قصد الرجل إلى جعل المعلومات والأفكار المخبأة فى الإنتاج الفكرى الإغريقى متاحة للباحثين فى كل مكان وفى كل زمان كما أمل. ومن جهة ثانية نجد أن الشرق نظر إلى الكتب

كأشياء ثمينة ولم يشأ إتاحتها إلا على نطاق ضيق ومن ثم اخترع نظاما معقداً لحفظها.

وللأسف الشديد لم يصلنا من هذا الفهرس إلا مقتطفات من مقتطفاته التى تسربت إلى أعمال مؤلفين آخرين وقام مؤلفون سواهم باقتباس بعضها ومن هنا فإن معلوماتنا عن هذا الفهرس وعن طريقة تنظيمه وعن طريقة تنظيم اللفافات وترتيبها داخل المكتبة هى مجرد تخمينات غير يقينية جاءت من خلال إعادة تكوين المتقطفات المحدودة التى وصلتنا.

لقد قَسَّم كاليماخوس فهرسه إلى أقسام رئيسية وكل قسم قسَّمه إلى شُعَب وربما قُسِّمت كل شُعْبَة إلى فروع. ولكن كم كان عدد الأقسام الرئيسية، هذا أمر لم نعرفه تحديداً وإن كان قد وصلتنا سياسته فى تقسيم الموضوعات عن طريق الاقتباسات التى نجدها فى المصادر. ولسوء الحظ لم يصلنا سوى ثلاث فقط من الأقسام الرئيسية هى:

١ ـ الخطابة.

٢ ـ القوانين.

٣ ـ متفرقات.

وهذه الأقسام الثلاثة جاءتنا عن طريق مقتطفات أثينايوس من هذا الفهرس، وقد أمدنا عرضاً بمعلومات عن قسمين آخرين هما التاريخ والفلسفة وقد أكد على قسم الفلسفة كاتب مقتبس آخر هو ديوجينس لايرتيوس.

لقد كانت هناك بدون شك قوائم أخرى أعدت بعد عهد كاليماخوس اعتمدت على الخطوط العريضة لتلك القوائم التى أعدها كاليماخوس ويقال إن من بينها قوائم أعدها هيرميبوس من سميرنا وهو من أتباع كاليماخوس وربما أحد معاونيه فى إعداد فهرسه، كما يقال أن أرستوفانيس البيزنطى الذى كان واحداً من مديرى المكتبة بعد كاليماخوس قد أعد نسخة منقحة من ذلك الفهرس وربما

أعد فهرسًا جديداً مبنيًا على عمل كاليماخوس. ومن المحتمل أن يكون هناك من الباحثين فى سنوات مختلفة بعد هذا الفهرس قد قاموا باستخراج بعض الفصلات منه كما أنه من المحتمل أن تكون مكتبات أخرى قد نقلت عن هذا الفهرس نموذجًا لها والأمثلة على هذا الاتجاه كثيرة.

ويعتقد «رودلف بلوم» أن فهارس كاليماخوس قد أعدت منها نسخ مختلفة وكانت تستخدم استخدامًا مكثفًا داخل وخارج المكتبة طالما كانت المكتبة فى أوج ازدهارها. ومن الثابت أن الباحثين فى القرون الأولى الميلادية كانت لديهم نسخ من تلك الفهارس ولما كانت رغبة الباحثين فى الكتب الكلاسيكية ماتزال متأججة فى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد فقد تم نقل هذه الفهارس من اللفافة إلى الكراس، ولكن بعد القرن الرابع الميلادى وخفوت الرغبة فى الكتب الكلاسيكية وبعد إهمال مكتبة الإسكندرية، أهمل الفهرس نفسه ولم يعد يستنسخ وإذا نسخ فقد كان ذلك بعدد ضئيل من النسخ اختفت مع اضمحلال الثقافة والفكر الكلاسيكى ودخول العالم إلى منعطف آخر.

ومن خلال المقتطفات التى وصلتنا وإعادة تركيب المعلومات يمكننا تتبع تصنيف هذه الفهارس والأسلوب الببليوجرافى بها على الوجه الآتى:

١ ـ تم تقسيم المؤلفين إلى فئات وداخل كل فئة يتم تقسيمهم إلى فئات فرعية إذا استدعى الأمر ذلك (حوالى ١٢٠ فرعاً). وكان كل قسم أو فرع فى لفافة أو مجلد واحد.

٢ ـ تم ترتيب المؤلفين داخل القسم الواحد أو الفرع الواحد فى ترتيب هجائى.

٣ ـ تمت إضافة معلومات بيوجرافية عن حياة كل مؤلف كلما أمكن ذلك.

٤ ـ تحت اسم كل مؤلف تم إدراج عناوين كتبه مع تجميع مفردات النوع الواحد منها معًا.

٥ ـ تحت كل كتاب تقدم الكلمات الأولى فى النص وعدد السطور التى يقع فيها العمل

أما عن الأقسام الرئيسية فقد وصلنا عدد من التصورات لها نأتى على بعضها. لقد قدم لنا بارسونز تصوره للأقسام الرئيسية على أنها عشرة أقسام تسير على النحو الآتى:

١ ـ الشعر الملحمى وغيره من الأشعار غير الدرامية.

٢ ـ الدراما.

٣ ـ القوانين.

٤ ـ الفلسفة.

٥ ـ التاريخ.

٦ ـ الخطابة والبلاغة.

٧ ـ الطب.

٨ ـ العلوم الرياضية.

٩ ـ العلوم الطبيعية.

١٠ ـ متفرقات.

وهناك من بين هذه الأقسام العشرة ثلاثة (القانون، الخطابة، المتفرقات) وصلتنا عبر مقتطفات مباشرة من فهرس كاليماخوس، وخمسة (القانون، الفلسفة، التاريخ، الخطابة، المتفرقات) وصلتنا عبر إشارات وصفية إلى الفهرس مما يؤكد على الثلاثة المباشرة. أما الثلاثة الباقية فهى مجرد استنتاجات تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ وفى انتظار ما يؤكدها، أو ينفيها. وكما قلنا قُسِّم كل قسم منها إلى شُعَب وكل شُعْبَة إذا احتاج الأمر إلى فروع وعلى سبيل المثال قُسِّمت الدراما إلى: تراجيديا وكوميديا.

المهم أنه تحت كل قسم رئيسى أو فرعى قدم الفهرس اسم المؤلف ومكان الميلاد (النسبة)، اسم والده، أسماء أساتذته وتعليمه، اسم الدلع إن وجد، الاسم المستعار إن وجد، سيرته مختصرة كلما أمكن. بعد هذه البيانات البيوجرافية، تدرج أسماء أى عناوين المؤلفات (وإن لم يكن لأيها عنوان قام المفهرس باختيار عنوان مناسب) ويصحب كل عنوان تعليق على صحته وصحة نسبته إلى المؤلف وأخيراً ترد تبصرة بالكلمات الأولى من النص، ثم عدد السطور التى يقع فيها النص بالضبط لكل عمل على حدة ولمجموع أعمال المؤلف الواحد. وعدد السطور فى كل عمل كان مسألة هامة لضبط حجم النص وتحديد مكافأة الناسخ وأيضًا كمرجع عام.

وكما أشرت من قبل رتب المؤلفون داخل القسم أو الفرع فى ترتيب هجائى ولكن مع بعض الاستثناءات. وهذا النظام فى الوصف اقتبسه الرومان من الإسكندرية فى قائمة المسرحيات الواحدة والعشرين الخاصة بالكاتب «بلوتوس»، ونجده أيضًا فى «سويداس»، «ديوجينس» وغيرهم. وسوف نستعرض هنا بعض النماذج من داخل كل قسم ونرى كيف كان القسم.

١ ـ الشعر الملحمى وغيره من الأشعار غير الدرامية

ـ تحت «هوميروس» الذى له أكثر من ألف لفافة فى المكتبة قسمت اللفافات إلى

أ ـ الأعمال الأصلية لهوميروس.

ب ـ الأعمال المنتحلة له والقصائد المشكوك فى نسبتها مع تعليقات حول صحتها.

ـ تحت «هيسويد». استخدمت نفس الطريقة.

ـ تحت «بندار». نجد تقسيمات فرعية بالأماكن.

ـ تحت «سيمونيدس». جرى التقسيم على حسب نوع القصائد. ويعتقد أن كاليماخوس صنف كل قصيدة على حدة وفهرسها أيضًا.

٢ـ الدراما

نجد تحت كل مؤلف نفس البيانات البيو ـ ببليوجرافية مع بعض المعلومات النقدية. ويعتقد بعض الببليوجرافيين أنه جرى ترتيب المؤلفين هنا زمنيًا وليس هجائيًا وداخل كل مؤلف على حسب تاريخ تأليف المسرحية لأن تواريخ المسرحيات أعطيت هنا. ومن الطريف أن السياق الزمنى هنا كان ينبذ أحيانًا ويتبع الترتيب الهجائى.

٣ـ القوانين

أورد كاليماخوس فى فهرسه المجلد الثالث وصفًا لقواعد القانون مثال ذلك: «القاعدة العامة هى أن الكل متساوون أمام القانون والعدل يطبق على الجميع». وهذه القاعدة القانونية تقع فى ثلاثمائة وثلاثة وعشرين سطراً.

٤ـ الفلسفة

لم تصلنا أية قطع عن موضوع الفلسفة فى فهرس كاليماخوس ولكن وصلتنا بعض قوائم مفصلة نقلها «هيرميبوس» من سميرنا الذى يعتقد أنه كان تلميذ كاليماخوس ومساعده فى المكتبة وقد عمل معه فى إعداد الفهارس، وعندما توجد قوائم ترجع إلى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد فإنها ولابد وأن تكون قد استقيت من فهارس كاليماخوس. ولقد كان هيرميبوس باحثاً فى المتحف وأصبح كاتباً متميزًا وله كتاب مرموق فى التراجم هو «سير الفلاسفة والمؤرخين والشعراء» يعتقد البعض أنه أسس بلاشك على البيانات البيوجرافية التى جاءت فى فهارس كاليماخوس، وجاء فيه بسير كاملة لهم ومن ثم عمل كتاباً عظيماً مفصلاً ظل يرجع إليه حتى وقت الأباطرة الرومان. ويرى بعض الثقاة أن القائمة الهجائية «لكتابات ثيوفراستوس» والتى تضمنها عمل «ديوجينس لايريتوس» إنما ترجع إلى فهارس كاليماخوس عبر هيرميبس.

٥ـ التاريخ

ليست لدينا معلومات كثيرة عن قسم المؤرخين فى فهارس كاليماخوس ولم

تصلنا أى قطع مباشرة من هذا الفهرس ولا قوائم مطولة غير مباشرة عن هذا القسم، وربما كان ذلك بسبب أن المؤرخين القدامى لم يكتبوا كتباً كثيرة مقارنة بكتّاب الشعر والخطباء؛ والنماذج القليلة التى وصلتنا مرتبة هجائياً. ومن المدهش أن نشير إلى أن عناوين كتب المؤرخين القدماء لم تكن ثابتة وكانت تلك الكتب تُعرف بمؤلفها أكثر مما تعرف بعناوين محددة لها كما حدث فى حالة هيرودوت وثيوكيديدس وغيرهما.

٦ـ الخطابة

فى هذا القسم رتب الخطباء هجائياً بأسمائهم وتحت كل خطيب أدرجت الخطبة بعنوانها وإن لم يكن لها عنوان رسمى أعطى لها عنوان من قبل المفهرس. ويبدو أن الخطب تحت كل خطيب قُسِّمت على حسب الأغراض مثل: خطب رسمية، سياسية، الحكم، قانونية، مهنية، مدنية أو على حسب المناسبات. ويعزى إلى كاليماخوس نفسه أنه هو الذى رتب خطب ديموثينس وقد وصلنا الترتيب الأصلى لها فى فهارس كاليماخوس عبر مصادر أخرى.

٧- الطب

لم تصلنا هنا أيضاً قوائم مطولة أو قطع مباشرة؛ ولكن قام هيسكيوس بإعداد قائمة ببليوجرافية استندت فى تصنيفها على فهارس كاليماخوس وجاء الطب فى تلك القائمة رقم ٧. وهذه القائمة كانت مصدراً لكثير من القوائم التى تلتها لعدة قرون، ربما حتى القرن العاشر الميلادى إذ يذكر الثقاة أن سويداس ربما يكون قد اعتمد عليها فى جانب من معجمه الذى أعده فى ذلك القرن.

٨ـ العلوم الرياضية

لم تصلنا أية معلومات محددة عن قسم العلوم الرياضية فى فهارس كاليماخوس ولكن يعتقد أنه قد خصص لها قسم رئيسى نظراً للاهتمام الكبير بها فى الفكر اليونانى والهللينى. ونفس الشىء حدث فى فهارس أريستوفانيس البيزنطى.

٩ـ العلوم الطبيعية

لم تصلنا كذلك معلومات مؤكدة عن العلوم الطبيعية أى العلوم البحتة، ولكن نظراً لوجود إنتاج فكرى غزير فى هذه المجالات فإن من الطبيعى أن نعتقد بوجود قسم رئيسى فى تصنيف كاليماخوس يتعلق بهذه العلوم؛ خاصة وأن أكاديمية الإسكندرية (المتحف)/لم تكن تحفل كثيراً بالفلسفة وإنما انصب اهتمامها الرئيسى حول دراسات العلوم الطبيعية والطب وعلم اللغة والشعر.

١٠ـ المتفرقات

ذكرت من قبل أن المتفرقات كانت من الأقسام الرئيسية التى وصلتنا منها قطع مباشرة من فهارس كاليماخوس. وقد رتب المؤلفون فى هذا القسم ترتيبًا هجائيًا. أما المختلط منها فقد قسم إلى مجالات موضوعية وداخل كل مجال رتبت الأعمال هجائيًا. وقد نقل أثينايوس نماذج طيبة من هذا القسم. ونقتطع منها المثال الآتى:

[هناك كتاب كتبه كايريفون سجله كاليماخوس فى قائمة المتفرقات وكتب عنه ما يلى؛ المؤلفون عن الولائم: كايريفون. أهدى إلى بود ثم يرفق بعد ذلك مباشرة بداية النص «طالما أنك قد دعوتنى» ثم يضيف الحجم «فى ثلاثمائة وخمسة وسبعين سطراً».

وليست ببعيد عن شعبة الولائم والمآدب فى قسم المتفرقات نصادف شعبة عن كتب الطهى، وحيث أدرج قائمة هجائية بأسماء مؤلفى كتب الحلويات.

يقول إدوارد «ألكسندر بارسونز» أن فهارس كاليماخوس كانت أعظم فهارس مكتبية أنجزتها الحضارة الغربية. ولقد تضمنت فى نسختها الأصلية أساسيات الفهرسة الحديثة واستحق صاحبها كاليماخوس أن يلقب بأبى الببليوجرافيا. وككل الجهود الفكرية العظيمة التى جادت عندهم أرسى الإغريق قواعد الفهرسة وأسس التصنيف التى أثرت بطريقة أو بأخرى فى قواعد الفهرسة ونظم التصنيف الحالية. ولابد وأن نقر بأن قوائم كاليماخوس لم تكن مجرد فهارس، لقد كانت

كما أشرت من قبل ببليوجرافية عالمية أعدها أكبر ببلوجرافى فى عصره. إن التصدى لتسجيل الإنتاج الفكرى المكتوب باليونانية وإعطاء نبذات بيوجرافية عن المؤلفين وبيانات ببليوجرافية عن أعمالهم منذ هوميروس حتى كاليماخوس وتقديم نبذات تحليلية ونقدية عن تلك الأعمال، إنما يستند فى حقيقة الأمر على رصيد ثرى وعميق من الفكر والعلم لدى كاليماخوس، جعله يستحق إلى جانب لقب أبى الببليوجرافيا لقب أبى التاريخ الفكرى.

وقد يقال بأن كاليماخوس قد مسح الإنتاج الفكرى اليونانى كما وجده أو كما تجمع واقتنى فى مكتبة الإسكندرية مما فرض عليه قيوداً محددة، ولكننا نعلم أنه فى حصره لإنتاج المؤلف الواحد لم يكن يتقيد فقط بما هو متاح للمؤلف فى المكتبة بل تجاوز ذلك إلى مجموع إنتاج المؤلف على حسب علم كاليماخوس ورفاقه. ومن هنا فإن قوائم كاليماخوس تقف فى منطقة ما بين الفهرس والببليوجرافية والتاريخ الفكرى وإن كانت إلى الفهرس أقرب بطبيعة الحال. لقد انطوى الفهرس على معالجة علمية لكل مؤلف وأعماله قدر الإمكان وهى وإن لم تكن معالجة مطولة فى كل الأحوال إلا أنها كانت كافية ومشبعة وفتحت الباب واسعًا أمام من يريد التوغل فى العلم وحيث أن نصف العلم تنظيمه وبالتالى يكون كاليماخوس قد قام وحده بنصف العلم لجيله والأجيال التى تلت لعدة قرون. وتنبع أهمية هذا الفهرس أيضاً فى أنه يسير مع التعليمات التى أرساها أرسطو بين تلاميذه حيث قال لهم إنه قبل البدء فى أى بحث علمى لابد من جمع مصادره وتحليلها ونقدها قبل استقاء أى مادة علمية منها. ولقد خرج من بطن فهارس كاليماخوس أجيال من كُتَّاب التراجم، وأجيال من الببليوجرافيين وأجيال من مؤرخى الفكر، كما وجد فيه المؤرخون والحوليون معيناً لا ينضب من المعلومات الجاهزة المفيدة لهم. ونقف هنا على عينة فقط من المدارس التى خرجت من عباءة هذا العمل. فهناك مدرسة «هيرميبوس»، وهناك مدرسة «سوتيون»، وهناك مدرسة «إراتوسثينز»، وهناك «ليساندبوس» من كيرين، وهناك «يوفوريون»، وهناك «أستروس» من كيرين.

لقد شعر «أريستوفانيس» البيزنطى مدير المكتبة وأحد عمالقة المتحف كما رأينا بضرورة إعداد إصدارة منقحة من فهارس كاليماخوس. ورغم أن الإصدارة الجديدة كانت عملاً أصلياً قام به شخص جديد له وزنه وثقله إلا أنه اعتمد على الأسس الأولى التى وضعها كاليماخوس. لقد ضاعت فهارس أريستوفانيس هى الأخرى.

إن خسارة البشرية فى فقد فهارس كاليماخوس هى خسارة فادحة بلاشك تسببت فى طمس معالم علوم العصور القديمة كلها ودفعت بالبشرية إلى ظلام العصور الوسطى ضمن عوامل أخرى كثيرة.

* * *

الفصل الخامس

مصير مكتبة الإسكندرية القديمة

الفصل الخامس

مصير مكتبة الإسكندرية القديمة

كما كانت مكتبة الإسكندرية لغزًا فى قيامها كانت أيضاً لغزًا أكبر فى مصيرها ونهايتها. واختفاء مكتبة الإسكندرية إما أنه كان نتيجة تدمير عفوى أو متعمد، أو أنه كان نتيجة التبدد والشيخوخة التى تصيب المؤسسات كما تصيب البشر وخاصة بسبب التحولات التى تطرأ على الحياة. وهناك شبه إجماع على أن التحلل والتبدد والشيخوخة لم تتسبب فى اختفاء المكتبة. وإنما كانت نهايتها نهاية مفجعة ليس عن طريق السلب أو النهب أو الغرق أو المصادرة بل كانت تلك النهاية عن طريق الحريق، سواء كان ذلك الحرق عمدًا (الحرق) أو غير عمدى (الاحتراق). ومن العرض المستفيض فى الفصول السابقة جميعاً للظروف التى نشأت فيها المكتبة وشقت طريقها فيها يمكننا القول أنها ظلت مزدهرة على الأقل طيلة قرنين ونصف من الزمان تنمو وتكبر عقدًا بعد عقد وجيلاً بعد جيل. ولكن اعتبارًا من النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد يبدأ الحديث عن حرق المكتبة ومن خلال المصادر الكثيرة التى قرأناها وهى مصادر عربية مؤلفة وعربية مترجمة وعربية مكتوبة بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، ومصادر أجنبية باليونانية أو الإنجليزية والفرنسية والألمانية، من هذه المصادر جميعاً نستخلص أن المكتبة احترقت على يد كل من أو على يد واحد من:

١ ـ يوليوس قيصر ٤٧ ق.م

٢ ـ أورليان ٢٧٣م

٣ ـ ثيودوسيوس وثيوفيلوس ٣٩١م

٤ ـ عمرو بن العاص ٦٤٢م

وبالتالى تكون المكتبة إما عمرت قرنين ونصف أو سبعة قرون أو عشرة قرون كلياً أو جزئيًا. وسوف نستعرض هنا كل حالة ما لها وما عليها.

يوليوس قيصر فى مصر

أسلفنا فى فصل سابق أن «يوليوس قيصر» جاء إلى مصر وقضى نحو تسعة أشهر بين ٤٨ ـ ٤٧ ق.م. وكانت هناك حرب أهلية بين الرومان، وجاء قيصر إلى مصر لتعقب «بومبيوس» مناوئه الذى كان قد فر إلى مصر ولكنه كان قد لقى مصرعه قبيل وصول قيصر إليها. وعندما دخل يوليوس قيصر إلى الإسكندرية كان هناك صراع دموى بين «كليوباترا» وشقيقها «بطليموس الثالث عشر» على السلطة واتخذ يوليوس قيصر جانب كليوباترا التى حملت منه فى ذلك الوقت، وثار المصريون ثورة عامة ضد قيصر الذى دخل فى حرب مع بطليموس الثالث عشر لصالح كليوباترا، ولكن قيصر وجد نفسه محاصراً فى البر والبحر حيث تفوق عليه عدوه فى عدد السفن، وفى البر قطعت إمدادات المياه عن قواته وكادت تهلك عطشًا ولكى يخرج من هذا المأزق العسكرى عمد إلى إحراق كل السفن فى الميناء بما فى ذلك السفن المدنية التى كانت فى الترسانة البحرية التى أشرنا إليها فى فصل سابق وبعد ذلك أنزل قواته المحدودة إلى جزيرة فاروس للتحكم فى الموقف. ومن الجدير بالذكر أن قيصر آنذاك كان فى الثالثة والخمسين من عمره.

وتذكر المصادر بعد ذلك أن حريق السفن فى الميناء كان هائلاً وقد امتدت ألسنة اللهب من الميناء إلى ما حول الميناء من مبانٍ فى حى البروكيوم الذى كان يتحلق الميناء وأتت عليها بما فى ذلك المكتبة والمتحف بطبيعة الحال ومعنى الامتداد هنا أن النار شبت فى المبانى، وربما تكون المكتبة أقرب للميناء من المتحف نفسه وربما العكس فلا نعرف على وجه اليقين أيهما كان أقرب للميناء من الثانى.

وقد كتب قيصر نفسه عن تلك الموقعة ولكنه لم يذكر شيئًا عن مدى الحريق وآثاره ولم يصلنا ما كتبه المؤرخ «ليفيوس» عن حرب الإسكندرية وزيارة قيصر،

وأول كتابة مفصلة عن حقيقة ما حدث جاءت بعد أكثر من قرن (حوالى ١١٠ سنة) من وقوع الحريق فى ملحمة لوكانوس عن الحرب الأهلية الرومانية وهو الذى اتهمه نيرون بالخيانة والتآمر ضده وأعدمه سنة ٦٥م، كما أعدم الفيلسوف العظيم فى نفس السنة. وما قاله «لوكانوس» فى هذا الصدد يسير بالنص على النحو الآتى:

«انتشر الحريق وراء السفن إلى أجزاء أخرى من المدينة فاشتعلت المبانى المجاورة للبحر واندفعت ألسنة اللهب فوق أسطح المبانى فى سرعة الشهب» ولكن الرجل لم يشر إلى احتراق المكتبة أو المتحف حيث جاءت عبارته عامة.

وإذا كان أول نص عن الحريق قد جاء بعد مائة وعشرة أعوام من الموقعة فإن سائر النصوص التى وصفت الحريق وآثاره ترد بعد هذا النص الذى جاء به لوكانوس. ومن بين الآراء التى قيلت فى هذا الصدد:

١ ـ كتب «سينيكا» (٢ ق.م ـ ٦٥م) في منتصف القرن الأول الميلادى أن النار التى أضرمها قيصر فى الميناء أتت على أربعين ألف لفافة ويضيف الدكتور «مصطفى العبادى» من عنده (والراجح الآن أربعمائة ألف) وهو مالم يقل به سينيكا.

٢ ـ كتب «بلوتارخ» (٥٠ ـ ١٢٥م) المؤرخ اليونانى الذي عاش فى روما يقول على وجه التحديد أنه لما أوشك أسطول قيصر أن يقع فى أيدى أعدائه المصريين الذين حاصروه اضطر إلى درء الخطر بإشعال الحريق وانتشر الحريق من الترسانة البحرية ودمر المكتبة الكبرى. ويجب أن ندرك أن بلوتارخ كتب ذلك فى نهاية القرن الأول أو مطلع القرن الثانى الميلادى أى بعد مرور قرن ونصف تقريباً على الموقعة نفسها.

٣ ـ كتب «أولوس جيليوس» (١٢٣ ـ ١٦٩م) العالم اللغوى والناقد اللاتينى تحديداً يقول عن المكتبة: أنه فى زمن سابق جمعت أو نسخت كميات هائلة من الكتب على يد الملوك البطالمة وصلت إلى ما يقرب من سبعمائة ألف مجلد.

ولكن هذه الكتب جميعاً احترقت فى حرب الإسكندرية الأولى ولم يكن ذلك عن قصد أو عمد.

٤ ـ ويشير المؤرخ «كاسيوس» الذى عاش نهاية القرن الثانى الميلادى وأوائل القرن الثالث الميلادى إلى حريق المكتبة فيؤكد أن النار شبت فى أماكن كثيرة كما أحرقت مخازن الغلال والكتب التى كانت قريبة من المرفأ. ويقال أن هذه الكتب كانت كثيرة العدد عظيمة ويشير بعض الباحثين إلى أن كاسيوس قصد بذلك المكتبة الكبرى وهو مالم يقله الرجل تصريحًا أو تلميحًا.

٥ ـ ذكر المؤرخ «إميانوس فيلنيوس» الذى عاش القرن الرابع الميلادى بأنه كانت هناك فى الإسكندرية مكتبة ثمينة لا تقدر بثمن أجمع الكُتَّاب على أنها كانت تقتنى مالا يقل عن سبعمائة ألف كتاب، احترقت فى حرب الإسكندرية عندما دمرت المدينة زمن يوليوس قيصر.

هذه الروايات جميعاً تشير إلى احتراق مجموعات من الكتب خلال موقعة الإسكندرية وحرق السفن التى كانت موجودة فى الميناء والترسانة البحرية، وذلك على يد «يوليوس قيصر» سنة ٤٧ ق.م. ولما غضبت كليوباترا من ذلك أراد «مارك أنطونيو» أن يعوضها عن احتراق تلك المجموعات فحمل إليها مجموعات مكتبة برجاموم وكانت تقدر بمائتى ألف مجلد من بردى ورقوق على النحو الذى أشرت إليه سابقاً.

وعلى الجانب الآخر من الصورة يرى البعض أن الحريق لم يمتد ليشمل المكتبة الكبرى، وإن كانت هناك كتب احترقت فربما كان ذلك فى مخازن بالميناء حسب تعبير «كاسيوس» (مخازن الغلال والكتب). أى أن الربط بين الغلال والكتب يؤكد على أنها ليست المكتبة الكبرى بأى حال من الأحوال وربما تكون لفافات بردى معدة للتصدير إلى روما وتوهم البعض أنها كتب. ويرى هؤلاء الكُتَّاب أن الروايات السابقة يمكن تفنيدها على النحو الآتى:

أ ـ أن أقرب الروايات إلى زمن الموقعة والحريق يبعد عنه بأكثر من قرن كما

رأينا وهى رواية سينيكا الذى حدد عدد اللفافات التى احترقت بأربعين ألفًا ومن ثم تكون فعلاً هى تلك الموجودة بالمخازن فى الميناء لأن النار لو امتدت إلى المكتبة الأم لالتهمت كل مقتنياتها. ومن جهة ثانية ربما تكون سائر الروايات التالية له قد أخذت عنه دون تمحيص أو تحليل أو روية.

ب ـ أنه مهما اشتعلت النار فى الأسطول ومهما امتد اللهب إلى الشاطىء فقد كان كانت المكتبة والمتحف بمنأى عن ألسنة النار لأن المبانى كانت بالضرورة بعيدة عن الميناء وإن أتت النار على المبانى فلتكن مبانى الميناء نفسه ومخازنه وإن كان فيها كتب فليست بحال كتب المكتبة الكبرى أو غيرها إلا أن تكون كتباً معدة للتصدير أو واردة فى انتظار الفسح ولو كانت على ذمة المكتبة. ومهما كان عددها فلن يصل إلى سبعمائة ألف أو أربعمائة ألف حسبما ذكر وربما يكون رقم سينيكا أقرب إلى الصحة.

ومن جهة ثانية فإن مبانى الإسكندرية القديمة لم تكن لتحترق بسهولة على نحو ما قدمناه عن كيفية بناء المبانى بالحجر وخاصة تغطية الأسطح بالحجر ومن المؤكد أن مبنى المكتبة كان من الحجر الخالص الذى لا يمكن أن تخترقه ألسنة النيران القادمة من البحر بسهولة وبساطة.

ج ـ أن الروايات جميعاً أكدت على أن حريق المكتبة لم يكن عمداً، ونشير هنا أن قيصر لم يقصد غزو الإسكندرية وكانت زيارته للإسكندرية مجرد زيارة ودية وبالتالى فإن نية التخريب لم تكن واردة ولم يكن من أخلاق الرومان أو من سلوكيات قيصر أن يدمروا الكتب فهم الشعب الذى حافظ على كتب اليونان والثقافة اليونانية واستوعبها وبنى عليها حتى لقد قيل بأن اليونان المقهورة غزت فاتحها البربرى بعلمها وثقافتها.

د ـ لم تصلنا وثيقة واحدة تشير إلى أن مارك أنطونيو عندما حمل مكتبة برجاموم إلى كليوباترا هدية لها، أن ذلك كان بقصد التعويض عن مجموعات احترقت، ولماذا لا يكون الأمر تودداً لها وعربون محبة وصداقة.

ومن هنا فإن نسبة فرضية حرق المكتبة على زمن يوليوس قيصر لاتزيد على ١٠٪، وإن صحت رواية برجاموم فإنها ستكون إضافة إلى مجموعات المكتبة أو تكون قد استخدمت فى إنشاء مكتبة جديدة فى معبد قيصرون الذى أخذت كليوباترا فى إنشائه تكريماً لمارك أنطونيو وتخليداً لها والذى أكمله الإمبراطور أوغسطوس. وقد ذكر فيلون (٢٠ ق.م - ٥٤م) الفيلسوف اليهودى الذى ولد وعاش فى الإسكندرية أن من بين ما اشتمل عليه هذا المعبد الجديد مكتبة عظيمة الشأن ومن المرجح أن تكون نواتها هذه المجموعة.

أورليان

الحريق الثانى للإسكندرية وقع فى الحقبة المسيحية فى القرن الثالث الميلادى. وتقول المصادر بأن المكتبة ومدينة الإسكندرية بكل مؤسساتها على وجه العموم استمرت بعد حرب الإسكندرية الأولى تؤدى دورها ونشاطها العلمى والفكرى وإن لم يكن بنفس القدر من الإزدهار فى القرون الثلاثة السابقة على الميلاد. بيد أن القرن الثالث الميلادى قد حمل للإسكندرية ويلات وأهوالاً وفتنًا ومحنًا واضطرابات ففى عام ٢١٦م قام «الإمبراطور كاراكاللا» (حكم بين ٢١١ - ٢١٧م) بإراقة الدماء وإغلاق المحال العامة وأغلق المكتبة والمتحف وأوقف رواتب العاملين بهما وطرد العلماء والدارسين الأجانب من الإسكندرية وألغى جميع الامتيازات الممنوحة للجميع. وكانت تلك أول ضربة حقيقية توجه لهذا الصرح العلمى وإن لم يذكر عن الامبراطور أنه قد مس مجموعات المكتبة أو المتحف بسوء.

أما فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى فإننا يجب أن نتوقف أمام المد المسيحى فى مصر ونظرته إلى مكتبة الإسكندرية على أنها معقل للفكر الوثنى دون تمييز بين ماهو دينى وماهو علمانى من الكتب وكان الصراع بين المسيحيين وغيرهم ينعكس أثره بالضرورة أول ما ينعكس على الكتب والمكتبات ثم على سائر مؤسسات المدينة عموماً. وفى سنة ٢٦٥م تعرضت مدينة الإسكندرية لفتنة

طائفية كبرى واضطرابات شديدة وخاصة فى حى البروكيوم الذى توجد فيه المكتبة الكبرى. وفى سنة ٢٧٣م قام «الإمبراطور أورليان» (أورليانوس) بغزو الإسكندرية وأحدث بها دماراً شديداً فى نفس الحى الملكى مما أدى إلى فرار موظفى المكتبة والعلماء والباحثين إلى خارج المدينة ولجوء بعضهم إلى معبد السيرابيوم للاحتماء به. وفى سنة ٢٩٦م قام «الإمبراطور دقلديانوس» بأكبر عملية اضطهاد للمسيحيين حيث كان يقتلهم ويعذبهم ويمثل بهم ودمر بسبب ذلك جانباً كبيراً من المدينة وكان يأمر بإحراق الكتب دون تمييز وأعمل فيها النار دون شفقة. وربما يكون «الإمبراطور دقلديانوس» قد عَمَدَ إلى حرق الكتب المسيحية ولكنه من الممكن أن يكون قد أتى على جانب من الكتب الأخرى فى المكتبة الأم. ولم يثبت لنا أنه حرق المكتبة نفسها أو المتحف فهما من تراث الوثنية وليس المسيحية.

المهم أنه لم يأت القرن الرابع الميلادى إلا وكانت الأضواء قد خفتت من حول المتحف والمكتبة وإن لم ينته دورهما تماماً ويذكر البعض أن الموسيون قد تحول إلى مؤسسة تعليمية وليست بحثية وبالتالى ضعف دور المكتبة وانتقل النشاط الأكبر للبحث العلمى والقراءة إلى معبد السيرابيوم.

ثيودوسيوس وثيوفيلوس

فى القرن الرابع الميلادى اشتدت الحركة المسيحية واعتنقتها الدولة ديناً رسمياً لها على النحو الذى كشفنا عنه فى فصل سابق، وبدأ الصراع يحتدم وكان لابد للمسيحيين من أن ينتقموا ممن اضطهدوهم قبلاً ومحاربة الوثنية بل بلغوا من التعصب حد الانقسام فيما بينهم إزاء المسيحيين الذين رضوا بالاضطهاد واستسلموا له هل ترفضهم الكنيسة أو تقبل توبتهم وعودتهم إليها؟ وفى سنة ٣٦٦م كان التعصب المسيحى على أشده ويقال أنهم فى تلك السنة هجموا على معبد القيصرون وهدموه ودمروا مكتبته التى كانت كليوباترا قد أنشأتها من المجموعات التى يقال بأن مارك أنطونيو قدمها له من مكتبة برجاموم.

ومع انتشار المسيحية وتوسعها وزيادة الداخلين إليها يوماً بعد يوم توسعت حربها ضد الخصوم الوثنيين والفكر الوثنى ومصادره. وبعد إعلان المسيحية ديناً رسمياً للدولة أخذت المعابد الوثنية وكل ماهو وثنى معرض الآن للاضطهاد من جانب المسيحيين. وبقدر ما كان من قسوة واضطهاد للمسيحيين على يد «دقلديانوس» كان اضطهاد الوثنية والوثنيين ومعابدهم على يد «الإمبراطور ثيودوسيوس» (٣٧٩ ـ ٣٩٥) فى جميع أنحاء الامبراطورية. ويقال أن هذا الامبراطور قد أصدر قراراً فى سنة ٣٩١م بتدمير جميع المعابد الوثنية فى مدينة الإسكندرية. وكان فى الإسكندرية آنذاك الأسقف شديد التعصب «ثيوفيلوس» والذى يقال عنه أنه نجح فى الحصول على موافقة الإمبراطور على تحويل ديونيسيوس إلى كنيسة ومارس كثيراً من أعمال العنف والتطرف ضد الوثنيين وأدوات الوثنية فى الإسكندرية، ولذلك هرع كثير من الناس الذين كانوا مايزالون على وثنيتهم إلى معبد السيرابيوم الذى كان كما قلت من قبل فوق تلٍ عالٍ وكان مبناه فى غاية الضخامة والفخامة والمتعة أشبه ما يكون بالقلعة المنيعة، وحاول هؤلاء القوم الاحتماء به أو الدفاع عنه ضد هجمات «ثيوفيلوس» وأتباعه.

ويقال أن ثيوفيلوس حتى يهجم على المعبد ويحطمه طلب مساعدة والى الإسكندرية وقائد الحامية الرومانية، ولكن المصادر تؤكد على أنهما رفضا أية مساعدة عسكرية فى هذا الشأن دون موافقة مباشرة من الإمبراطور الرومانى وهو ما حدث حيث أصدر «الإمبراطور ثيودوسيوس» قراره بتدمير معابد الإسكندرية على النحو السابق. ويقال أن ثيوفيلوس ذهب إلى المعبد فى حشد من أنصاره وقرأ القرار على الملأ ثم أخذ معوله وسدد الضربة الأولى لتمثال سيرابيس ثم اندفع وراءه حشد الأنصار وعاثوا فى المعبد فساداً وتدميراً ثم قرر ثيوفيلوس بعد أن تم تدمير المعبد إقامة كنيسة أو تحويل المبنى إلى كنيسة.

وقد رأت بعض المصادر أن عملية التدمير لم تصب سوى تمثال سيرابيس وبعض مظاهر الوثنية الواضحة فى أرجاء المعبد وربما بعض الكتابات الدينية الوثنية فى المكتبة وأن المبنى نفسه لم يدمر عن آخره وإلا فكيف يحول إلى كنيسة

بين يوم وليلة، لأنه إذا كان قد هدم من أساسه فإن الأمر يتطلب وقتاً طويلاً فى ظل الحجارة الثقيلة والكتل الصخرية التى بنى منها المعبد. ومن هذا المنطلق ترى تلك المصادر أن مكتبة المعبد ربما تكون قد استمرت فى ظل الشكل الكنسى الجديد له ودخلت ولو بخسائر محدودة إلى القرن الخامس الميلادى وربما تكون فقط قد أغلقت فى وجه المستفيدين وطواها النسيان أو ربما تكون قد نقلت إلى مقبرة داخل الشكل الجديد للمعبد، وهذا القبو تحت الأرض كان مسألة مألوفة فى المعابد والكنائس القديمة؛ على النحو الذى قال به «إميانوس مارسيللينوس» الذى زار الإسكندرية فى مطلع القرن الخامس وتحدث عن أوضاع المكتبات فى عموم الإمبراطورية وما أصابها على يد المسيحيين وذكر من بينها «مكتبات أغلقت إلى الأبد كالقبور».

ورغم الصورة الظاهرة بأن المكتبة الأم (الكبرى) قد دمرت وخرجت من الوجود إما مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد، أو مع نهاية القرن الثالث الميلادى وبأن مكتبة القيصرون التى حلت محل المكتبة الكبرى قد خرجت من الوجود فى منتصف القرن الرابع الميلادى؛ وبأن المكتبة الصغرى (الابنة) انتهت هى الأخرى وخرجت من الوجود فى نهاية القرن الرابع الميلادى أيضاً وبالتالى يكون الستار قد أسدل على مكتبة الإسكندرية القديمة درة مكتبات العالم القديم وتبدأ سحب العصور الوسطى المظلمة تطل على العالم كله؛ رغم هذه الصورة الظاهرة ورغم كل الحديث عن الحرائق وعمليات التخريب والتدمير يرى بعض الباحثين أن المكتبة الأم قد استمرت بطريقة أو بأخرى بعد القرن الرابع الميلادى ولم تغلق أبوابها كلية ولم تفن عن آخرها؛ وربما تكون قد خبت جذوتها وخفتت شعلتها ولكن بقى فيها بالضرورة شىء ينتفع به، كما يؤكدون على أن المكتبتين الآخريين فى القيصرون والسيرابيوم استمرا كذلك ولكن على نحو آخر. ويؤكد هؤلاء الباحثون على الحقائق الآتية:

١ ـ أن مجموعات كبيرة من الكتب البردية قد نجت من كل هذه الأهوال لأن الأباطرة الرومان كانوا شديدى الحرص على العلم ومصادره ولم يعمدوا أبداً إلى

حريق أو تخريب مقصود للمكتبات، بل أفادوا منها فوائد عظيمة ولو باستغلال الأسرى والعبيد اليونانيين المثقفين على النحو الذى صادفناه من قبل، وهى سمات رومانية اعترف بها جل المؤرخين، وإن لم يهتم الأباطرة الرومان بالإسكندرية نفسها كمركز لفكر العالم، وحاولوا جهدهم نقل هذا المركز إلى روما عندما أصبحوا فى وضع يسمح لهم بذلك.

٢ ـ أن مجموعات مكتبة برجاموم التى نقلت إلى الإسكندرية، سواء استقرت فى المكتبة الكبرى أو مكتبة معبد القيصرون كانت تتألف أساسًا من رقوق لأننا نعلم أن برجاموم قد طورت صناعة الرقوق بعد توقف تصدير ورق البردى إليها زمن الآتاليين. والرقوق تستعصى على الحريق العادى ولا تحترق إلا بعد سكب زيوت معينة عليها. ومن هنا فسواء كانت هذه المجموعات بالمكتبة الأم أو بمكتبة القيصرون فإنها لابد وقد استمرت بعد القرن الرابع الميلادى؛ والقول بحريقها فيه تجاوز.

٣ ـ أن رواية استصدار المسيحيين لأمر من الإمبراطور بهدم معبد السيرابيوم وحرقه وتخريبه، قول فيه تجاوز شديد أيضاً وتضارب فكيف يتحول المعبد الوثنى بعد تخريبه إلى كنيسة. إن التحويل يتم على مبنى قائم على نحو ما حدث فى كنيسة أياصوفيا عندما حولت إلى مسجد. ثم كيف يتم حمل الكتب الموجودة فى مكتبة المعبد إلى روما والقسطنطينية بعد أن تكون قد احترقت وخربت. أغلب ظنى أنه كى يستقيم الأمر، أن قرار الامبراطور كان بتحويل المعبد إلى كنيسة دون هدم أو تخريب أو تدمير وأقصى ما هناك هو إتلاف الأصنام التى كانت قائمة فيه أى تماثيل آلهة الوثنية المصرية واليونانية على السواء. وربما كان القرار أيضاً باستبعاد الكتب الدينية الوثنية وأن تحمل منه بعض الكتب إلى روما والقسطنطينية وليس كل الكتب. ويكون معنى هذا أن مكتبة معبد السيرابيوم ربما تكون قد نقحت ونقيت واستبعد منها ما استبعد ونقل منها ما نقل ولكن مع ذلك بقى فيها شىء يوائم الشكل الجديد لدار العبادة أى الكنيسة وبالتالى تكون المكتبة أو هذا الشطر من مكتبة الإسكندرية قد عاش هو الآخر بطريقة أو بأخرى بعد القرن

الرابع الميلادى. ويكون المسلمون عندما دخلوا الإسكندرية فى منتصف القرن السابع الميلادى قد وجدوا فيها مكتبات أو بقايا من مكتبة الإسكندرية القديمة.

عمرو بن العاص

ثمة رواية أخرى تنسب إلى العرب المسلمين حرق مكتبة الإسكندرية عندما دخلوها بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤٢م فاتحًا لمصر. وقد قال بهذه الرواية عرب مسلمون قدامى كما قال بها عرب مسلمون وعرب مسيحيون حاليون؛ وقال بها أجانب مستشرقون وغير مستشرقين. كذلك فقد نفاها وفندها عرب وأجانب حاليون. وفى كلتا الحالتين ليس لدينا أدلة نقلية مادية وكل ما لدينا أدلة عقلية استنباطية. وقد تناقلت المصادر العربية بالذات الرواية مصدراً عن مصدر ولم يحاول أيها التوقف والتحليل.

ولسوف نحاول هنا الوقوف طويلاً أمام هذه الرواية لأنها تمس العرب والمسلمين مسًا مباشراً. تقول هذه الرواية بأن عمرو بن العاص عندما دخل الإسكندرية قابله عالم سكندرى يسمى يحيى النحوى (الغراماطيقى أو الجراماتيكى) وكان أسقفًا فى كنيسة الإسكندرية ناقمًا على مذهب التثليث الذى أفسد العقيدة المسيحية على النحو الذى أشرت إليه فى فصل سابق ورفض رفضاً قاطعًا أن يكون الله الواحد الأحد ثلاثة ولهذا طرده المسيحيون من الكنيسة وأسقطوه من المنزلة الدينية التى كان فيها. وربما لهذا السبب أعجب به عمرو بن العاص وأكرمه وأحله منزلة طيبة، وكان عمرو بن العاص يحسن الاستماع ويعرف أقدار الرجال فقربه منه ولازمه يحيى النحوى. وبعد أن أتم عمرو فتح المدينة والسيطرة على مرافقها قال له يحيى فى يوم من الأيام ما نصه:

[إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية وختمت على كل الأصناف الموجودة بها فما لك به انتفاع فلا نعارضك فيه ومالا انتفاع لك به فنحن أولى به، فأمر بالإفراج عنه. فسأله عمرو وما الذى تحتاج إليه؟ فقال كتب الحكمة التى فى الخزائن الملكية وقد أوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون إليها ولا نفع لكم بها.

فقال له عمرو: ومن جمع هذه الكتب وما قصتها؟ فقال له يحيى: إن بطلوماؤوس فيلادلفوس من ملوك الإسكندرية، لما ملك حبب إليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها أو فرد لها خزائن فجمعت وولى أمرها رجلاً يعرف بزميرة (ديمتريوس) وتقدم إليه بالاجتهاد فى جمعها وتحصيلها والمبالغه فى أثمانها وترغيب تجارها فى نقلها ففعل ذلك فاجتمع من ذلك عدة أربعة وخمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتابًا. ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة أترى بقى فى الأرض من كتب العلوم مالم يكن عندنا؟ فقال له زميرة قد بقى فى الدنيا شىء كثير من السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وباب والموصل وعند الروم. فعجب الملك من ذلك وقال له دم على التحصيل فلم يزل على ذلك إلى أن مات الملك. وهذه الكتب لم تزل محفوظة محروسة يراعيها كل من يلى الأمر من الملوك وأتباعهم إلى وقتنا هذا.

[فاستكثر عمرو ما ذكر يحيى وعجب منه وقال لا يمكننى أن آمر فيها بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكتب إلى عمر وعرفه قول يحيى الذى ذكرناه واستأذنه ما الذى يصنع فيها فورد عليه كتاب عمر الذى يقول فيه: وأما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنها غنى وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها.

[فشرع عمرو بن العاص فى تفرقتها على حمامات الإسكندرية وإحراقها فى مواقدها وذكرت عدة الحمامات يومئذ وانصبتها فذكروا أنها استنفدت فى ستة أشهر فاسمع واعجب].

وأول حلقة فى هذه الرواية وصلتنا من عبد اللطيف البغدادى (وهو موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على الشافعى) المولود سنة ٥٥٧هـ والمتوفى سنة ٦٢٢هـ. وكان هو ووالده من أعوان صلاح الدين الأيوبى.

تلك الرواية بنفس النص تواترت فى مصادر مختلفة بعد البغدادى فقد عاصره وردد نفس القصة القفطى (وهو جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن

إبراهيم القفطى) المولود فى قفط بصعيد مصر سنة ٥٦٥هـ وتولى منصب القضاء فى حلب وعرف هناك بالقاضى الأكرم وقد توفى فى حلب ٦٤٦هـ.

وربما يكون الحلقة الثالثة فى هذه الرواية هو أبو الفرج المالطى (أبو الفرج ابن هارون المالطى الشهير بابن العبرى) المولود سنة وفاة البغدادى ٦٢٢هـ والمتوفى سنة ٦٨٤هـ. ثم نقلت هذه الرواية بشحمها ولحمها بعد هؤلاء عن طريق مؤلفين تالين لهم من أمثال المقريزى وحاجى خليفة من القدماء وجورجى زيدان من المحدثين.

وقد تكون هناك مصادر أكبر من البغدادى والقفطى وابن العبرى حيث أن ما وصلنا من مصادر ترجع إلى القرن السادس والسابع وبينهما وبداية القرن الأول الهجرى ما بين خمسمائة وستمائة سنة ولابد من أن تكون هناك سلسلة من المصادر السابقة عليهما تصلهما بالقرن الأول أو الثانى الهجرى القريبين من الحدث. فالعقل يرفض تمامًا أن تكون هذه الرواية مختلقة كلية أو أن تكون نبتت من فراغ تماماً اعتباراً من القرن السادس خاصة إقحام اسم يحيى النحوى فيها. ومن المحتمل أن تكون المصادر السابقة عليهما قد احترقت فيما احترق من مصادر المكتبات العربية المختلفة. وعبد اللطيف البغدادى طاف بمصر وكتب عن آثارها وخططها وذكر حرق العرب لمكتبة الإسكندرية وكانت زيارته لها فى نهاية القرن السادس الهجرى. وهو يقول حول هذا الموضوع فى كتابه عن تلك الزيارة كتاب: الإفادة والاعتبار والأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر «ورأيت أيضاً حول عمود السوارى من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف وعمود السوارى عليه قبة هو حاملها، وأرى أنه الرواق الذى كان يدرس فيه أرسطو طاليس وشيعته من بعده وأنه دار العلم التى بناها الإسكندر حين بنى مدينته، وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر رضى الله عنه».

وعندما يذكر رحالة مثل البغدادى تلك العبارة المختصرة عن مكتبة الإسكندرية وقد جاءت عرضاً فلابد أن القصة كانت معروفة قبله ولذلك أثبتها على أساس الاستطراد وأن الشىء بالشىء يذكر فقط. وهذا يؤكد ما سبق أن أكدت عليه وهو وجود مصادر سابقة على البغدادى فى سلسلة متلاحقة.

والقفطى الذى عاصر البغدادى ولا نقول أخذ منه ردد نفس الرواية بتفصيل كافٍ يحتمل بالضرورة أنه نقله من مصدر سابق عليهما معًا. وقد جاءت هذه الرواية عند القفطى فى معجم تراجم الفلاسفة الذى وضعه بعنوان «تاريخ الحكماء» منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية حديثة النسخ نسبيًا (١١٩٧هـ أى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى). وقد سجل تفاصيل القصة عند ترجمته ليحيى النحوى. ومن الواضح فى كلام القفطى والحوار الذى دار أنه ينطوى على بذرة الحقيقة الكامنة وراء كل أسطورة وأنه لم يخترع هذه القصة من فراغ وإنما نقله عن مصدر سابق عليه مما يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل ولكن المشكلة الأساسية هنا هى أن نص القفطى المفصل هذا ـ وقد يكون مختصراً أو ملخصاً للنصوص السابقة عليه ـ أصبح الأساس لكل من أتى بعده فى هذه الجزئية.
وعلى سبيل المثال فإن أبا الفرج ابن هارون الملطى الشهير بابن العبرى مؤلف كتاب «تاريخ مختصر الدول» نقل عن القفطى نقلاً حرفياً ولكنه لخص نصه قليلاً. ومما يذكر فى هذا الصدد أن ابن العبرى كما يبدو من اسم الشهر قد تحدر من أصل يهودى ولكن أباه تنصر وشب هو على النصرانية وارتقى فى رتب الإكليروس إلى الأسقفية ثم ألف تاريخًا فى السريانية استخرجه من كتب يونانية وفارسية وعربية وسريانية واستخلص من هذا الكتاب المؤلف بالسريانية كتاباً كتبه بالعربية سماه (مختصر الدول) كما سبقت الإشارة وهو الكتاب الذى وصلنا وفيه تلك الرواية. *ومن المؤسف أن يعتبر بعض الكُتّاب أن ابن العبرى هو أول من* قال بهذه الرواية ويبنون دفوعهم على هذا الأساس.

المقريزى فى خططه نقل هذه الرواية حرفياً وبنفس الإسهاب. وحاجى خليفة فى كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، أشار إلى الرواية على وجه

الإجمال فليس فى كتابه مجال للإسهاب وهو لم يذكر مدينة الإسكندرية على وجه التحديد إنما أشار إلى أن «العرب فى صدر الإسلام لم يقنعوا بشىء من العلوم إلا بلغتهم وشريعتهم. . . ويروى أنهم أحرقوا ما وجدوه من الكتب فى فتوحات البلدان».

وفى هذه العبارة تلخيص للموقف كله وتلميح إلى أمر عمر بن الخطاب بحرقها وسبب ذلك أو تبرير له. وكيف أن هذا السلوك لم يكن خاصًا بمكتبة الإسكندرية وحدها وإنما كان سلوكاً عربياً عاماً إزاء كتب الأمم المفتوحة.

وقد جاء جورجى زيدان فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى وبداية القرن العشرين (الرابع عشر الهجرى) وفتح الملف العربى من جديد. وتردد بين مكذب لهذه الرواية أولاً ثم مصدق لها بعد تحليل وتدقيق. وقد ركز همه على تبرئة أبى الفرج بن هارون الملطى (ابن العبرى) حيث اتهمه البعض بأنه أول من اختلق هذه الرواية تعصبًا ضد الإسلام وتحيزاً للمسيحية التى ألصقت بها هذه التهمة كما ألمحنا إلى ذلك من قبل. وقد جاء حديث جورجى زيدان عن تلك الرواية وتحليلاته فى نحو سبع صفحات من الجزء الثالث من كتابه «تاريخ التمدن الإسلامى».

هذا على الجانب العربى أما على الجانب الغربى فقد رأينا كيف أن تزيتزيس ذكر خبر المكتبة فى القرن الثانى عشر فى الحاشية التى تحدثنا عنها؛ إلا أن قصة حرق المكتبة لم تتم إثارته فى أوروبا إلا فى القرن السابع عشر وما بعده وتناولها كُتَّاب عديدون ما بين مؤيد ومعارض لحرق العرب لها، مما ليس هنا مجال لتقصيه وسرده. ولكن المشكلة الحقيقية أن أول من قال بحرق المكتبة على يد العرب المسلمين هم عرب ومسلمون ولو لم ترد هذه القصة فى المصادر العربية لما فتح هذا الملف أيضاً ولانطوت صفحة تلك المكتبة كما انطوت صفحات مكتبات أخرى مثل مكتبة رمسيس الثانى وغيرها.

المهم أننا أمام رواية تقول بأن العرب المسلمين قد أحرقوا مكتبة الإسكندرية

فهل هى رواية صادقة، أم رواية كاذبة مختلقة من أساسها لسبب أو لآخر؟ هناك من يؤيد تلك الرواية وله دفوعه وأسانيده، وهناك من ينفيها ويكذبها وله أيضاً دفوعه وأسانيده. وفى كلتا الحالتين هى أدلة عقلية استنباطية ليس من بينها دليل نقلى مادى واحد.

وقبل استعراض دفوع وأسانيد كل من الفريقين أود أن أبرز ثلاث حقائق هامة:

الأولى: أن الرد الذى رد به عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص عندما سأله عما يفعل بمجموعات الكتب فى المكتبة وهو «فأما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنها غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها». هذا الرد جاءت فحواه أيضًا فى تبرير المسيحيين حرق كتب الوثنية فى نفس مكتبة الإسكندرية فقد ورد فى أعمال الرسل إن الكتاب المقدس فيه الكفاية والغنى عن أى كتاب آخر «إذا كنت تريد تاريخًا فعليك بسفر الملوك وإذا أردت البلاغة فعليك بسفر الأنبياء وإذا كنت تريد الشعر فعليك بالمزامير وإذا أردت فلكاً أو قانوناً أو أخلاقًا فقانون الرب المجيد».

الثانية: أن العرب المسلمين قد عرفوا فى القرون الأولى للهجرة بوجود مكتبة الإسكندرية فقد أورد ابن النديم فى «الفهرست» معلومات عن هذه المكتبة وعن يحيى النحوى فى أكثر من موضع ولكن الموضع الألصق بالمكتبة نجده تحت أخبار الفلاسفة الطبيعيين عند حديثه عن فيلسوف اسمه إسحق الراهب الذى كان يبحث فى فلسفة اليونان وتاريخهم وأخبارهم وكذلك أيضًا تاريخ الرومان وآدابهم ومن جملة ما ذكره عنهم خبر إنشاء مكتبة الإسكندرية على يد زميرة ونص ما ذكره ابن النديم فى هذا الصدد لا يخرج عما ذكره ابن القفطى «إن بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الإسكندرية لما ملك بحث عن كتب العلم وولى أمرها رجلاً يعرف بزميرة فجمع من ذلك على ما حكى أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين وقال له: أيها الملك قد بقى فى الدنيا شىء كثير فى

السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل.وعند الروم». وإذا كان ابن القفطى قد استخدم نفس العبارات ولكنه أفاض فيها وابن النديم لم يذكر شيئًا عن حريق المكتبة فأغلب ظنى لم يأخذ عن ابن النديم وإنما من مصدر آخر ربما يكون ابن النديم نفسه قد استعمله حيث كانت مكتبة بيت الحكمة فى بغداد ماتزال عامرة بالمصادر سواء بالنسبة لابن النديم فى القرن الرابع الهجرى أو ابن القفطى وغيره فيما قبل منتصف القرن السابع الهجرى حين أحرقها التتار وأغرقوها. ويخالجنى الظن بأن العرب عرفوا خبر مكتبة الإسكندرية فى القرن الثانى والثالث للهجرة من المصادر اليونانية التى توسعوا فى الحصول عليها وترجمتها إلى العربية .

الثالثة: أن العرب المسلمين عرفوا يحيى النحوى كما عرفوا مكتبة الإسكندرية وربما ترجموا له كتباً فى القرنين الثانى والثالث للهجرة وقد كتب عنه ابن النديم أيضاً فى الفهرست أى قبل ابن القفطى بثلاثة قرون تقريباً وقد ذكر عنه: «كان يحيى تلميذ شاوارى وكان أسقفًا فى بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية ثم رجع عما يعتقده النصارى فى التثليث فاجتمعت الأساقفة وناظرته فغلبهم واستعطفته وآنسته وسألته الرجوع عما هو عليه وترك إظهاره فأقام على ما كان عليه وأبى أن يرجع فأسقطوه وعاش إلى أن فتحت مصر على يدى عمرو بن العاص فدخل إليه وأكرمه ورأى له موضعاً، وقد فسر أرسطليس. وقد ذكرت ما فسره فى موضعه وله من الكتب كتاب الرد على برقلس، ثمان عشرة مقالة؛ كتاب فى أن كل جسم متناه فقوته متناهية، مقالة؛ كتاب الرد على أرسطاليس، ست مقالات؛ كتاب تفسير مابال لأرسطاليس العاشر، مقالة يرد فيها على نسطورس؛ كتاب يرد فيه على قوم لا يعترفون، مقالتان، ومقالة أخرى يرد فيها على قوم آخر. وله تفسير شيء من كتب جالينوس نحن نذكر ذلك عند ذكرنا جالينوس. وذكر يحيى النحوى فى المقالة الرابعة من تفسيره لكتاب السماع الطبيعى فى الكلام فى الزمان مثلاً قال فيه: مثل سنتنا هذه وهى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة لدقلتيانوس القبطى. وهذا يدل أن بيننا وبين يحيى النحوى

ثلاثمائة سنة ونيف. وقد يجوز أن يكون فسر هذا الكتاب فى صدر عمره لأنه كان فى أيام عمرو بن العاص».

إذا وضعنا تلك الحقائق الثلاث والقصة كاملة حسب سياقها الذى أتينا عليه فلنستعرض الآراء المؤيدة والمعارضة لهذه الرواية.

أما الذين ينفون عن العرب أنهم حرقوا المكتبة ويرون أنهم أبرياء من دم هذه المكتبة فإنهم يسوقون الدفوع الآتية فى هذا الصدد ومنهم عرب وأجانب:

١ ـ أن العرب عندما دخلوا الإسكندرية لم تكن أى من المكتبات الأم أو الابنة أو حتى مكتبة معبد القيصرون موجودة، ولابد أنها جميعاً قد خرجت من الوجود فى قرون سابقة على دخول العرب مصر. ولو كانت تلك المكتبات موجودة وتمثل معلمًا من معالم الإسكندرية لذكرها الرحالة الذين زاروا الإسكندرية قبل الفتح العربى. وكذلك لذكرها المؤرخون العرب المعاصرون للفتوحات الإسلامية من أمثال البلاذرى وابن عبد الحكم واليعقوبى. ولو كانت هذه المكتبة موجودة عند الفتح فإن الهدنة التى عقدت بين المسلمين والمقوقس عظيم القبط فى شروط الصلح كانت تتيح للروم نقلها إذا أرادوا، ذلك أنه سمح لهم بنقل المتاع والأموال فى مدة الهدنة وكانت تلك المدة طويلة بما يكفى نقل المكتبة وغيرها.

٢ ـ أن يحيى النحوى الذى تذكر الرواية أنه أكبر عنصر فيها لم يكن موجوداً على قيد الحياة عندما دخل عمرو بن العاص المدينة وإن كان حياً لكان عمره يزيد عن مائة وعشرين عامًا. وقد ذكر «أ. ج. بتلر» أن هذا الشخص هو يوحنا فيلوبونوس وقد عاش فى عصر «الإمبراطور جستنيان» وكتب ضد المذهب النسطورى حوالى ٥٤٠م ويكاد يكون مستحيلاً أنه عاش حتى الفتح العربى لمصر ٦٤٢م. ومن ثم فإن الرواية تنقض من أساسها.

٣ ـ أن المؤرخ الأديب «يوحنا النيقى» (النايقوس) عاصر الفتح العربى لمصر

وتحدث عن وقائع ذلك الفتح بالتفصيل دون أن يذكر شيئًا عن إحراق المكتبة ومن غير المعقول الا يتوقف عنده، وقد توقف عند أشياء أقل أهمية.

٤ ـ لقد زار المؤرخان «يوحنا مسكويه» و«سفرنيوس» مصر قبل الفتح الإسلامى وتحدثا كثيراً عن المكتبات فى الإسكندرية ولم يذكرا شيئًا عن المكتبة الأم والمكتبة الإبنة ولو كانت أيهما على قيد الحياة لذاكرها لأهميتها وخطورتها حيث تكون فى ذلك الوقت عمرت ألف عام.

٥ ـ أن مكتبة الإسكندرية لو كانت موجودة على قيد الحياة عند فتح العرب لمصر لكان عمرها يقترب من الألف سنة. وهذا ضد طبيعة الأشياء وخاصة فى ظل الظروف المضطربة التى عاشتها مدينة الإسكندرية وبالذات منذ القرن الأول بعد الميلاد. أضف إلى ذلك الظروف المناخية طوال تلك الألفية والتى كان من الضرورى أن تفت فى عضد أوراق البردى وخاصة فى ظل الإهمال وانعدام الصيانة. وبالتالى فإن المكتبة لابد وأن تكون قد شاخت قبل دخول العرب مصر.

٦ ـ أنه لو صحت رواية أن المكتبة كانت موجودة عند دخول العرب إلى الإسكندرية لكانت معظم مجموعاتها من الرقوق لسببين أولهما نقل مجموعة المائتى ألف مجلد من برجاموم وقد أشرنا أنها كانت أساسًا من الرقوق وثانيهما الحركة النسخية الكبرى التى حدثت فى القرن الثالث والرابع للميلاد حيث تم إعادة نسخ أو تحميل المادة العلمية التى كانت موجودة على البردى على رقوق أى من وسيط هش إلى وسيط أقوى وأكثر تحملاً. ومن هنا فإن هذه الرقوق كانت تستعصى على الحريق إلا فى ظروف خاصة لا يمكن لعمرو بن العاص فى تلك الفترة أن يتعامل معها.

٧ ـ أن الإسلام يحض على العلم وتكريم أهله والحفاظ على أدواته وهناك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة ما يؤكد ذلك. وقد حرص الحكام المسلمون على إنشاء المكتبات وتشجيع حركة النشر والترجمة ومكافأة المؤلفين والمترجمين بمثل وزن أوراقهم ذهباً. وأن حرق المكتبات والكتب ضد مبادىء الإسلام.

تلك هى أهم دفوع الذين ردوا على الشبهات التى حامت حول العرب المسلمين فى حرق مكتبة الإسكندرية.

أما الذين قالوا بحرق العرب للمكتبة فإنهم يبنون نظريتهم على الوجوه الآتية:

١ ـ أن يحيى النحوى (الغراماطيقى) كان حياً عندما دخل عمرو بن العاص إلى الإسكندرية وأنه كان فى سن الشباب حسب التحليل الذى قدمه ابن النديم نفسه حيث قال ما نصه «وهذا يدل أن بيننا وبين يحيى النحوى ثلاثمائة سنة ونيف. وقد يجوز أن يكون فسر هذا الكتاب فى صدر عمره لأنه كان فى أيام عمرو بن العاص». وربما لا يكون يحيى الوارد ذكره فى الرواية ليس هو يوحنا فيلوبونس الذى كان ضد عقيدة التلثيث والذى تتبع بتلر آثاره. ذلك أن اسم يوحنا (يحيى) كان منتشراً فى تلك الفترة وصفة النحوى كانت تطلق على اللغويين والأدباء وليست جزءاً من الاسم، وبالتالى ربما يكون يحيى آخر غير الذى عناه بتلر والذى نقض به الرواية. ولعل فى عبارة ابن النديم ما يفسر ذلك ويؤكده.

٢ ـ أننا يجب أن نفرق تماماً بين الإسلام كعقيدة تحض على العلم وكل الفضائل الإنسانية وبين حاملى هذه العقيدة الذين قد يخرقونها ولا يعملون بقواعدها تحت وطأة الضعف الإنسانى. ويكفى أن نشير هنا إلى غزوة أحد التى ترك المقاتلون فيها مواقعهم التى تحمى ظهور المسلمين ونزلوا لحصد الغنائم فانقلبت دفة الأمور وهزم المسلمون بعد انتصار. ويدخل هنا أيضاً قضية توزيع الغنائم والتمييز بين الطوائف المختلفة على أسس عرقية؛ وكذلك الفتن والحروب الداخلية بين المسلمين حتى فى العقود الأولى للإسلام فى عهد عثمان وعلى بن أبى طالب طلباً للسلطان والملك وعرض الحياة الدنيا. إذن فلا يجب أن يحتج بأن الإسلام يحرم حرق الكتب وتخريب المكتبات لأنه يحض على العلم وتكريم العلماء فكل ذلك جزء من العقيدة وليس من الضرورى أن يكون جزءاً من سلوك المسلم.

٣ ـ أشار ابن خلدون فى مقدمته إلى بعض خصال العربى وكيف أنه لا يطيق أن يرى حضارة مزدهرة وأنه يميل إلى تخريبها كلما سنحت له الفرصة. وكان الجنود الذين صحبهم عمرو بن العاص فى فتوحاته فى مصر من البدو القح الذين لم تهذبهم الحضارة والمدنية بعد ومن ثم فإنهم لم يقدروا الكتب والمكتبات حق قدرها.

٤ ـ أن عمر بن الخطاب يمكن فعلاً أن يكون قد أصدر تعليماته المذكورة بحرق المكتبة والكتب باعتبارها من تراث الوثنية وقد أراد بحسه الدينى أن يجنب المسلمين كل ما يفتنهم فى دينهم. وكما أشرت مراراً من قبل كانت الإسكندرية موطن عقيدة التثليث التى أفسدت الديانة المسيحية وجعلتها هى والوثنية شىء واحد وقد أثمها القرآن الكريم وكَفَّر معتنقيها. ولعمر بن الخطاب سوابق فى تجنيب المسلمين كل ما يفتنهم فى دينهم فهو الذى أمر بقطع شجرة البيعة التى كان المسلمون يتبركون بها، ولما رأى افتتان المسلمين بخالد بن الوليد خشى أن يقدسوه فعزله رغم الانتصارات الساحقة التى حققها ورغم أنه لم يكن فى جسمه موضع خال من أثر لرمح أو خنجر ومات على فراشه وكان يتمنى لو مات فى ساحة القتال شهيداً. ولا يجب أن ننفى عن عمر بن الخطاب ذلك بل يجب أن نبرره بالهدف السامى الذى سعى إليه وأمر الردة فى عهد أبى بكر الصديق مشهور معروف.

٥ ـ تردد فى المصادر المختلفة حالات إحراق للمكتبات على يد المسلمين فى بلاد أخرى غير مصر. وقد أتى حاجى خليفة فى كشف الظنون على بعض الأمثلة فقال بأن المسلمين عندما فتحوا بلاد فارس وأصابوا من كتبهم، كتب سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب إليه عمر أن اطرحوها فى الماء فإن يكن فيها هدى فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله تعالى فطرحوها فى الماء أو فى النار فذهبت علوم الفرس فيها. كذلك فإنه فى أثناء كلام حاجى خليفة عن «أهل الإسلام وعلومهم» يقول بأنهم أحرقوا ما وجدوا من الكتب فى فتوحات البلدان، وربما

كان لذلك صدى عند ابن خلدون مرة ثانية حيث تساءل بقوله «فأين علوم الفرس التى أمر عمر بمحوها عند الفتح». وحاجى خليفة هو الذى قال بأن «العرب فى صدر الإسلام لم يقنعوا بشىء من العلوم إلا بلغتهم وشريعتهم».

٦ ـ أن من سلوك المنتصر فى كل العصور ـ بعد الانتصار العسكرى ـ أن يأخذ فى تدمير فكر المهزوم حتى لا تقوم له قائمة بعد ذلك أبدًا، ويكون ذلك إما بحرق وسحق الكتب والمكتبات أو بنقل تلك الكتب والمكتبات إلى بلد المنتصر.

ومن المعروف أن الماديات يمكن تعويضها بينما الدعائم المعنوية لا يمكن أن تعوض إلا بعد فترات طويلة وحيث يبدأ المهزوم من جديد. انظر إلى هولاكو التترى وما فعله بالمكتبات الإسلامية فى المناطق التى اكتسحها فى القرن السابع الهجرى حيث قيل أنه اتخذ من الكتب جسرًا فى النهر تعبر عليه قواته ومحواً لما فيها من العلوم بل إنه بنى من تلك الكتب اصطبلات للخيول وطوالات للمعالف بدلاً من الآجر والطوب، وانظر إلى صلاح الدين الأيوبى نفسه عندما أمر بتدمير المكتبات الفاطمية فى مصر سواء بيت العلم أو مكتبات القصور وكيف أن جنوده كانوا ينزعون جلود الكتب ليصنعوا منها نعالاً وأحذية لهم. ونفس صلاح الدين الأيوبى فعل بمكتبات الشام نفس ما فعله بمكتبات مصر حتى قيل أن المجموعات التى دمرها قد بلغت فى مصر والشام نحو أربعة ملايين مجلد. انظر أيضاً إلى الصليبيين الذين أحرقوا مكتبات الشام خلال الحروب الصليبية ومكتبة طرابلس تقف شاهداً على ذلك، تلك المكتبة التى ضمت نحو ثلاثة ملايين مجلد وكانت هناك قاعات بأكملها مخصصة للمصحف الشريف وكلما دخل الصليبيون قاعة وجدوا بها المصحف فاعتقدوا أن المكتبة كلها مخصصة للمصاحف فأمر الكونت برترام سانت جيل بإحراق المكتبة عن آخرها.

وانظر كذلك إلى إيزابيلا وفرديناند اللذين تغلبا على ملوك الطوائف فى الأندلس وطردوا المسلمين واليهود منها وأحرقا ما استطاعا حرقه من الكتب والمكتبات الإسلامية فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى.

كذلك فإن هذا السلوك هو أيضاً سلوك مذهبى حيث يعمد أهل ملة معينة أو مذهب بالذات إلى حرق كتب المذهب المعادى حتى يقهروا فكر هذا المذهب، وهذا السلوك ليس سلوكاً إسلامياً فقط وإنما هو موجود كذلك فى المسيحية وغيرهما. كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية كانت لاتزال باقية إلى أيامه سنة ٢١٣هـ من مؤلفات المجوس وقد عرضت عليه ولما تبين حقيقتها أمر بإلقائها فى الماء وبعث إلى الأطراف أن من وجد شيئًا من كتب المجوس فليعدمه. واضطهاد فكر الشيعة وكتبهم أمر معروف مشهور فى التاريخ الإسلامى.

٧ ـ أن أصحاب الدين الجديد يعتقدون أن دينهم يَجُبُّ الأديان السابقة عليه ومن ثم فلابد من هدم معابد تلك الأديان وما بها من كتب ومكتبات تؤيدها وتساعد أنصارها على فهمها والتمسك بها. وقد أشرنا من قبل أن أباطرة الروم بعد أن اعتنقوا المسيحية تعصبوا لها ـ بعد أن كانوا أعداءها اللدودين ـ وأمروا بهدم المعابد التى أقيمت قبل المسيحية وأحرقوا ما بها من مكتبات. ومن ثم فإن سلوك المسلمين إزاء مكتبة الإسكندرية ليس بغريب عن سلوك أصحاب الديانات الجديدة. وربما كانوا يعتبرون ذلك تقرباً إلى الله.

٨ ـ لقد انتشرت بين بعض علماء المسلمين ظاهرة من أغرب ظواهر السلوك إزاء الكتب والمكتبات وهى ظاهرة حرق وغسل ودفن الكتب. فالعَالِم منهم يظل طول حياته يجمع الكتب ويكدسها فى مكتبته الشخصية وينفق عليها بسخاء بل يستدين ويقترض ويرهن ممتلكاته فى سبيلها حتى تتضخم وتصبح «ملء بيت إلى السقف» أو «تُحمل على أربعمائة بعير» وغير ذلك من العبارات الدالة على حجم المكتبة وفى نهاية حياته يحملها إلى شاطىء النهر ليغسلها أو يحملها إلى الصحراء ليحرقها أو يدفنها هناك والأمثلة على ذلك كثيرة جداً مثلما فعل أحمد بن أبى الحوارى، وسفيان الثورى، وأبو عمرو بن العلاء بل وأبو حيان التوحيدى نفسه وغيرهم مئات. وفى تعليل تلك الظاهرة يقال بأن العالم منهم قد يرى فى نهاية عمره أن الكتب قد ألهته عن ذكر الله فيقرر التخلص منها أو كما قال أبو حيان التوحيدى «لم أشأ أن أجعل الهم همين»، كما كان بعض العلماء يخشى أن تقع

تلك الكتب فى أيدى من يسيئون استخدامها، وبعض العلماء يتخلص من مكتبة ضناً بها على من لا يستحقون من الأجيال التالية.

٩ - أن الرواية المذكورة حتى ولو كانت فيها مبالغة فإنها لابد وأن تنطوى على بذرة الحقيقة ولا يمكن عقلاً أو منطقًا أن تكون من أولها إلى آخرها محض اختلاف من عدم. ومن غير المعقول أن يكون كل هذا التواتر لقصة خيالية لا أساس لها من الصحة والواقع كما ذهب أ. ج. بتلر.

تلك إذن هى أهم الأدلة العقلية الاستنباطية التى يسوقها أصحاب الرأى الذى يميل إلى تصديق رواية حرق العرب لمكتبة الإسكندرية. وأود أن أؤكد فى نهاية هذه المعالجة أن باب الاجتهاد مازال مفتوحًا وأن الكلمة النهائية الحاسمة لم تعلن بعد وربما يجود علينا الزمن بأدلة نقلية تحسم هذه القضية فقد تكشف الحفريات عن مكتبة الإسكندرية الأم أو عن مكتبة معبد السيرابيوم أو مكتبة القيصرون مطمورة مغمورة فى باطن أرض الإسكندرية كما حدث فى مكتبات العراق القديم ومكتبة برجاموم أو مكتبة الهيركلانيوم. ساعتئذ سوف نقفل باب المناقشة والاجتهاد ويسدل الستار على أعظم مكتبات العالم حتى بداية القرن العشرين الميلادى.

* * *

الفصل السادس

مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية

فى الوقت الحاضر

الفصل السادس

مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية في الوقت الحاضر

ربما تبدأ المشروعات العظيمة بالصدفة أو بحماس رجل واحد، ومشروع إحياء مكتبة الإسكندرية هو من هذا النوع الذى بدأ بحماس شخص معين فقد كان أحد أساتذة جامعة الإسكندرية فى زيارة لمكتبة الكونجرس وقابل مدير تلك المكتبة العالمية التى ليس لها مثيل فى التاريخ سوى مكتبة الإسكندرية القديمة. ويبدو أن انبهار أستاذ جامعة الإسكندرية بمكتبة الكونجرس جعله يربط أثناء تلك الزيارة التى وقعت فى منتصف السبعينات من القرن العشرين بين مكتبة الكونجرس ومكتبة الإسكندرية القديمة وتطرق الحديث إلى المقارنة بين عالمية كلتا المكتبتين، ثم داعب أستاذ جامعة الإسكندرية مدير مكتبة الكونجرس ـ «دانييل بروستين» آنذاك ـ وقال له لماذا لا نحيى مكتبة الإسكندرية القديمة وفى نفس المكان وأخذ مدير مكتبة الكونجرس الدعابة على محمل الجد ومن هذه النقطة بدأ التفكير الجدى فى مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة. وقد أبدى دانييل بروستين (مدير مكتبة الكونجرس ١٩٧٤ ـ ١٩٨٧) استعداد مكتبة الكونجرس للقيام بدور فعال ودولى فى هذا الصدد وابتدأ من يونيو ١٩٧٦م فى إعداد ملف خاص بالموضوع وأرسل بذلك مذكرة إلى مدير منظمة اليونسكو فى باريس وطلب اعتبار هذا المشروع مهمة دولية تقوم بها المنظمة. وكان لابد لجامعة الإسكندرية ورئيسها فى ذلك الوقت أ. د. «محمد لطفى دويدار»، من أن تقوم بدورها باعتبار أن الفكرة نبتت من داخلها وأن أستاذاً بها هو الذى طرح الموضوع ونظرت جامعة الإسكندرية آنذاك إلى المشروع على أنه مشروع محلى سكندرى بحت. وفى سنة ١٩٨٠ بدأ طرح المشروع على نطاق أوسع ودخلت فيه أطراف عديدة وكانت

الفرصة مواتية حيث كانت مصر تحتفل بإنقاذ معبد أبو سمبل إقامته فى موقعه الجديد أمام ممثلين من دول العالم المختلفة.

الفكرة والتنفيذ

تبرعت جامعة الإسكندرية بقطعة الأرض التى ستقام عليها المكتبة وكذلك بمركز المؤتمرات المقام فعلاً إلى جوار تلك الأرض. وقام خبراء من منظمة اليونسكو بزيارة جامعة الإسكندرية، كما قام بعض أساتذة جامعة الإسكندرية بزيارة للمنظمة الدولية فى باريس لتنسيق الخطط الرامية لإحياء فكرة المكتبة ومراجعة تلك الخطط والاتجاه بها صوب الدولية. وتوفر الفريقان على إعداد دراسات الجدوى وإعداد التقارير الخاصة بالاستعدادات اللازمة لهذا العمل سنة ١٩٨٧. وفى العام التالى سنة ١٩٨٨ صدر النداء الدولى لدعم ومساندة مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية. وكان مدير اليونسكو فى ذلك الوقت أحمد مختار أمبو قد قام فى فبراير ١٩٨٦ بزيارة إلى جامعة الإسكندرية لوضع صياغة النداء الدولى، ودعا المجلس التنفيذى لليونسكو فى دورته التى عقدت فى يونية ١٩٨٦ إلى التعاون مع الحكومة المصرية فى إعداد وتنفيذ المشروع وتمويل دراسة الجدوى المشار إليها. وفى أكتوبر ١٩٨٧م أصدر المؤتمر العام لليونسكو موافقته على صيغة النداء الدولى لدعم المشروع وطبع هذا النداء وصيغ بخمس لغات هى العربية والإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية؛ وقد وجه النداء فى مطلع سنة ١٩٨٨ إلى الدول والمنظمات والأفراد فى جميع أنحاء العالم.

وفى يونية ١٩٨٨ توج هذا النداء بوضع حجر الأساس لهذا المشروع العظيم وقد وضع الحجر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك والمدير العام الجديد لليونسكو فيديريكو مايور الذى خلف أحمد مختار أمبو.

وبمقتضى هذه الخطوات خرج المشروع من المحلية وأصبح مشروعاً وطنيًا مصريًا ولم تعد جامعة الإسكندرية هى المشرفة عليه ولكن أصبح المشرف عليه هو وزارة التعليم العالى مع تمثيل منظمة اليونسكو الدولية. وكان لابد من أن

يأخذ هذا المشروع بعده الدولى ويعلن عنه فى احتفال يليق بالعمل التاريخى هذا.

عقد اجتماع دولى فى مدينة أسوان فى صعيد مصر ١١ ـ ١٢ من فبراير ١٩٩٠ وأعلن عن بدء المشروع فيما عرف بإعلان أسوان، وفتح باب التبرعات وجاءت التبرعات فى حينها من مصادر مختلفة، وقد حدد تاريخ الافتتاح فى شهر يوليو ١٩٩٥.

الإدارة والتنظيم فى مكتبة الإسكندرية الجديدة

قدرت تكاليف مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية بنحو ١٦٠ مليون دولار. وقد جاءت المساهمة المصرية على شكل قطعة الأرض ومبنى مركز المؤتمرات، وقدرت هذه المساهمة بحوالى ستين مليون دولار: قطعة الأرض التى تبلغ مساحتها أربعين ألف متر مربع بقيمة أربعين مليون دولار (أى ألف دولار للمتر الواحد المربع) ومبنى مركز المؤتمرات الذى قدرت قيمته بنحو عشرين مليون دولار. وترك للمساهمات الدولية الأموال السائلة والتى تقدر بمائة مليون دولار تم جمع ٦٤ مليوناً منها فى نفس يومى اجتماع أسوان التاريخى ١١ ـ ١٢ من فبرابر ١٩٩٠م، وهو مبلغ المساهمة العربية وحدها وقد جاءت تبرعات مالية من جهات مختلفة دولية ومحلية ومن أفراد محليين ودوليين بما يرفع المبلغ المتحصل كثيراً مع فوائد البنوك ليصل إلى الميزانية المستهدفة بداية. والذى نريد أن نخلص إليه هو أن المشروع لا تعوزه الموارد لا المادية ولا المالية ولا البشرية. وليس هناك مبرر لتأخر افتتاح المكتبة

ولعله من نافلة القول أنه فى ١٤ من ديسمبر ١٩٨٨ (الرابع من جمادى الأولى سنة ١٤٠٩هـ) صدر قرار رئيس الجمهور بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية وهو القرار الذى وضع الخطوط العريضة لعمل الهيئة التى تتبعها المكتبة. وحيث يجدر بنا أن نشير أيضاً إلى عدم وجود لوائح داخلية تنظم عمل المكتبة أو ترسم خطوط التنظيم الداخلى لها. (انظر نص القرار الجمهورى فى نهاية هذا الفصل).

وتحدد المادة الثامنة من هذا القرار موارد الهيئة على النحو الآتى:

١ ـ ما تدرجه الدولة من اعتمادات لها فى الموازنة.

٢ ـ الإعانات والتبرعات والهبات والوصايا والإسهامات الداخلية والخارجية.

٣ ـ القروض التى تعقد لصالح الهيئة.

٤ ـ مقابل الخدمات التى تقدمها الهيئة.

٥ ـ عائد استثمار أموال الهيئة.

٦ ـ أية موارد أخرى تتقرر للهيئة.

كما نصت المادة التاسعة من نفس القرار على أن تكون للهيئة موازنة خاصة فى إطار الموازنة العامة للدولة وتبدأ السنة المالية للهيئة ببداية السنة المالية للدولة وتنتهى بنهايتها، ويفتح حساب خاص للهيئة بالبنك المركزى المصرى أو بأحد البنوك التجارية بموافقة وزارة المالية تودع فيه أموالها ويرحل فائض هذا الحساب من سنة إلى أخرى.

وقد حددت المواد الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة عناصر إدارة هيئة مكتبة الإسكندرية؛ فقد نصت المادة الرابعة على تشكيل مجلس الإدارة من قبل مجلس الوزراء على النحو الآتى:

ـ وزير التعليم (العالى) رئيسًا.

ـ رئيس جامعة الإسكندرية نائبًا للرئيس.

ـ محافظ الإسكندرية أو من ينيبه.

ـ ثلاثة من الأساتذة بجامعة الإسكندرية يختارهم مجلس الجامعة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

ـ ممثل لكل من وزارات الثقافة والإعلام والسياحة والتعليم العالى والتربية والتعليم والخارجية يختارهم الوزراء المختصون أعضاء.

- عدد لا يجاوز خمسة من الشخصيات العامة ممن لهم مكانة خاصة فى مجال الثقافة والفكر يختارهم وزير التعليم (العالى) وذلك لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

- مدير الهيئة.

ولمجلس الإدارة أن يشكل لجاناً من أعضائه للقيام بدراسات أو أبحاث أو مهام معينة وله أن يعهد إليها ببعض اختصاصاته. وللمجلس أن يفوض مدير الهيئة فى القيام بمهمة محددة. وتحدد بقرار من رئيس مجلس الوزراء المكافآت التى تصرف لأعضاء مجلس الإدارة.

كما نصت المادة الخامسة على أن مجلس الإدارة هو السلطة المهيمنة على شئون الهيئة وتصريف أمورها وإقرار السياسة التى تسير عليها وله اتخاذ ما يراه لازماً من قرارات لتحقيق الغرض الذى أنشئت الهيئة من أجله وذلك فى حدود السياسة العامة للدولة فى مجال العلم والفكر وتنمية القيم الإنسانية والحضارية وله على الأخص ما يلى:

١ - إصدار اللائحة الداخلية للهيئة واللوائح المنظمة للشئون العلمية والإدارية والفنية. ويكون إصدار اللوائح المالية بعد موافقة وزارة المالية.

٢ - إقرار الخطط اللازمة لإتمام تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية والعمل على تذليل ما يعترضه من عقبات.

٣ - وضع اللوائح المتعلقة بشئون العاملين وتحديد مرتباتهم ومكافآتهم دون التقيد بالنظم الحكومية، مع مراعاة الحدود القصوى للمرتبات المنصوص عليها فى قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة.

٤ - وضع الهيكل التنظيمى للهيئة وجداول الوظائف بها.

٥ - إجراء الاتصالات بالهيئات وبالدول الأجنبية والمؤسسات العامة والشخصيات البارزة التى تهتم بتنفيذ المشروع لدعوتها للمساهمة فيه بالأساليب التى تتراءى لها وقبلها مجلس الإدارة.

٦ ـ قبول الإعانات والهبات والتبرعات والوصايا والإسهامات الداخلية منها والخارجية التى تتفق مع أغراض الهيئة وذلك فى حدود النظم المقررة.

٧ ـ النظر فى التقارير الدورية التى تقدم عن سير العمل بالهيئة ومركزها المالى.

٨ ـ الموافقة على مشروع الهيئة وحسابها الختامى.

٩ ـ مباشرة جميع التصرفات اللازمة لإدارة الهيئة.

١٠ ـ النظر فى كل ما يرى رئيس مجلس الإدارة عرضه من مسائل تدخل فى اختصاص الهيئة وتعرض قرارات مجلس الإدارة على وزير التعليم لاعتمادها.

وجبراً لخاطر جامعة الإسكندرية ولأن المشروع قد سحب منها وأضفيت عليه الصبغة الوطنية العامة فقد نصت المادة السادسة من القرار الجمهورى على أن تتولى جامعة الإسكندرية دعم تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية علميًا وأكاديميًا وفقًا للنظم التى يقررها مجلس إدارة الهيئة بالاتفاق مع مجلس جامعة الإسكندرية.

ونصت المادة السابعة على تعيين مدير للهيئة بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض من وزير التعليم العالى ويتضمن القرار تحديد مرتباته وبدلاته. ويكون مدير الهيئة مسئولاً عن تنفيذ سياسة الهيئة التى يخطها مجلس الإدارة ويتولى متابعة تنفيذ قراراته وتصريف شئون الهيئة وفقًا للقانون ولأحكام هذا القرار وتحت إشراف مجلس الإدارة وفى حدود الاختصاصات الأخرى المخولة له فى لوائح الهيئة.

وحتى تكتسب الإدارة شيئًا من الدولية وانسجامًا مع ما جاء فى القرار الجمهورى من أن مجلس إدارة الهيئة له سلطات تشكيل لجان دائمة ومؤقته لأغراض محددة شكلت لجنة دولية تحت اسم «اللجنة التنفيذية الدولية» وتتألف

هذه اللجنة من خمسة مصريين على حسب مناصبهم: وزير التعليم العالى (رئيس مجلس إدارة الهيئة) ويكون رئيساً للجنة؛ مستشار وزير التعليم العالى، رئيس جامعة الإسكندرية؛ نائب رئيس مجلس الدولة، رئيس هيئة الاستعلامات. وهناك أعضاء تحددهم دولهم وهى: اليونان ـ فرنسا ـ إيطاليا ـ عمان ـ السعودية ـ تركيا ـ الإمارات ـ الولايات المتحدة بالإضافة إلى ممثل اليونسكو فى اللجنة.

ومن الجدير بالذكر أنه قد تم تشكيل هذه اللجنة التنفيذية الدولية للمشروع بناء على اتفاق عقد بين مصر ومنظمة اليونسكو وقد صدق على ذلك التشكيل مجلس الشعب فى مصر وذلك فى شهر فبراير ١٩٩٢ . وقد باشرت اللجنة عملها بعد ذلك مباشرة وعقدت أول اجتماع لها ١٩٩٢/٤/٢٦ فى مركز المؤتمرات بالإسكندرية وتوصلت فى ذلك الاجتماع إلى:

أ ـ الإحاطة بقرارات تعيين رئيس اللجنة التنفيذية الدولية ومدير المشروع ونائب مدير المشروع.

ب ـ الموافقة على الهيكل التنظيمى للأمانة التنفيذية لمشروع إحياء مكتبة الإسكندرية وهى الجهاز المنوط به تنفيذ قرارات اللجنة والإشراف على تنفيذ المشروع.

ج ـ الموافقة على خطة وبرنامج العمل فى المشروع على المدى الطويل ١٩٩٢ ـ ١٩٩٦ من حيث المبدأ والذى قدرت تكاليفه المبدئية فى ذلك الاجتماع بنحو ١٧١ مليون دولار.

د ـ الموافقة على الموازنة المبدئية التقديرية لعام ١٩٩٢، وأن يتم الصرف على البنود الواردة حسب المصروفات الفعلية لكل بند.

هـ تشكيل لجنتين فرعيتين: الأولى لدراسة وإقرار مشروع التعاقد المقدم من المكتب الهندسى النرويجى «سنوهيتا» لإعداد تصميمات المشروع الهندسية؛ والثانية لدراسة مجالات المجموعات التى تغطيها المكتبة والأنشطة الثقافية التى سوف تمارسها المكتبة.

و ـ الموافقة على شراء ١٥٠٠م[٢] مبانى كمقر للأمانة التنفيذية والهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ولإدارة المكتبة كى تجمع فيها المجموعات وتعدها تمهيداً لتسكينها فى المكتبة عندما يكتمل مبناها. وقد تم شراء هذا المسطح فى أحد العقارات وسط مدينة الإسكندرية.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ دولاب العمل بالمكتبة فى أعمال التنفيذ الفعلية ومباشرة الصلاحيات المخولة له فى القرار الجمهورى ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨.

وتضرب إدارة الهيئة ستاراً كثيفاً على عدد العاملين الآن فى المشروع ومؤهلاتهم والأعمال التى تم إنجازها والأعمال التى هى قيد الإنجاز.

الموقع والمبنى والتجهيزات

كانت هناك مجموعة من الاقتراحات لاختيار مكان لإقامة مكتبة الإسكندرية خارج إطار حرم المدينة الحالية وذلك للحصول على مساحة كبيرة من الأرض تسمح بالتوسع المستقبلى وتوفير الضوء والتهوية الطبيعية وليس من الضرورى أن يسهل الوصول إليه. ولكن جامعة الإسكندرية قدمت قطعة من الأرض تملكها إلى جانب مركز المؤتمرات القائم بالفعل وكان مبرر ذلك أن تلك البقعة هى نفسها التى يعتقد أنها كانت تضم المكتبة القديمة والمتحف. تبلغ مساحة الأرض التى قدمتها الجامعة أربعين ألف متر بما فى ذلك مبنى وأرض مركز المؤتمرات (أى حوالى تسعة أفدنه ونصف) وذلك على كورنيش المدينة بالسلسلة بحيث يحد الموقع الكورنيش فى مواجهة الميناء الشرقى وعلى ا متداد البصر قلعة قايتباى على ما يعتقد أنه جزء من جزيرة فاروس القديمة. وعبر شارع بور سعيد نجد المجمع النظرى لجامعة الإسكندرية (كليات الآداب الحقوق ـ التجارة ـ التربية). وفى مبنى مركز المؤتمرات نجد مسارح وقاعات اجتماعات مجموع طاقتها نحو ٣٢٠٠ مقعداً.

وبعد تحديد الموقع على هذا النحو ووضع حجر الأساس كما المحت فى شهر يونيو ١٩٨٨م، طرح مبنى المشروع فى مسابقة دولية للتصميم المعمارى، وقد قدم

برنامج الأمم المتحدة مبلغ ٦٠٠ ألف دولار لتمويل تلك المسابقة الدولية بالاشتراك مع الاتحاد الدولى للمعماريين.

ولقد تقدم إلى هذه المسابقة حوالى ١٤٠٠ معمارى متسابق من ٧٧ دولة وقد وقع اختيار لجنة التحكيم على المشروع المقدم من الشركة النرويجية والذى فاز بالجائزة الأولى وقدرها ستون ألف دولار والمشروع النرويجى يدخل فيه ثلاثة نرويجيون وأمريكى ومصرى واسترالى. وهذا المشروع الفائز يجعل تصميم المكتبة على شكل قرص الشمس الغارب فى الماء ويجعل سطح المكتبة كلاً واحداً منحدراً متدرجاً بمناسيب محددة بحيث يتمتع المبنى كله بضوء النهار ويمكن لمن يقف على حافة القرص المنحدر أن يرى جميع جوانب المبنى. وسطح المكتبة كله من الزجاج وجدار المكتبة المنخفض جداً من ناحية البحر والمرتفع جداً من ناحية المجمع النظرى لجامعة الإسكندرية، أصم ليست به فتحات أو نوافذ بأى حال من الأحوال ويكسى هذا الجدار بنقوش هيروغليفية وحروف الأبجديات المختلفة. ويعكس التصميم الخارجى هذا شكل التصميم الداخلى حيث نجده عبارة عن مستويات متعاقبة فى الارتفاع تقوم على أعمدة هى الأخرى متعاقبة الارتفاع بنفس القدر وبحيث يكشف كل صف من الأعمدة عن بداية طابق جديد من الناحية النظرية فقط لأنه من الناحية العملية لا توجد طوابق فعلاً. وإذا كانت المكتبة كلها تتمتع بضوء الشمس نهاراً فإنها ليلاً تضاء من سقف واحد.

وكانت لجنة التحكيم التى شكلتها الجهات الراعية الثلاث للمشروع (مصر - اليونسكو - برنامج الأمم المتحدة للتنمية)، قد وضعت مجموعة من المعايير لاختيار المشروع الفائز ومن بين تلك المعايير:

أ - علاقة التصميم المعمارى بالصورة العامة للمدينة والموقع المحدد للمكتبة.

ب - انسجام التصميم مع الموقع والبيئة المحيطة به.

ج - الشكل والطراز المعمارى للمبنى عندما يقام.

د ـ التصميم الوظيفى العام.

هـ ـ الإمكانية الاقتصادية لتنفيذ التصميم.

و ـ المكونات الرمزية للمبنى من الداخل.

لقد كان هناك تفكير فى أن يكون تصميم المكتبة الجديدة على غرار شكل مبنى المكتبة القديمة التى بنيت فى القرن الثالث قبل الميلاد ولكن أثيرت عدة مشاكل أمام هذا النوع من التفكير من بينها أنه لم يصلنا أى تصميم متكامل للمكتبة القديمة وكل ما لدينا مجرد تخمينات وقياسات، كما أن تصميم المكتبة القديمة كان يتمشى بالضرورة مع الطراز المعمارى السائد فى مدينة الإسكندرية وربما سائر المدن الجديدة فى عموم الإمبراطورية. ومن هنا كان لابد من أن يأتى تصميم المكتبة الجديدة مراعياً لظروف الوقت الذى تقوم فيه وظروف المكان الذى تنشأ فيه؛ وفى نفس الوقت يكون تصميمًا فريداً جديدًا فذًا بين أقرانه من تصميمات المكتبات العالمية فى زماننا.

ورغم فوز المشروع النرويجى فى المسابقة إلا أنه كانت هناك بالضرورة بعض الانتقادات الموجهة له وهو أمر طبيعى ولذلك قامت الشعبة القومية لليونسكو فى مصر بعقد ندوة قومية عن مشروع إحياء المكتبة فى فندق فلسطين بالإسكندرية وذلك لمناقشة المشروع الفائز والنظر فى الانتقادات الموجهة له. وقد ضمت الندوة نخبة من كبار أساتذة العمارة والهندسة المدنية فى الجامعات المصرية والهيئات والمؤسسات المعنية ببحوث البناء والإسكان والتخطيط. وحضر أيضاً لفيف من الخبراء فى العمارة والهندسة المدنية، وكان لابد من تواجد ممثلين عن منظمة اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية والاتحاد الدولى للمعماريين. ولقد قام الحاضرون على مدى عشر ساعات بإبداء آرائهم ومناقشة المشروع الفائز وكانت الملاحظات تدور أساسًا حول الجوانب الإنشائية والمعمارية والتخطيط الحضرى وعلاقة التصميم بالمواقع المحيطة والبيئة الحضرية. وقد أبدى الفريق

النرويجى استعداده التام لأخذ تلك الملاحظات فى الاعتبار عند التنفيذ الفعلى للمبنى.

وفى الحقيقة أنه حتى نهاية ١٩٩٩ لم يكن قد تم من المبنى سوى الهيكل الخرسانى فقط وعلى الجدران من الخارج بدأت الرسومات الفرعونية والكتابات الهيروغليفية وأبجديات الشعوب المختلفة فى الظهور على تلك الجدران الصماء المرتفعة المطلة على شارع بورسعيد فى مواجهة المجمع النظرى لجامعة الإسكندرية. أما فى داخل المبنى فلم يحدث أى شىء على الإطلاق.

ونحن لا نستطيع والحالة هذه أن نقدم أية معلومات عن التنظيم الداخلى أو التصميم الداخلى وتوزيع الأقسام والإدارات والشعب على المبنى من الداخل وكل ما نملكه تصور مبدئى للهيكل التنظيمى للمكتبة قد ينفذ بعد الافتتاح أو قد يظهر أنه غير قابل للتنفيذ.

ينقسم التنظيم الداخلى إلى قطاعين كبيرين هما قطاع الخدمات العامة وقطاع المرافق الداخلية. وتحت كل قطاع نصادف عددًا من الإدارات. تحت الخدمات العامة نجد:

١ ـ إدارة الأنشطة الثقافية.

٢ ـ إدارة مجموعات الكتب والدوريات.

٣ ـ إدارة المجموعات الخاصة.

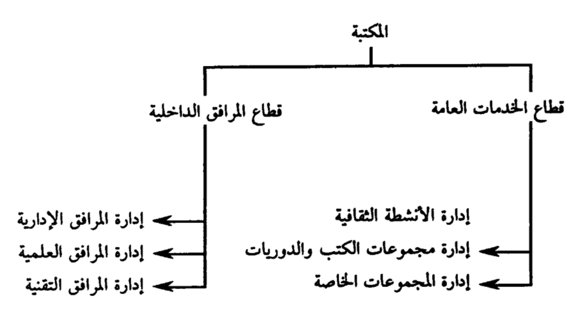
وتحت المرافق الداخلية نجد:

١ ـ إدارة المرافق الإدارية.

٢ ـ إدارة المرافق العلمية.

٣ ـ إدارة المرافق التقنية.

ويمكن تصوير هذا التنظيم فى الشكل الآتى:



ومن الجدير بالذكر أن الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية سوف تضم أيضاً معهداً لتعليم علوم المكتبات والمعلومات ويظهر فى أوراق الهيئة تحت تسمية «المدرسة الدولية لعلم المعلومات». وكان المفروض أن تفتتح المدرسة منذ بداية المشروع فى نحو سنة ١٩٩٢/ ١٩٩٣ ولكن رغم وضع مقررات المدرسة وتصور أسلوب الدراسة والتدريس والمستوى الأكاديمى إلا أنه لم تتخذ أية خطوات عملية فى هذا الاتجاه لأسباب نفسية وإدارية.

وإذا عدنا للهيكل التنظيمى للمكتبة، سوف نجد أن إدارة الأنشطة الثقافية يقصد بها أن تقوم بدور العلاقات العامة والدعوة المكتبية وجذب الجمهور القارىء إلى المكتبة ومن الأنشطة المقررة لهذه الإدارة إقامة معارض الكتب والأجهزة والمواد المكتبية المختلفة سواء الدائمة أو المؤقتة؛ وتنظيم المناسبات المختلفة مثل الحفلات الموسيقية والمحاضرات الثقافية والندوات والمؤتمرات... ونجد فى أوراق المكتبة أن هذه الإدارة سوف تنطلق فى أنشطتها من قاعة فسيحة أو داخل مبنى مركز المؤتمرات، حيث تذكر الأوراق أن أحد منافذ قاعة بطليموس سيفضى إلى المكتبة الرئيسية عبر ممر واحد مراقب يطل على قاعة كاليماخوس. وتذكر أوراق

المكتبة أيضاً أن المبنى سوف يضم متحفًا للخطوط ومواد الكتابة وتاريخ العلوم ومتجرًا لبيع الكتب والأدوات والقرطاسية كما قامت بالفعل خارج مبنى المكتبة القبة السماوية على غرار الجناح أو المرصد الفلكى فى المكتبة القديمة.

وفيما يتعلق بإدارة مجموعات الكتب والدوريات تذكر أوراق المكتبة أنه سوف تخصص فى بهو المكتبة مساحة مركزية للفهارس وقواعد البيانات الببليوجرافية والإعارة والاستعلامات. وحول هذه المساحة تقسم مجموعات الكتب والدوريات إلى خمسة أركان (أقسام) على النحو الآتى:

١ ـ المراجع عامة ومتخصصة.

٢ ـ الجغرافيا والتاريخ والآثار والتراجم.

٣ ـ العلوم الاجتماعية والفنون وتاريخ العلم.

٤ ـ اللغات والآداب.

٥ ـ العلوم البحتة والتطبيقية (التكنولوجيا).

أما إدارة المجموعات الخاصة فإنها سوف تختص بالمواد خارج الكتب والدوريات وقد حددت مبدئيًا على أنها تقع فى الفئات الأربعة الآتية:

أ ـ المواد السمعية البصرية والإلكترونية وأجهزة استعمالها.

ب ـ المخطوطات والكتب النادرة أى أوائل المطبوعات، والوثائق ذات القيمة.

ج ـ الخرائط بكل أنواعها وفئاتها: جغرافية على اتساعها وجيولوجية وآثارية وغيرها.

د ـ الموسيقى سواء القطع المسجلة أو المدونات (النوتات) الموسيقية نفسها.

وعندما نعود إلى تقسيم قطاع المرافق الداخلية فسوف نجد فيه ثلاث إدارات تختص إحداها بالشئون الإدارية: السكرتارية، الموظفون، الاتصالات والنقل، الشئون المالية. أما إدارة المرافق العلمية فإنها تعنى كما تشير أوراق المكتبة بأعمال

الاقتناء والتزويد والفهرسة والتصنيف والتحسيب الآلى، أى أنها تضم فيما نقول أقسام الإعداد الفنى وبناء مجموعات المكتبة. وإدارة المرافق التقنية تقوم بنوعين من الأعمال: تجليد وصيانة المجموعات وترميمها وصيانة الآلات والأجهزة وإعدادها للتشغيل؛ كافة الأعمال المتعلقة بالمبنى نفسه من صيانة إلى نظافة إلى أمن إلى إحلال...

ولم نقف حتى الآن على موقع تلك الإدارات والأقسام على خريطة التنظيم الإدارى والتوزيع على المبنى، هل ستكون فى مركز المؤتمرات أم داخل مبنى المكتبة نفسه؟

هوية المكتبة والمجموعات

وضع تصميم المبنى فى المساحة المحددة له على أساس أن يتسع لأربعة ملايين مجلد، على أن تفتتح المكتبة بمائتى ألف مجلد كتب وألف وخمسمائة دورية، على أن تنمو المجموعات مع السنوات حتى تكتظ المكتبة عن آخرها بالملايين الأربعة من المجلدات كأقصى طاقة مقدرة لها. ويجب أن نلاحظ أنه لا توجد أية فرصة للمكتبة كى تتوسع مستقبلاً إلا إذا استولت على مبنى المستشفى المجاور لها وهدم المستشفى ونقل إلى مكان آخر أو استولت على مبانى المجمع النظرى للجامعة فالبحر من أمامها والمجمع النظرى من خلفها والمستشفى من يمينها وشارع سوتير من يسارها.

والمشكلة الكبرى التى واجهت المسئولين واللجنة التنفيذية الدولية عند التفكير فى إقامة المكتبة هى تحديد هوية أو شخصية المكتبة وتأطير هذه الهوية وتنظيرها، أو بمعنى آخر تسكين هذه المكتبة داخل فئة من الفئات المعروفة للمكتبات، وتحديد أهداف معينة تسعى المكتبة إلى تحقيقها؛ ولما لجأ المسئولون إلى حل حاسم لهذه المشكلة وتحديد قاطع لهوية المكتبة اتفقوا على ترك هذه القضية ولتقم المكتبة أولاً ثم تكون لنفسها هوية وقد انعكس ذلك كأوضح ما يكون على القرار الجمهورى الذى صدر بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية حيث يقول ذلك القرار فى مواده الثلاثة الأولى:

١ ـ تنشأ هيئة عامة تسمى الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية تكون لها الشخصية الاعتبارية ومقرها مدينة الإسكندرية وتتبع وزير التعليم (العالى).

٢ ـ تهدف الهيئة إلى تنفيذ وإدارة مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة لتكون مكتبة عالمية ومركزاً للإشعاع الثقافى والفكرى فى خدمة البحث العلمى وتحتوى على كل ما أنتجه العقل البشرى فى أية صورة متاحة من شتى الحضارات القديمة والحديثة وبجميع اللغات، فضلاً عن إجراء الدراسات المتصلة بالأسس التاريخية والجغرافية والثقافية لمصر ومنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة ولمدينة الإسكندرية بصفة خاصة.

ومن الواضح أن هذه المادة الثانية من القرار الجمهورى قد صيغت صياغة فضفاضة أقرب ما تكون إلى الخطب المنبرية بحيث لا يمكن تكوين هوية للمكتبة بناء عليها ويمكن تحليل عناصر هذه المادة على النحو التالى:

أ ـ مكتبة عالمية.

ب ـ مركز للإشعاع الثقافى والفكرى فى خدمة البحث العلمى.

ج ـ تحتوى على كل ما أنتجه العقل البشرى بجميع صوره من كل الحضارات القديمة والحديثة، بجميع اللغات.

د ـ إجراء الدراسات المتصلة بتاريخ وجغرافية وثقافة مصر والشرق الأوسط عموماً ومدينة الإسكندرية خاصة.

وإذا نظرنا فى أى من هذه العناصر فإن المكتبة بتصميمها وظروفها التى وضعت فيها لا يمكن بحال من الأحوال أن تفى به وحيث لا يمكن أن تكون عالمية تجمع كل ما أنتجه العقل البشرى بكل صوره فى كل العصور وبجميع اللغات. ذلك أنه فى العام الواحد ينتج العقل البشرى:

مليون كتاب (يضاف إليها ما يقرب من ٣ مليون تقرير علمى ذات نشر محدود).

نصف مليون دورية (بصرف النظر عن الأعداد السنوية لكل دورية).

٢ مليون مصغر فيلمى.

٢ مليون مادة سمعية بصرية.

١٥٠,٠٠٠ ملف حاسبات آلية.

٥٠,٠٠٠ قرص ليزر.

وعدد اللغات التى يصدر بها هذا الإنتاج يصل تعسفياً إلى ٣٠٠ لغة (من أصل أربعة آلاف لغة يتكلمها سكان العالم).

ومن هذه الحسبة البسيطة فإن المكتبة لو حرصت على هذا الكل فسوف تمتلىء عن آخرها فى ثلاث سنوات فقط.

وكما جاءت المادة الثانية فضفاضة إعلامية أكثر منها علمية فقد جاءت المادة الثالثة من نفس القرار فضفاضة واسعة دعائية تقصر عن الوفاء بها ظروف المكتبة وإمكانياتها على النحو الذى سردناه سابقاً.

تقول المادة الثالثة بأن للهيئة فى سبيل تحقيق أغراضها مباشرة جميع الأعمال المتصلة بأنشطتها ولها على الأخص ما يأتى:

١ - الحصول على ما هو متاح من الكتب والدوريات والمخطوطات أو مصوراتها بأنواعها المختلفة خاصة مماله صلة بالتراث العلمى والفكرى للبلاد الكائنة على حوض البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط.

٢ - الحصول على الدراسات الخاصة بالحضارة المصرية فى جميع العصور وتجميع كل المنشورات البردية والنقوش الكتابيه فى اللغات المختلفة سواء المصرية القديمة أو اليونانية أو اللاتينية أو الآرامية أو القبطية أو العربية أو غيرها.

٣ - الحصول على المخطوطات أو مصوراتها باللغات العربية والفارسية والتركية والعبرية والسريانية واللغات الشرقية الأخرى التى تضم الإنجازات الفكرية للعالم الإسلامى.

٤ ـ تكوين مجموعات خاصة بالدراسات الأفريقية تضم جميع المنشورات المشتملة على النقوش التقليدية وكذلك الدراسات العلمية الحديثة التى تتناول شئون القارة الأفريقية.

٥ ـ الحصول على جميع الدراسات المتعلقة بتاريخ العالم وخصوصًا تاريخ منطقة الشرق الأوسط.

٦ ـ الحصول على جميع الدراسات الخاصة بتاريخ الطب والعلوم الأخرى المختلفة وإنجازات الحركة العلمية الحديثة.

٧ ـ إنشاء معهد عالى دولى للمكتبات أو غيره من معاهد أو مراكز البحوث والدراسات.

٨ ـ إنشاء قاعات لعرض القبة السماوية ولعرض تاريخ الكتابة وأدواتها ووسائلها وقاعات للموسيقى.

٩ ـ إنشاء قاعة لتخليد الأعلام من رجال الفكر والعلم فى التاريخ الإنسانى.

١٠ ـ إنشاء مكتبات للاسطوانات والأفلام وأرشيف للصور والشرائح التصويرية للشخصيات والمعالم ذات الأهمية فى المنطقة.

١١ ـ إعداد شبكة إلكترونية لتبادل المعلومات مع مكتبات العالم والجهات الخارجية.

١٢ ـ إعداد فهارس متكاملة بالكمبيوتر فى شتى مجالات أنشطة الهيئة.

١٣ ـ إنشاء مركز للوثائق والإحصاء.

١٤ ـ إنشاء مطبعة حديثة تزود بأحرف الكتابة الهيروغليفية واليونانية واللاتينية والعبرية وغيرها ومجموعة متكاملة للرموز والعلامات العلمية والرياضية.

١٥ ـ إنشاء ورشة لصيانة الكتب وترميمها وتجليدها وتقديم جميع التسهيلات للتصوير بأنواعها المختلفة.

كان المفروض أن تفتتح المكتبة فى يوليو ١٩٩٥ حسب الخطة المرسومة لها والتى يشملها الجدول المعلن من قبلها بمائتى ألف كتاب وألف وخمسمائة دورية ولكن بما أنه قد انقضى ذلك الأجل بخمس سنوات ولم تفتتح المكتبة فإننا نتوقع أن يكون رصيد المكتبة الآن قد وصل إلى ٤٠٠,٠٠٠ كتاب و٣٠٠٠ دورية ولكن الحقيقة ورغم تكتم إدارتها عدد الكتب التى تم اقتناؤها وإعدادها، وعدد الدوريات فإن المكتبة لم تجمع حتى الآن مائة ألف مجلد وألف دورية، ولأننا لا نعرف متى تفتتح المكتبة حتى الافتتاح المبدئى التجريبى فإن ما جمع من كتب ودوريات هو أقل بكثير مما قدر له.

وهناك أسباب ونتائج فى نفس الوقت لهذا التباطؤ فى جمع المقتنيات، ومن الأسباب الرئيسية عدم وجود تحديد قاطع لهوية المكتبة وبالتالى عدم تحديد من سوف تخدمهم المكتبة وبالتالى عدم وجود سياسة للاقتناء، سياسة واضحة ومحددة وإذا كان القرار الجمهورى قد جاء واسعًا فى أهدافه فكان أجدر بإدارة المكتبة أن تضع لائحة داخلية تصوغ فيها أهدافها بدقة وتحدد هويتها بوضوح وترسم سياسة التزويد حسب الظروف والإمكانيات والهوية ولكن ذلك كله لم يحدث فحدثت عشوائية التزويد وبناء المجموعات. إن السبب الرئيسى فى هذا الأمر كله هو عدم وجود متخصصين فى المكتبات والمعلومات وبالتالى ترك الأمر برمته إلى الهواة وغير المتخصصين.

ولقد طالب الدكتور عبد اللطيف إبراهيم أستاذ الوثائق فى كلية الآداب - جامعة القاهرة فى نشرة مكتبة الإسكندرية عدد يونية ١٩٩٢ بنقل المخطوطات وأوائل المطبوعات الموجود فى مكتبة بلدية الإسكندرية (مكتبة محافظة الإسكندرية الآن) إلى مكتبة الإسكندرية. وبالفعل تم نقل مجموعة المخطوطات إلى المكتبة الجديدة وقد تم ترميمها وصيانتها من التلف فى المعمل الذى قدمته إيطاليا هدية للمكتبة الجديدة كما جرى إعداد قاعدة بيانات ببليوجرافية لتلك المخطوطات التى تقترب من خمسة آلاف مخطوط. وسوف تتلو هذه الخطوة

خطوات أخرى للحصول على المخطوطات وأوائل المطبوعات المبعثرة فى أنحاء متفرقة من محافظة الإسكندرية مثل مخطوطات مسجد المرسى أبو العباس وغيره.

إن غياب تحديد هوية المكتبة يؤثر حتماً فى مسيرتها ولابد بادىء ذى بدء وقبل أن يستفحل الأمر من أن نقف وقفة علمية ونسأل أنفسنا سؤالاً مؤداه ماذا نريد لمكتبة الإسكندرية أن تكون:

هل نريدها مكتبة عالمية؟

هل نريدها مكتبة وطنية ثانية لمصر؟

هل نريدها مكتبة جامعية لجامعة الإسكندرية؟

هل نريدها مكتبة بحث متخصصة؟ وفى أى مجال؟

هل نريدها مكتبة عامة بديلة لمكتبة البلدية؟

بالنسبة للسؤال الأول وقد أجبنا عليه من قبل بالاستحالة ومن ثم بالنفى، ونضيف هنا أنه لا توجد سوى مكتبة واحدة فى العالم يمكنها الادعاء بالعالمية وهى مكتبة الكونجرس التى أنشئت سنة ١٨٠٠م وقد وصلت مقتنياتها فى نهاية القرن العشرين إلى نحو ١٢٠ مليون قطعة ويعمل بها ستة آلاف موظف وتبلغ ميزانيتها الآن نحو نصف مليار دولار ولها مكاتب فى أنحاء متفرقة من العالم لجلب مصادر المعلومات لها من تلك الأنحاء، وتتمتع بالإيداع القانونى. هذه المكتبة يدخلها كل صباح نحو ٢٠,٠٠٠ قطعة بمعدل سبعة ملايين قطعة فى السنة ومع كل هذه الضخامة فى كل شىء إلا أن المكتبة لم تقل فى يوم من الأيام أنها تجمع كل، لأن هذا الكل مستحيل، وربما تستخدم المكتبة كلمة (جل) أو (معظم) أو (أهم).

ورغم ضخامة وإمكانيات المكتبة البريطانية، والمكتبة الوطنية الفرنسية،

ومكتبة لينين فى روسيا ومكتبة الدايت فى اليابان فإن أياً منها لم يجرؤ على تحديد كلمة الكل أو كلمة العالمية هدفاً له يسعى إليه.

وبالنسبة للسؤال الثانى (مكتبة وطنية ثانية لمصر) نقول بأن لمعظم دول العالم مكتبة أم تعرف بالمكتبة الوطنية هذه المكتبة الوطنية تسعى إلى:

١ - جمع كل الإنتاج الفكرى الوطنى بكل صوره وأشكاله ولغاته ومستوياته ويساعدها فى هذا الصدد قانون أو تشريع يصدر لها يعرف بقانون الإيداع.

٢ - جمع عيون الإنتاج الفكرى الأجنبى أى أهم ما فيه وتحدد كل مكتبة الدوائر التى تدور فيها عملية اقتناء هذا الفكر الأجنبى من حيث العدد والشكل والموضوع والمستوى.

٣ - إصدار الببليوجرافية الوطنية التى تحصر وتسجل وتصف الإنتاج الفكرى الوطنى.

ولظروف خاصة قد يكون فى الدولة الواحدة أكثر من مكتبة وطنية واحدة إما على أساس جغرافى أو أساس موضوعى أو أساس شكلى. كأن ترغب الدولة أن يكون هناك مكتبة وطنية فى مناطق مختلفة بها حتى لا يضطر المواطنون إلى الارتحال للعاصمة لاستخدام المكتبة الوطنية الوحيدة بها، كذلك قد ترغب الدولة فى تخفيف العبء على المكتبة الوطنية الواحدة فتقسم هذا العبء موضوعياً على أكثر من مكتبة أو تقسمه شكليًا على أكثر من واحدة. تعدد المكتبات الوطنية على أسس مدروسة فى البلد الواحد قائم ومعمول به. ومن هنا فإن مكتبة الإسكندرية يمكن أن تصبح مكتبة وطنية ثانية لمصر بعد دار الكتب المصرية التى أنشئت سنة ١٨٧٠م، ونجد فى مكتبة بلدية الإسكندرية بذرة هذا الاتجاه حيث أنشئت تلك المكتبة فى نهاية القرن التاسع عشر بعد دار الكتب المصرية وكانت تتمتع بالإيداع القانونى حيث تحصل على نسخة من كل ما ينشر من إنتاج فكرى مصرى طبقًا لأحكام القانون ٢٠ لسنة ١٩٣٦. فإذا أصبحت مكتبة الإسكندرية الجديدة مكتبة وطنية لشمال الدلتا فإنها يمكن أن تستوعب مكتبة البلدية ومن ثم

تستوعب قرنًا كاملاً من الإنتاج الفكرى والمقتنيات وتتمتع بالإيداع القانونى وهو أمر سهل الوصول إليه وتحقيقه.

أما بالنسبة للسؤال الثالث وهو (مكتبة جامعية لجامعة الإسكندرية) فقد كانت هذه هى الصيغة المطروحة لمكتبة الإسكندرية طالما كان المشروع فى حوزة جامعة الإسكندرية أما بعد أن سحب من الجامعة وأعطى الصبغة الوطنية فإنه لم يعد فى الإمكان طرح هذه الصيغة مرة ثانية لأن المشروع أصبح أكبر بكثير من أن يكون مجرد مكتبة جامعة تخدم مناهج دراسية محددة ومجتمعًا أكاديمياً محدودًا بل وميزانية محدودة تقصر عن الوفاء بالتزامات مكتبة كبيرة بهذا الشكل. ومن المعروف أن جامعة الإسكندرية قد صفّت مكتبة الجامعة التى كانت تضم مجموعات الكتب ونقلت مجموعة المخطوطات والخرائط والكتب النادرة إلى ما يعرف بالمكتبة العلمية (الدوريات + المصغرات الفيلمية) والاعتماد الرئيسى الآن هو على مكتبات. الكليات وتعويضاً لجامعة الإسكندرية عن سحب المشروع وإعطائه الصبغة الوطنية قررت المادة السادسة من القرار الجمهورى أن تتولى جامعة الإسكندرية دعم تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية علميًا وأكاديمياً وفقًا للنظم التى يقررها مجلس إدارة الهيئة بالاتفاق مع مجلس الجامعة. وطبقا لهذه المادة فإن الدعم يأتى من جانب الجامعة وليس العكس، إلا أنه من المفهوم لدى إدارة المكتبة أن توضع احتياجات الجامعة من الكتب وغيرها من المواد المكتبية موضع الاعتبار عند تزويد المكتبة بالمصادر كذلك فإنه من المقرر مد جسر أى كوبرى علوى بين المكتبة والمجمع النظرى للجامعة عبر شارع بورسعيد. ومن هذا المنطلق فإن السؤال المطروح بجعل المكتبة مكتبة جامعية لجامعة الإسكندرية لا مكان له وقد نبذ جانبًا الآن.

أما السؤال الرابع (مكتبة بحث متخصصة وفى أى مجال) فقد لقى ارتياحًا عامًا لأنه أقرب إلى طبيعة المكتبة القديمة، التى كانت عبارة عن أكاديمية أو مركز معلومات يخدم الموسيون. ومن المعروف فى زماننا الآن أن المكتبة المتخصصة لابد وأن تقتصر على مجال محدد تتعمق التجميع فيه وتخدم الباحثين والعلماء فى هذا

المجال فأى المجالات ترى تصلح لكى تتخصص فيه المكتبة الجديدة. إن مكتبة مثل مكتبة الكونجرس أو المكتبة البريطانية أو الفرنسية قد غطت وبتعمق جميع فروع المعرفة البشرية ومن فترة طويلة تمتد عبر قرون فهل تجد مكتبة الإسكندرية مجالاً تنافس فيه وتثبت وجودها وتبز فيه المكتبات القائمة الراسخة سواء الوطنية أو الجامعية أو المتخصصة.

لقد رأى كل من الدكتور لويس عوض والدكتور محمد محمد أمان أن تتخصص المكتبة فى كل ما له علاقة بحوض البحر الأبيض المتوسط من جغرافيا إلى تاريخ إلى فلسفة إلى اجتماع إلى كيمياء وطبيعة وأدب ولغة. . . منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا. ومن هنا تتحول المكتبة فعلاً إلى مركز بحوث ودراسات متخصصة فى هذا المجال ويمكنها أن تنافس فيه وتحافظ فعلاً على الصبغة العالمية وتنشد فى نفس الوقت مساعدة دول حوض البحر الأبيض المتوسط كله، خاصة وأن هناك برامج للتعاون بين تلك الدول فعلاً سواء على مستوى الدول أو على مستوى المؤسسات كالجامعات مثلاً. ويطور الدكتور لويس عوض اقتراحه هذا باقتراح آخر يدعو فيه إلى إنشاء معهد علمى ينشأ بين أحضان المكتبة على مستوى الدراسات العليا يمنح درجة الدكتواه فى دراسات حوض البحر الأبيض المتوسط.

أما بالنسبة للسؤال الخامس (مكتبة عامة بديلة لمكتبة البلدية)، فإن طرح صيغة المكتبة العامة يتطلب منا بادىء ذى بدء أن نضع أيدينا على خصائص المكتبة العامة، حيث هى:

١ ـ تفتح أبوابها وتقدم خدماتها لجميع طوائف الشعب دون تمييز بين سن وسن وطبقة وأخرى وبين جنس وجنس ودين ودين ومستوى تعليمى وآخر.

٢ ـ تجمع مصادر المعلومات فى جميع فروع المعرفة البشرية ومن كل الأشكال (كتب ـ دوريات ـ مواد سمعية بصرية ـ مصغرات فيلمية ـ ملفات الحاسب الآلى ـ أقراص الليزر ـ الوثائق)، وبمستويات المعالجة المختلفة.

٣ ـ أنها تقدم خدماتها بالمجان وبدون أى مقابل، حيث هى خدمة عامة للشعب.

٤ ـ أنه لا إكراه ولا إجبار على ارتياد المكتبة العامة.

ومن هذه الخصائص نجد أن المكتبة العامة هى عمل محلى بحت ومن غير المقبول أن نطلب مساعدات دولية لإنشاء مكتبة عامة، ومن جهة ثانية لا يوجد فى العالم مكتبات عامة مليونية إلا فى حالتين فقط هما مكتبة نيويورك العامة ومكتبة بوسطن العامة فى الولايات المتحدة. ومن ثم فإن تحويل مشروع عالمى مثل مكتبة الإسكندرية إلى مجرد مكتبة عامة قد يكون أمرًا مرفوضًا على المستوى المهنى وعلى المستوى العالمى. ولذلك ينصح الخبراء بإبقاء مكتبة بلدية الإسكندرية كمكتبة عامة وعدم المجازفة والمخاطرة بتحويل المكتبة الجديدة إلى مكتبة عامة.

من هذه المنطلقات جميعاً فإن الصيغتين المقبولتين لهوية مكتبة الإسكندرية الجديدة هما: إما مكتبة وطنية لشمال الدلتا وإما مكتبة بحوث متخصصة فى دراسات حوض البحر المتوسط. وفى كلتا الحالتين فإن الصبغة البحثية ستكون من نصيب هذه المكتبة. والذين يرون أن تصبح مكتبة وطنية لشمال الدلتا يحبذون فى الوقت ذاته إنشاء مكتبة وطنية ثالثة فى جنوب الوادى وبالتالى يصبح لدينا ثلاث مكتبات وطنية لتغطية مصر كلها: دار الكتب المصرية بالقاهرة؛ مكتبة الإسكندرية الجديدة؛ مكتبة جنوب الوادى ويقترحون لها مدينة سوهاج على أن مكتبة رفاعة رافع الطهطاوى نواة لها بما فيها من مقتنيات رائعة مخطوطة ومطبوعة.

ومن جانبى فإننى أميل إلى الرأى القائل بجعل مكتبة الإسكندرية الجديدة مكتبة بحوث متخصصة فى دراسات حوض البحر الأبيض المتوسط حيث يمكنها المنافسة فيه وشق طريقها إليه.

فإذا حددت هوية المكتبة على أى نحو من النحوين السابقين فإن من السهل بعد ذلك رسم سياسة التزويد بمنتهى الاطمئنان والتحديد ومن ثم يمكن تشكيل أنواع الخدمات التى تقدمها المكتبة ونوع المستفيدين الذين يفيدون من تلك الخدمات.

ولقد بلور الرئيس حسنى مبارك فى خطبته فى ختام الاحتفال بصدور إعلان أسوان التاريخى العالمى فى ١٢ من فبراير ١٩٩٠ هذا المعنى حين قال:

«نرجو أن تضم مكتبة الإسكندرية الأكاديمية كل الوثائق والموسوعات والمؤلفات القديمة والحديثة التى تتصل بمصر وحوض البحر المتوسط وإفريقيا والشرق الأوسط مع الاهتمام بصفة خاصة بالإسكندرية».

افتتاح المكتبة الجديدة

كان إعلان أسوان سنة ١٩٩٠ قد حدد موعدا لافتتاح المكتبة يوليو سنة ١٩٩٥ ولكن هذا الموعد تأجل عدة مرات إلى أن حسمت السيدة الفاضلة سوزان مبارك راعية المشروع هذا الأمر بتحديد الثالث والعشرين سنة ٢٠٠٢ وهو اليوم العالمى للكتاب؛ وقد تم الافتتاح التجريبى للمكتبة فى مطلع شهر اكتوبر سنة ٢٠٠١ وعلى مدى ستة شهور بين الافتتاح التجريبى والافتتاح الرسمى تبين لادارة المكتبة كثير من الثغرات التى سارعت إلى سدها وتعديل مسارها، وعلى مدى تلك الشهور فتحت المكتبة ليس فقط للاستخدام الفعلى وإنما أيضا أمام وفود الزوار الذين جاءوا من كل حرب وصوب لزيارة المكتبة وتفقد أرجائها.

وسوف يتم الافتتاح الرسمى للمكتبة فى احتفال دولى يحضره نحو سبعين من رؤساء وملوك وسلاطين الدول؛ كما يحضره عدد محدود من الشخصيات العامة المصرية والعربية والأجنبية. ولسوف تستمر الاحتفالات الرسمية لمدة ثلاثة أيام، والاحتفالات الشعبية لمدة أسبوع حتى نهاية، شهر إبريل سنة ٢٠٠٢.

واعتباراً من أول مايو سنة ٢٠٠٢ تبدأ المكتبة فى تقديم خدماتها الاعتيادية لجمهور القراء. وبعد عدة أعوام يمكن النظر فى أمر المكتبة والحكم عليها.

بعد الانتهاء من مراسيم افتتاح المكتبة فإننى أدعو إدارة المكتبة وبحرارة شديدة إلى أن تجمع كل وثائق المكتبة من كل مكان منذ أن كانت فكرة فى ذهن الأستاذ الدكتور مصطفى العبادى وحتى الآن واستنساخها ووضعها تحت تصرف الباحثين والدارسين والمؤرخين من جيلنا والأجيال المقبلة حتى يرى الجميع الجهد الذى بذل فى صنع هذا الصرح الفكرى العظيم.

* * *

الفصل السابع

مكتبة الإسكندرية الجديدة

الملاحق

ملحق (١) قرار رئيس الجمهورية رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨ بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

ملحق (٢) مكتبة الإسكندرية: حقائق وأرقام

ملحق (٣) خطاب السيدة سوزان مبارك خلال زيارتها لمكتبة الإسكندرية فى ٣ مايو ٢٠٠١

ملحق (٤) قانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١ بشأن مكتبة الإسكندرية

ملحق (٥) قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٧٦ لسنة ٢٠٠١ بشأن مكتبة الإسكندرية

ملحق (٦) السيدة سوزان مبارك رئيسة مجلس الأمناء راعية المشروع

ملحق (٧) أعضاء مجلس أمناء مكتبة الإسكندرية

ملحق (٨) دليل مكتبة الإسكندرية الجديدة

ملحق (٩) نص الدعوة التى وجهت للمشاركة فى الافتتاح الرسمى للمكتبة الجديدة (٢٣ من إبريل ٢٠٠٢)

ملحق (١)

قرار السيد رئيس جمهورية مصر العربية
رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨ بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

رئيس الجمهورية:

بعد الاطلاع على الدستور، وعلى القانون رقم ٦١ لسنة ١٩٦٣م بإصدار قانون الهيئات العامة، وعلى القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٢م بشأن تنظيم الجامعات، وعلى القانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٢م بشأن الموازنة العامة للدولة، وعلى القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٨١م بشأن المحاسبة الحكومية وعلى القانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٨١م بإصدار قانون التعليم. وعلى قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ١٣٦٩ لسنة ١٩٨٧م بتشكيل لجنة قومية عليا لمشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة، وبعد موافقة مجلس الوزراء، وبناء على ما ارتآه مجلس الدولة، قرر:

مادة ١:

تنشأ هيئة عامة تسمى: الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية: تكون لها الشخصية الاعتبارية ومقرها مدينة الإسكندرية وتتبع وزير التعليم.

مادة ٢:

تهدف الهيئة إلى تنفيذ وإدارة مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة لتكوين مكتبة عالمية ومركز للإشعاع الثقافي والفكري في خدمة البحث العلمي وتحتوي على كل ما أنتجه العقل البشري في أية صورة متاحة في شتى الحضارات القديمة والحديثة وبجميع اللغات، فضلاً عن إجراء الدراسات المتصلة بالأسس التاريخية والجغرافية والثقافية لمصر ومنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة ولمدينة الإسكندرية بصفة خاصة.

مادة ٣:

للهيئة فى سبيل تحقيق أغراضها مباشرة جميع الأعمال المتصلة بأنشطتها ولها على الأخص ما يأتى:

١ ـ الحصول على كل ما هو متاح من الكتب والدوريات والمخطوطات أو مصوراتها بأنواعها المختلفة، خاصة مما له صلة بالتراث العلمى والثقافى والفكرى للبلاد الكائنة على حوض البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط.

٢ ـ الحصول على الدراسات الخاصة بالحضارة المصرية فى جميع العصور وتجميع كل المنشورات البردية والنقوش الكتابية فى اللغات المختلفة سواء المصرية القديمة أو اليونانية أو اللاتينية أو الآرامية أو القبطية أو العربية أو غيرها.

٣ ـ الحصول على المخطوطات أو مصوراتها باللغات العربية والفارسية والتركية والعبرية والسريانية واللغات الشرقية الأخرى التى تمثل الإنجازات الفكرية للعالم الإسلامى.

٤ ـ تكوين مجموعات خاصة بالدراسات الأفريقية تضم جميع المنشورات المشتملة على النقوش التقليدية وكذلك الدراسات العلمية الحديثة التى تتناول شئون القارة الأفريقية.

٥ ـ الحصول على جميع الدراسات المتعلقة بتاريخ العالم وخصوصًا تاريخ منطقة الشرق الأوسط.

٦ ـ الحصول على جميع الدراسات الخاصة بتاريخ الطب والعلوم الأخرى المختلفة وإنجازات الحركة العلمية الحديثة.

٧ ـ إنشاء معهد عالى دولى للمكتبات أو غيره من معاهد أو مراكز البحوث والدراسات.

٨ ـ إنشاء قاعات لعرض القبة السماوية ولعرض تاريخ الكتابة وأدواتها ووسائلها وقاعات للموسيقى.

٩ ـ إنشاء قاعة لتخليد الأعلام من رجال الفكر والعلم فى التاريخ الإنسانى.

١٠ ـ إنشاء مكتبات للإسطوانات والأفلام وأرشيف للصور والشرائح التصويرية للشخصيات والمعالم ذات الأهمية فى المنطقة.

١١ ـ إعداد شبكة إلكترونية لتبادل المعلومات مع مكتبات العالم والجهات الخارجية.

١٢ ـ إعداد فهارس متكاملة بالكمبيوتر فى شتى مجالات أنشطة الهيئة.

١٣ ـ إنشاء مركز للوثائق والإحصاء.

١٤ ـ إنشاء مطبعة حديثة تزود بأحرف الكتابة الهيروغليفية واليونانية واللاتينية العبرية وغيرها ومجموعة متكاملة للرموز والعلامات العلمية والرياضية.

١٥ ـ إنشاء ورشة لصيانة الكتب وترميمها وتجليدها وتقديم جميع التسهيلات للتصوير بأنواعها المختلفة.

مادة ٤:

يُشكل مجلس إدارة الهيئة على الوجه الآتى:

ـ وزير التعليم (العالى) رئيسًا.

ـ رئيس جامعة الإسكندرية نائباً للرئيس.

ـ محافظ الإسكندرية أو من ينيبه.

ـ ثلاثة من الأساتذة بجامعة الإسكندرية يختارهم مجلس الجامعة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

ـ ممثل لكل من وزارات الثقافة والإعلام والسياحة والتعليم العالى والتربية والتعليم والخارجية يختارهم الوزراء المختصون، أعضاء.

ـ عدد لا يجاوز خمسة من الشخصيات العامة ممن لهم مكانة خاصة فى مجال الثقافة والفكر يختارهم وزير التعليم وذلك لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

ـ مدير الهيئة.

ولمجلس الإدارة أن يشكل لجانًا من أعضائه للقيام بدراسات أو أبحاث أو مهام معينة، وله أن يعهد إليها ببعض اختصاصاته، وللمجلس أن يفوض مدير الهيئة فى القيام بمهمة محددة. وتحدد بقرار من رئيس مجلس الوزراء المكافآت التى تصرف لأعضاء مجلس الإدارة.

مادة ٥:

مجلس إدارة الهيئة هو السلطة المهيمنة على شئونها وتصريف أمورها وإقرار السياسة التى تسير عليها وله أن يصدر ما يراه لازماً من قرارات لتحقيق الغرض الذى أنشئت الهيئة من أجله وذلك فى حدود السياسة العامة للدولة فى مجال العلم والفكر وتنمية القيم الإنسانية والحضارية. وله على الأخص ما يأتى:

١ ـ إصدار اللائحة الداخلية للهيئة واللوائح المنظمة للشئون العلمية والإدارية والفنية، ويكون إصدار اللوائح المالية بعد موافقة وزارة المالية.

٢ ـ إقرار الخطط اللازمة لإتمام تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية والعمل على تذليل ما يعترضه من عقبات.

٣ ـ وضع اللوائح المتعلقة بشئون العاملين بالهيئة وتحديد مرتباتهم ومكافآتهم دون التقيد بالنظم الحكومية، وذلك بمراعاة الحدود القصوى للمرتبات المنصوص عليها فى قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة.

٤ ـ وضع الهيكل التنظيمى للهيئة وجداول الوظائف بها.

٥ ـ إجراء الاتصالات بالهيئات وبالدول الأجنبية والمؤسسات العامة والشخصيات البارزة التى تهتم بتنفيذ المشروع لدعوتها للمساهمة فيه بالأساليب التى تتراءى لها ويقبلها مجلس الإدارة.

٦ ـ قبول الإعانات والهبات والتبرعات والوصايا والإسهامات الداخلية منها والخارجية التى تتفق مع أغراض الهيئة وذلك فى حدود النظم المقررة.

٧ ـ النظر فى التقارير الدورية التى تقدم عن سير العمل بالهيئة ومركزها العالى.

٨ ـ الموافقة على مشروع الهيئة وحسابها الختامى.

٩ ـ مباشرة جميع التصرفات اللازمة لإدارة الهيئة.

١٠ ـ النظر فى كل ما يرى رئيس مجلس الإدارة عرضه من مسائل تدخل فى اختصاص الهيئة وتعرض قرارات مجلس الإدارة على وزير التعليم لاعتمادها.

مادة٦:

تتولى جامعة الإسكندرية دعم تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية علمياً وأكاديمياً وفقاً للنظم التى يقررها مجلس إدارة الهيئة بالاتفاق مع مجلس الجامعة.

مادة٧:

يصدر بتعيين مدير الهيئة قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض وزير التعليم ويتضمن القرار تحديد مرتباته وبدلاته.

ويكون مدير الهيئة مسئولاً عن تنفيذ سياسة الهيئة التى يخطها مجلس الإدارة ويتولى متابعة تنفيذ قراراته وتعريف شئون الهيئة وفقاً للقانون ولأحكام هذا القرار وتحت إشراف مجلس الإدارة وفى حدود الاختصاصات الأخرى المخولة له فى لوائح الهيئة.

مادة٨:

تتكون موارد الهيئة مما يأتى:

١ ـ ما تدرجه الدولة من اعتمادات لها فى الموازنة.

٢ ـ الإعانات والتبرعات والهبات والوصايا والإسهامات الداخلية والخارجية.

٣ ـ القروض التى تعقد لصالح الهيئة.

٤ ـ مقابل الخدمات التى تقدمها الهيئة.

٥ ـ عائد استثمار أموال الهيئة.

٦ ـ أية موارد أخرى تتقرر للهيئة.

مادة ٩:

يكون للهيئة موازنة خاصة فى إطار الموازنة العامة للدولة وتبدأ السنة المالية للهيئة ببداية السنة المالية للدولة وتنتهى بنهايتها. ويفتح حساب خاص للهيئة بالبنك المركزى المصرى أو بأحد البنوك التجارية بموافقة وزارة المالية تودع فيه أموالها، ويرحل فائض هذا الحساب من سنة مالية إلى أخرى.

مادة ١٠:

ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية، ويعمل به من اليوم التالى لتاريخ نشره.

صدر برئاسة الجمهورية فى (٤ جمادى الأولى سنة ١٤٠٩ ـ ١٤ ديسمبر سنة ١٩٨٨).

حسنى مبارك

* * *

ملحق (٢)

مكتبة الإسكندرية: حقائق وأرقام

الموقع

تقع مكتبة الإسكندرية الجديدة بين البحر ومجمع الكليات النظرية بجامعة الإسكندرية (بمنطقة الشاطبى) وتطل واجهتها الشمالية على البحر المتوسط عند لسان السلسلة، وموقع المكتبة الجديد هو ذاته موقع البروكيوم (الحى الملكى القديم المنتم للحضارة اليونانية الرومانية) كما تدل على ذلك الحفريات الأثرية التى أجريت بالمنطقة فى عام ١٩٩٣. ويحد موقع المكتبة الكورنيش والبحر من الشمال مما يجعل المكتبة تطل على المنظر الرائع للميناء الشرقية. كما أن وجود مركز المؤتمرات بالموقع على مساحة ٥٠٠٠ متر مربع يساعد على الارتقاء بخدمات المكتبة.

حقائق وأرقام

عدد الأدوار: ١١ دور.

إجمالى مسطح الأدوار: ٨٥٤٠٥م٢.

ارتفاع المبنى: ٣٣ متراً.

مسطح المكتبة العامة: ٣٦٧٧٠م٢.

مسطح النشاطات الثقافية: ٤٢١٠م٢.

مسطح الخدمات الفنية والتقنية: ١٠٨٦٠م٢.

المعهد الدولى لدراسات المعلومات: ٣٥٠٠م٢.

مركز المؤتمرات بالإضافة إلى خدمات فرعية ومسطحات إضافية: ٣٠٨٤٠م٢.

عدد المجلدات: ٢٠٠,٠٠٠ عند الافتتاح/٨ مليون مجلد على المدى البعيد.

عدد الدوريات: ٤٠٠٠/ ١٥٠٠ دورية.

مواد سمعية وبصرية -ووسائط متعددة: ١٠٠٠٠/ ٥٠٠٠٠.

عدد المخطوطات والكتب النادرة: ١٠٠٠٠/ ٥٠٠٠٠ مخطوطة وكتاب نادر.

عدد الخرائط: ٥٠٠٠٠ خريطة

نظم معلومات وقواعد بيانات متكاملة باستخدام الحاسب الآلى والوسائط المتعددة والاتصال بشبكة الإنترنت الدولية.

عناصر المكتبة

يضم مجمع مكتبة الإسكندرية: المكتبة الرئيسية، مكتبة الشباب، مكتبة المكفوفين، القبة السماوية، متحف العلوم، متحف الخطوط، المتحف الأثرى، المعهد الدولى لدراسات المعلومات، معمل الحفاظ والترميم، مركز المؤتمرات والخدمات الملحقة به بالإضافة إلى الفراغات المتعددة الأغراض والمعارض.

مراحل الإنشاء

المرحلة الأولى (الأساسات وأعمال التربة):

المقاولون: اتحاد شركات روديو تريفى (إيطاليا)/ المقاولون العرب (مصر).

بدأت أعمال التنفيذ فى ١٥/٥/١٩٩٥ وانتهت ٣١/١٢/١٩٩٦، بتكلفة ٥٩ مليون دولار أمريكى.

الأعمال الإنشائية بالمكتبة تضمنت التقنيات الأكثر تقدماً: فبالإضافة إلى الحائط اللوحى الإسطوانى الذى أنشئ بقطر ١٦٠ متر، ترتكز المكتبة على ٦٠٠ خازوق بالتفريغ مما يعتبر إنجازاً هندسياً مميزاً.

المرحلة الثانية (أعمال الإنشاءات والمبانى، الخدمات والتركيبات، الأعمال الخارجية بموقع المشروع):

المقاولون: اتحاد شركات بلفوربيتى (المملكة المتحدة)/ المقاولون العرب (مصر)

بدأت الأعمال بالموقع فى ١٩٩٦/١٢/٢٧ بتكلفة ١١٧ مليون دولار أمريكى.

المعماريون/ المهندسون (استشاريوا المكتبة)

سنوهتا (النرويج)/ حمزة (مصر)

نبذة عن تطور المشروع

١-كان الراعى الأول لهذا المشروع الحضارى العظيم منذ بدايته وحتى الآن السيدة الفاضلة سوزان مبارك قرينة رئيس الجمهورية، التى شملت كل أنشطته برعايتها.

٢- وكانت جامعة الإسكندرية صاحبة الفضل فى النداء بفكرة إحياء مكتبة الإسكندرية، وقامت بالفعل بتخصيص الأرض وبناء مركز المؤتمرات فى ذلك الموقع المتميز عند السلسلة، ثم تفضل السيد رئيس الجمهورية بتبنى المشروع كمشروع قومى، وتولى الدكتور فتحى سرور وزير التعليم آنذاك الدعوة الدولية مع اليونسكو بقرار جمهورى سنة ١٩٨٨، وكانت تبعيتها لوزارة التعليم، وتابع المشروع الدكتور حسين كامل بهاء الدين ثم الدكتور مفيد شهاب حين توليه وزارة التعليم العالى، وساعد الوزير المهندس صفوت سالم رئيس القطاع بالوزارة خصوصاً فى الفترة الأخيرة من تنفيذ المشروع، وقد كان للدكتور مفيد شهاب دور قيادى فى إعداد التشريعات الجديدة وما واكبها من تنظيمات إدارية.

٣- شارك مدير عام اليونسكو بالدعوة للمشروع بنداء عام ١٩٨٧، ونظم اليونسكو مسابقة معمارية شارك فيها مئات من المكاتب المعمارية من عشرات الدول واختير أفضل التصميمات والذى فاز به مكتب «سنوهتا» النرويجى بالاشتراك مع الاستشارى المصرى ممدوح حمزة الذى تولى التصميمات الإنشائية، وحضر العديد من الشخصيات العالمية مؤتمر ١٩٩٠ الذى أصدر إعلان أسوان،

وكون اللجنة التوجيهية الدولية برئاسة السيدة سوزان مبارك، وبادرت منذ ذلك الحين بعض الدول العربية بدعم هذا المشروع مادياً ثم تبعها عدد من الدول الأخرى فى هذاا لدعم. بدأ التنفيذ فى سنة ١٩٩٥، وقام بالتنفيذ المقاولون العرب بالاشتراك مع شركات إيطالية وبريطانية، وكان للدكتور محسن زهران دوراً متميزاً فى نقل التصور المعمارى إلى واقع ملموس، حيث باشر العمل عبر سنين طويلة إلى أن ظهر المبنى رائعاً مبهراً على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

٤- والآن وقد حان وقت الافتتاح رأت القيادة السياسية ضرورة تطوير أوضاع المكتبة بما يتناسب ورسالتها العالمية، فصدر للمكتبة تشريعاً خاصاً (القانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١) نقل تبعيتها لرئيس الجمهورية الذى حدد بالقرار الجمهورى رقم ٧٦ لسنة ٢٠٠١ التشكيلات الإدارية المناسبة للإشراف عليها وتصريف شئونها الإدارية والمالية.

- الناحية التنظيمية

أ-مجلس الرعاة برئاسة رئيس الجمهورية أو من يختاره (ويشمل رئيس جمهورية فرنسا وملكة أسبانيا وغيرهما من القادة العالميين).

ب- مجلس الأمناء برئاسة رئيس الجمهورية أو من يختاره (ويشمل عدد من الشخصيات المصرية وغير المصرية).

جـ- مدير المكتبة له كل المسئوليات التنفيذية فى تصريف شئونها.

وقد قام رئيس الجمهورية بتكليف السيدة سوزان مبارك برئاسة مجلس الأمناء، كما شكل مجلساً للأمناء من الشخصيات المتميزة (مرفق سيرهم الذاتية) واختار الدكتور إسماعيل سراج الدين مديراً للمكتبة.

ويبدأ العمل فى المكتبة فى الخريف، وتجرى الاتصالات الدولية لتحديد الموعد الأنسب للعديد من الشخصيات البارزة للمشاركة فى احتفال الافتتاح الكبير خلال الشهور التالية للبدء فى العمل بالمكتبة.

* * *

ملحق (٣)

خطاب السيدة سوزان مبارك

خلال زيارتها لمكتبة الإسكندرية فى ٣ مايو ٢٠٠١

سيداتى سادتى

يسعدنى اليوم أن أكون معكم فى مكتبة الإسكندرية الجديدة. . . .

كما أننى بعد هذه الزيارة التفقدية للمكتبة ومكوناتها من قبة سماوية ومتاحف ومعاهد علمية ومركز المؤتمرات (الذى نحن به الآن). . . رأيت أن أحدثكم عن هذه المكتبة التى عقدنا عليها الآمال لتكون مركز إشعاع حضارى مصرى ومنارة للفكر والثقافة والعلوم، ولتضم أفضل ما أنتجه العقل البشرى فى الحضارات القديمة والحديثة. . . . .

وليكون عملنا هذا إحياءً لتراث مكتبة الإسكندرية القديمة التى مازال العالم أجمع يتحدث عنها وعن إسهاماتها فى مختلف مجالات المعرفة. . . . .

اليوم، يتابع العالم جهودنا ويترقب إعادة افتتاح مكتبة الإسكندرية. . .

لماذا كل هذا الاهتمام بمكتبة الإسكندرية؟

أولاً: لأن مكتبة الإسكندرية القديمة، كان ولايزال تراثها من أروع ما أنتجه الإنسان.

فمنذ تأسيسها من ٢٣٠٠ سنة، فى مكاننا هذا، ارتقع صرح ثقافى كبير على أسس أرستها الحضارة المصرية القديمة، وعبر سبعة قرون، كانت مركز الفكر والحضارة فى العالم.

هنا جمعت المعارف من العالم بأسره حتى وصلت إلى ٩٠٠٠٠٠ كتاب (مخطوط)

هنا كان ملتقى كل المفكرين، ومقصد كل طلاب العلم والمعرفة.

هنا وضعت أسس الهندسة والفلك والرياضيات والجغرافيا وعلوم المكتبات.

هنا تمت أول ترجمة للعهد القديم من العبرية إلى اليونانية.

هنا كان ملتقى الحضارات والثقافات والعلوم وكانت مكتبة الإسكندرية أول معهد بحثى فى التاريخ، ضمت متحفاً وأكاديمية، ودعت إلى وحدة المعرفة والمنهج العلمى، ونادت بالتعددية والتسامح والعقلانية... كانت منارة للفكر فى عالم كان يسوده الجهل والشعوذة والحروب....

وبالرغم من مرور ١٦٠٠ سنة تقريبا على اندثار المكتبة إلا أنه لايزال لها فضل كبير يقدره حق قدره العلماء والمفكرون حتى يومنا هذا.

فليس غريبا أن يترقب العالم افتتاح مكتبة الإسكندرية الجديدة....

ولكن ليست القضية إحياء لتراث مهما كان عظيماً أو عودة لماضى مهما كان مجيداً فحسب إنها أيضاً قضية مستقبلية بالدرجة الأولى..... فالعالم يترقب الافتتاح لأن هذه أول مكتبة كبيرة تفتتح فى الألفية الثالثة، وأول مؤسسة من نوعها تبدأ فى عهد الإنترنت وثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فى عهد غلبت فيه السرعة على التأنى وكادت الصورة تقضى على الكلمة المكتوبة.... تقدر الصفحات الموجودة على الإنترنت اليوم بحوالى مليار صفحة ومن المتوقع أنه بحلول عام ٢٠٠٥ سيصل عدد الصفحات إلى ثمانية مليارات صفحة، كيف يتم الفصل بين الغث والنفيس وسط هذا الكم الهائل من المعلومات؟ وما دورنا فى الحفاظ على هويتنا فى ظل التيارات الجارفة للعولمة التى ينقلها الإنترنت؟

هل ستتمكن مكتبتنا الجديدة أن تمتلك هذه التقنيات الحديثة وتطوعها لحاجاتنا، ومن ثم تمكنا من أن نستفيد منها للحصول على المعلومات عن بعد، ومضاعفة

المتاح من المعلومات فوق ما ستحويه المكتبة من مجلدات؟ وأن تستعمل نفس هذه التقنيات لعرض نتاج الإبداع المصرى على الساحة العالمية؟

حتى تتمكن المكتبة من تحقيق مثل هذه القفزة التكنولوجية، ولتأخذ مكانها فى هذا العالم السريع التغير والتقلب، مكانة تليق بمصر وأهميتها، وتتمشى مع مكتبة الإسكندرية وتراثها، علينا أن نستفيد من كل الخبرات المحلية والدولية على أعلى المستويات.

سيداتى سادتى

هذا هو التحدى، وتلك هى أهمية هذا المشروع، الذى أعطيته جل اهتمامى منذ يومه الأول، وضاعفت الجهود من أجل دفعه إلى الأمام.....

ومنذ اجتماع أسوان فى فبراير ١٩٩٠، الذى حضره الملوك والرؤساء وعدد من الشخصيات العالمية بدعوة من رئيس الجمهورية وأقيمت اللجنة الدولية لإحياء مكتبة الإسكندرية، وتشرفت برئاستها، وصدر إعلان أسوان الذى دعا الحكومات والأفراد والمؤسسات كى تسهم فى هذا العمل الكبير، باعتباره مشروعاً فريداً من نوعه يهم المجتمع الدولى بأسره وليس مصر وحدها.....

منذ ذلك الحين وحتى الآن تضافرت جهود الخبراء المصريون والمتخصصون الدوليون فى وضع التصورات والتصميمات ومباشرة التشييد والبناء وتجسيد الحلم فى ذلك المبنى العظيم، الذى يجذب الزوار- حتى قبل الانتهاء من تنفيذه- والذى بلا شك زاد عدد المعجبين والمتشوقين إلى افتتاحه من أجل الرسالة السامية التى علينا أن نحققها من خلال الأنشطة والخدمات التى سنقدمها فى هذه المبانى المبهرة.

لقد وصف بعض الكُتّاب هذا المبنى بأنه «الهرم الرابع».. نعم إنه يستحق هذا الوصف لأنه نتاج جهد العمال المصريين، الذين حفروا الأرض بالإسكندرية ونحتوا الحجر بأسوان، وحققوا المعجزات.. ولا غرابة فهم أحفاد بناة الأهرام التى أعيت الزمن...

إنه يستحق هذا الوصف لأنه رغم ما يبدو عليه من حداثة فى التصميم، استلهم شكله المستدير المائل من قرص الشمس عند الشروق وهو بذلك الرمز يربط نفسه بجذور حضارية عميقة فى تراثنا المصرى كما يشير إلى إطلالة على يوم جديد، وألفية جديدة...

إن مكتبة الإسكندرية بما تمثله من ارتباط بالماضى وُاستشراف للمستقبل سيكون عليها أن تضطلع بدور حضارى فريد، يتركز حول محاور أربعة:

أولا: أن تكون نافذة العالم على مصر

ستصبح المكتبة نافذة العالم على الحضارة المصرية بحقبها المختلفة وما تشتمل عليه من تعدد وعمق ويمثل هذا تحدياً صعباً للمكتبة فيما يختص بتجميع وتصنيف كل ما يتصل بهذه الحضارة من مواد ثقافية وعلمية بالإضافة إلى توفير هذه المواد لطالبيها بطريقة سهلة وعصرية.

ولا يعنى هذا أننا بالضرورة سنجمع كل ما لدينا من كتب ومخطوطات ونضعها فى هذا المكان... بل سنضيف على ما سيتواجد على رفوف المكتبة من مجلدات بالارتباط المباشر بالإنترنت مع دار الكتب ومكتبة الأزهر مثلا حيث توجد صور رقمية لعشرات الألوف من المخطوطات.

ثانياً: أن تكون نافذة مصر على العالم

يجب أن تكون المكتبة هى الجهة الأولى التى يتوجه إليها طلاب العلم فى مصر للتعرف على ثقافات العالم الخارجى وحضاراته وعلومه وبصفة خاصة حضارات وثقافات منطقة حوض البحرالمتوسط.

ومن ثم ستكون من الاهتمامات الأولى لمجلس أمناء المكتبة رسم سياسة لاقتناء الكتب وتحديد أولويتها وتحقيق التوازن المناسب من حيث التغطية الجغرافية والزمنية لما توفره المكتبة لروادها والمتعاملين معها.

ثالثا: أن تكون مكتبة العصر الرقمى الجديد

إننا نأمل أن تكون مكتبة الإسكندرية مؤسستنا الرائدة فى التعامل مع هذه

الثورة المعلوماتية الكبيرة وأن تتمكن المكتبة من الربط بين كل الجهود الكبيرة المبذولة من قبل المؤسسات التعليمية الرائدة فى العالم مثل مكتبة الكونجرس وغيرها وتسهل الوصول مباشرة بكفاءة وفعالية إلى معظم الموارد الإلكترونية للمعلومات المنتشرة فى جميع أرجاء العالم كما يجب أن تسهم المكتبة فى تلك التطورات حتى يتمكن طلاب العلم من الإطلاع على النتاج الفكرى المصرى بعرض المكتبة له فى المحيط الإلكترونى.

وستوفر الثورة الرقمية الجديدة وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فرصاً هائلة للدول النامية مثل مصر لتحديث طريقة استثمار الموارد البشرية بها ولفتح آفاق جديدة لطلبة الجامعات لمواكبة العصر وتطوراته. ومن هنا يأتى دور مكتبة الإسكندرية فى التعاون مع منظومة كاملة تضم المؤسسات التعليمية والثقافية -وخاصة التعليم العالى والبحث العلمى -فى مصر والمنطقة بأسرها.

كما أرى أن مكتبة الإسكندرية ستكون أداة لتطوير سبل التعاون والتواصل بين الوكالات الدولية والدول الأخرى عن طريق مشروعات جديدة تعود بالفائدة على جميع الأطراف فى حقول التعليم والبحوث، مثل التعليم عن بعد والمشاركة فى استعمال قواعد البيانات الرقمية، وغير ذلك من المشروعات.

رابعاً: أن تكون مركز للتعليم والحوار

وأخيراً وليس آخراً، ستكون مكتبة الإسكندرية مركز إشعاع للفكر ومنتدى للنقاش والحوار فى كل ما يتعلق بالفكر والعلوم والفنون والثقافة وملتقى بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وبذلك، فدور المكتبة هو تشجيع الحوار بين الحضارات وليس التصادم بين الثقافات.

إننى أتوقع أن يتجسد هذا المحور فى ندوات ومحاضرات ومطبوعات عديدة حول الآتى:

- العلوم: وبصفة خاصة أخلاقيات البحث العلمى والتطبيقات التكنولوجية الجديدة.

-العلوم الإنسانية: وبصفة خاصة قضايا التراث وأملى أن يكون من أول ما تنتجه المكتبة مرجعاً عالمياً عن مكتبة الإسكندرية القديمة ودورها الحضارى العظيم.

-الفنون والثقافة: بإقامة المعارض بالإضافة إلى البحث والنقد.

-التنيمة : فإن قضايا التنمية هى قضايا العصر كله.

الآن قد انتقلت المهمة من الإنشاء والبناء والتجهيز إلى إرساء القواعد المؤسسية ووضع الأنظمة المناسبة لتمكين المكتبة من تحقيق رسالتها.

سيداتى سادتى

فى ظل كل هذه التحديات، كان ضرورياً أن تحظى المكتبة بالوضع القانونى والنظام الإدارى الذى يتناسب مع دورها كمؤسسة مصرية ذات رسالة عالمية، ولذلك صدر القانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١ الذى حدد أهداف المكتبة ومكوناتها، وجعل تبعيتها لرئيس الجمهورية مباشرة، ثم تحدد لها مجلسان، وهما:

أولاً: مجلس للرعاة... الذى حل محل اللجنة الاستشارية الدولية التى أصدرت إعلان أسوان سنة ١٩٩٠.... ومازالت الاتصالات جارية لتشكيل المجلس ومن المتوقع أن يكون بين أعضائه رئيس جمهورية فرنسا وملكة أسبانيا.. ونأمل أن نعلن عن اكتمال تشكيله قريباً[١].

ثانياً: مجلس الأمناء... وهو مكون من عدد من كبار الشخصيات العالمية من ذوى المكانة العلمية أو الخبرة الدولية من المصريين وغير المصريين، حتى يتسنى للمكتبة الاستفادة من خبراتهم العلمية- والفنية، والانتفاع من اتصالاتهم الواسعة والاستئناس برؤيتهم المتميزة، لتنفيذ برنامجها الطموح لخدمة مصر والعالم، ولتحقيق رسالتها الإنسانية السامية.

وعند اطلاعكم على السير الذاتية لأعضاء المجلس سيتبين لكم مدى تفرد هذا المجلس من حيث التنوع الثقافى والجغرافى والريادة الفكرية وشمول التجربة

(١) أنظر تشكيل المجلس فى ملحق ٧ من هذه الدراسة.

وتميز الخبرة ومن بين أعضاء المجلس شخصيات مصرية وعربية بارزة إلى جانب وزراء التعليم العالى والثقافة والخارجية ومحافظ الإسكندرية ورئيس جامعة الإسكندرية بصفتهم الرسمية.

ويسعدنى أيضا أننا وفقنا فى اختيار مدير للمكتبة وهو شخصية مصرية تجمع بين الخبرة الدولية الواسعة والمكانة العالمية المرموقة، وهو الدكتور إسماعيل سراج الدين، وهو معروف لديكم جميعاً.

فإلى جانب ما يحظى به من سمعة عالمية وثقة دولية فإنه يحظى أيضا بثقتى الشخصية وثقة المسئولين هنا فى مصر على أعلى المستويات للقيام بهذا الدور المهم.

وقد تقرر أن يكون الافتتاح الرسمى للمكتبة فى ٢٣ أبريل المقبل باعتباره اليوم العالمى للكتاب، وما أنسب الاحتفال بالمكتبة فى ذلك اليوم العظيم، ليواكب احتفالنا احتفالات أخرى فى شتى أنحاء العالم، سيرتبط بعض منها باحتفال الإسكندرية إلكترونيا.

ولكن المكتبة ستفتح أبوابها لرواد العلم من الخريف، وستعقد فيها مؤتمرات علمية وندوات ثقافية منذ أكتوبر المقبل، حيث سيعقد المؤتمر العالمى عن «التكنولوجيا الحيوية والتنمية» من ١٥ -١٧ أكتوبر بإذن الله، وستعقبه نشاطات أخرى كثيرة.

ولكننا أردنا أن يشاركنا العالم فى الاحتفال بالمكتبة على عدة مستويات وكم تلقينا من عروض واقتراحات للاحتفال من مصر ومن شتى أنحاء العالم، فرأينا أن نشرك هذه الجهات فى الاحتفال، قابلين العطاء كوسيلة للإسهام فى إثراء الحياة الثقافية بالإسكندرية، إنطلاقا من المكتبة ومؤسساتها فى فترات مختلفة طيلة عام كامل، إبتداءاً بالمؤتمر العلمى عن التكنولوجيا الحيوية فى أكتوبر وإنتهاءاً بمؤتمر عن «التنمية وعمالة الشباب» فى سبتمبر ٢٠٠٢، يتوسطها الاحتفالية الكبيرة يوم ٢٣ أبريل وهو اليوم العالمى للكتاب.

ولاشك أن كل هذا سيقوى من دور المكتبة كملتقى لرواد الفكر والعلم والفن والثقافة من العالم أجمع، مع كل ما فى ذلك من مكاسب لأبنائنا. . ولكننى أرى أنه من المهم أن يكون للمكتبة جذورها فى مصر وحضارتها، وأن يشارك أهل الفكر والرأى فى مصر فى تحديد معالم مسيرتها، ولذا سعدت حقا بأن يقوم المجتمع المدنى بإنشاء «الجمعية المصرية لأصدقاء مكتبة الإسكندرية» التى يشارك أعضاؤها مع «الهيئة القبطية الإنجلية للخدمات الاجتماعية» بتنظيم ندوة حول «دور مكتبة الإسكندرية فى دعم الحوار والتسامح» وكم كنت أود أن أشارك فى أعمال هذه الندوة، ولكننى سأتابع نتائجها باهتمام، كما أنى واثقة تماما أن الدكتور إسماعيل سراج الدين سيمثل المكتبة وإدارتها خير تمثيل. . كما أننى واثقة أن هذه الندوة ستكون بداية للعديد من اللقاءات الدولية والمحلية والتى نريد للمكتبة أن تستقبلها. .

وأرجو أن تكون إحدى هذه الندوات عن مستقبل مدينة الإسكندرية، عروس البحر الأبيض المتوسط بمكتبتها الجديدة ومؤسساتها العريقة. .

سيداتى، سادتى

إننا اليوم فى نهاية تفقدنا للمكتبة ومكوناتها، نريد أن يكون هذا اللقاء إعراباً عن انتقال من مرحلة إلى أخرى. . . ننتقل من مرحلة البناء إلى مرحلة الأنشطة والأعمال والتحرك فى شتى مجالات العلم والمعرفة والثقافة والفن، لتكون مكتبة الإسكندرية الجديدة، كما كانت مكتبة الإسكندرية القديمة، منارة للفكر، وملتقى لحوار الأمم والحضارات، ومركزً للبحث والتوثيق، ومفخرة لمصر والعالم أجمع.

والله ولى التوفيق.

* * *

ملحق (٤)

قانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١ بشأن مكتبة الإسكندرية

باسم الشعب

رئيس الجمهورية .

قرر مجلس الشعب القانون الآتى نصه، وقد أصدرناه

(المادة الأولى)

مكتبة الإسكندرية شخص اعتبارى عام مقره الإسكندرية يتبع رئيس الجمهورية، وهو مركز إشعاع حضارى مصرى، ومنارة للفكر والثقافة والعلوم، وتضم ما أنتجه العقل البشرى فى الحضارات القديمة والحديثة بجميع اللغات.

(المادة الثانية)

تتكون مكتبة الإسكندرية من المكتبة والقبة السماوية، ومركز المؤتمرات، وتنشأ بها المراكز الثقافية والعلمية الآتية:

١- معهد دولى للدراسات المعلوماتية

٢- مركز للتوثيق والبحوث.

٣- متحف للعلوم.

٤- معهد للخطوط.

٥- متحف للمخطوطات.

٦- مركز للحفاظ على الكتب والوثائق النادرة.

ويجوز بقرار من رئيس الجمهورية إنشاء أو إضافة مراكز ثقافية وعلمية أخرى.

ويحدد رئيس الجمهورية بقرار منه النظام القانونى للمراكز المشار إليها فى هذه المادة.

(المادة الثالثة)

تباشر المكتبة جميع الأعمال والتصرفات المحققة لرسالتها، وتتخذ ما يتصل بذلك من إجراءات ومنها:

١- الحصول على الدراسات والكتب والدوريات والمخطوطات والبرديات وغيرها، مما له صلة بالحضارة المصرية فى مختلف عصورها، وبالتراث العلمى والفكرى والثقافى لدول العالم.

٢- جمع أصول أو صور المخطوطات المعبرة عن الإنجازات الفكرية للعالم العربى والإسلامى باللغات القديمة والحديثة.

٣- جمع ما يتصل بالسير الذاتية وبإنجازات أهل الفكر والعلم والسياسة والدين فى التاريخ الإنسانى.

٤- إجراء الدراسات المتصلة بالأصول التاريخية والجغرافية والثقافية والدينية لمنطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط ولمدينة الإسكندرية بصفة خاصة.

(المادة الرابعة)

يحدد رئيس الجمهورية بقرار منه أساليب الإشراف على المكتبة وإدارتها وتصريف شئونها المالية والإدارية وذلك على النحو الذى يتفق مع طبيعة نشاط المكتبة ويمكنها من تحقيق رسالتها، ودون التقيد بنظم الإدارة المنصوص عليها فى أى قانون آخر.

(المادة الخامسة)

تتكون مصادر تمويل المكتبة ومواردها من:

١- الاعتمادات التى تخصصها لها الدولة.

٢- الإعانات والتبرعات والهبات والوصايا والإسهامات المالية الداخلية والخارجية.

٣- القروض التى تعقد لصالح المكتبة.

٤- مقابل الخدمات التى تؤديها المكتبة وعائد استثمار أموالها.

٥- الموارد الأخرى التى تقرر للمكتبة طبقاً للقانون.

(المادة السادسة)

تكون للمكتبة موازنة مستقلة، وتبدأ السنة المالية للمكتبة ببداية السنة المالية للموازنة العامة للدولة وتنتهى بنهايتها.

ويكون للمكتبة حساب خاص فى البنك المركزى المصرى أو فى أحد البنوك التجارية بموافقة وزير المالية تودع فيه حصيلة مواردها، ويرحل فائض هذا الحساب من سنة مالية إلى أخرى.

(المادة السابعة)

تعفى المكتبة وأجهزتها فى حدود أغراضها، من الضرائب العامة على فوائضها وإيرادات نشاطها الجارى، ومن رسوم الشهر والتوثيق، كما يعفى ما تستورده المكتبة من المستلزمات العلمية من الضرائب الجمركية.

(المادة الثامنة)

يستمر العمل بقرار رئيس الجمهورية رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨ بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية فيما لا يتعارض مع أحكام هذا القانون لحين صدور قرار رئيس الجمهورية المنصوص عليه فى المادة الرابعة من هذا القانون.

وتؤول إلى المكتبة أصول وحقوق والتزامات الهيئة الملغاة.

(المادة التاسعة)

ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية، ويعمل به من اليوم التالى لتاريخ نشره.

يبصم هذا القانون بخاتم الدولة، وينفذ كقانون من قوانينها.

صدر برئاسة الجمهورية فى ١٧ ذى الحجة سنة ١٤٢١هـ

(الموافق ١٢ مارس سنة ٢٠٠١م)

حسنى مبارك

* * *

ملحق (٥)

قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٧٦ لسنة ٢٠٠١ بشأن مكتبة الإسكندرية

قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٧٦ لسنة ٢٠٠١ بشأن تنظيم الإشراف على مكتبة الإسكندرية وطريقة إدارتها وتصريف شئونها المالية والإدارية.

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور وعلى القانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١ بشأن مكتبة الإسكندرية وبعد موافقة مجلس الوزراء قرر:

مادة (١)

مكتبة الإسكندرية شخص اعتبارى عام مقره مدينة الإسكندرية يتبع رئيس الجمهورية

مادة (٢)

إدارة مكتبة الإسكندرية

يتولى إدارة مكتبة الإسكندرية:

(أ) مجلس الرعاة.

(ب) مجلس الأمناء.

(جـ) مدير المكتبة.

مادة (٣)

مجلس الرعاة

يتكون مجلس الرعاة من عدد من كبار الشخصيات من مختلف دول العالم لا

يقل عن ثمانية ولا يزيد على أربعة وعشرين عضواً يتم اختيارهم بدعوة من رئيس الجمهورية على أن يكون من بينهم رئيس منظمة اليونسكو.

ويتولى رئاسة المجلس رئيس الجمهورية أو من يختاره لهذا الغرض، كما يتولى وزير التعليم العالى أمانة المجلس.

ويختص المجلس بدعم ومتابعة نشاط المكتبة وإسداء ما يراه من توجيه فى هذا الشأن ويعقد اجتماعاً كل ثلاث سنوات بدعوة من رئيسه.

مادة (٤)

مجلس الأمناء

يتكون مجلس الأمناء من عدد من الشخصيات العامة من ذوى الشخصيات العامة العلمية أو الخبرة الدولية من المصريين وغير المصريين لا يقل عن خمسة عشر ولا يزيد على ثلاثين عضواً من بينهم خمسة أعضاء من الحكومة المصرية بصفاتهم الرسمية وهم وزير التعليم العالى، ووزير الثقافة، ووزير الخارجية، ومحافظ الإسكندرية، ورئيس جامعة الإسكندرية.

ويتولى رئيس مجلس الرعاة رئاسة مجلس الأمناء ويختار من بين أعضائه من يحل محله فى حالة غيابه.

ويتم تعيين أول مجلس للأمناء بقرار من رئيس الجمهورية، وتكون مدة عضوية أعضاء هذا المجلس من غير المعينين بصفاتهم الرسمية سنتين تجدد بعدها عضوية الثلث كل سنة.

ويتم تعيين أعضاء مجلس الأمناء من غير المعينين بصفاتهم ـ بخلاف المجلس الأول ـ بقرار من مجلس الأمناء بناء على ترشيح من أحد أعضائه وتكون مدة العضوية فى هذه الحالة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة.

مجلس الأمناء هو السلطة المهيمنة على شئون المكتبة ويتولى رسم السياسة العامة لإدارتها والتخطيط لأنشطتها وإقرار لوائحها المالية والإدارية.

ويجتمع مجلس الأمناء مرة كل سنة، وله أن يعقد اجتماعات استثنائية بدعوة من الرئيس أو بناء على طلب من نصف الأعضاء على الأقل.

ويكون اجتماع مجلس الأمناء صحيحاً إذا حضره أغلبية الأعضاء على الأقل، وتصدر القرارات بأغلبية أصوات الحاضرين وعند التسواى يرجح الجانب الذى منه الرئيس.

وللمجلس أن يكون من بين أعضائه لجاناً يسند إليها القيام بمهمة محددة أو إجراء بحوث أو دراسات معينة.

وتتحمل المكتبة نفقات وبدلات حضور الاجتماعات لأعضاء مجلس الأمناء واللجان المنبثقة عنه.

مادة (٥)

مدير المكتبة

يعين مجلس الأمناء مدير المكتبة لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد ويحدد مخصصاته المالية، ويصدر بذلك قرار من المجلس بأغلبية ثلثى الأعضاء الحاضرين، ويشترط فى المرشح أن يتمتع بمكانة دولية مرموقة وثقافة واسعة وأن يكون من ذوى الكفاءة الإدارية والخبرة الفنية.

ويكون مدير المكتبة الرئيس التنفيذى لها، ويناط به تنفيذ السياسة التى وضعها مجلس الأمناء، ويعد جدول أعمال اجتماعات المجلس، وله حق حضور جلساته دون أن يكون له صوت معدود فى المداولات.

ويرأس مدير المكتبة جهاز العاملين ويصدر قرارات تعيينهم وترقيتهم وإنهاء خدمتهم، وفقاً لأحكام القانون الذى يخضعون له.

ويكون مدير المكتبة هو الممثل القانونى لها أمام القضاء وفى صلاتها بالغير.

مادة (٦)

اللوائح المالية والإدارية ولائحة العاملين بالمكتبة

يعد مدير المكتبة لوائحها المالية والإدارية ولائحة العاملين بها على النحو الذى

يتفق مع طبيعة نشاط المكتبة ويمكنها من تحقيق رسالتها دون التقيد بنظم الإدارة المنصوص عليها فى القوانين الأخرى، وتعرض هذه اللوائح على مجلس الأمناء لاعتمادها.

وتكون لائحة العاملين بعد إقرارها هى النظام القانونى الذى يحكم علاقة العاملين بالمكتبة.

مادة (٧)

الميزانية ومراقبو الحسابات

يكون للمكتبة ميزانية مستقلة، ويرحل فائض الميزانية من سنة إلى أخرى.

ومع عدم الإخلال برقابة الجهاز المركزى للمحاسبات، يعين مجلس الأمناء مراقبى الحسابات الخارجيين، ويتلقى المجلس تقاريرهم.

مادة (٨)

ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية، ويعمل به اعتباراً من تاريخ نشره.

حسنى مبارك

* * *

ملحق (٦)

راعية المشروع

السيدة سوزان مبارك قرينة السيد رئيس الجمهورية

البيانات الشخصية:

-ولدت فى المنيا بمصر.

- متخصصة فى علم الاجتماع.

- لها ابنان وحفيدان.

التعليم:

-درجة الماجستير فى علم الاجتماع التربوى من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٨٢ ، وكان موضوع الرسالة «بحث فى العمل الاجتماعى فى حضر مصر: دراسة حالة فى رفع مستوى المدرسة الابتدائية فى بولاق».

- بكالوريوس فى العلوم السياسية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٧٧ .

- دبلوم الثانوية الأمريكية من مدرسة سانت كلير الجديدة بالقاهرة.

الأنشطة الدولية والإقليمية:

-المتحدثة الرئيسية ورئيسة الوفد المصرى فى:

- المؤتمر العالمى للأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلام وهو المؤتمر الذى عقد فى نيروبى بكينيا عام ١٩٨٥ .

- «الندوة الدولية حول كتاب الطفل» عقدت بالقاهرة فى نوفمبر ١٩٨٦ ورئيسة شرف الندوة.

- الاجتماع الإقليمى العربى حول تأسيس المجلس العربى للأطفال والتنمية عقد فى عمان بالأردن فى أبريل ١٩٨٧.

- «مؤتمر حول الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل» عقد فى لينيانوسابيادورو بإيطاليا فى سبتمبر ١٩٨٧.

- «المؤتمرالثالث والعشرون للاتحاد الدولى للناشرين» عقد فى لندن فى يونيو ١٩٨٨.

- «مؤتمر حول الاتفاقية المستقبلية للأمم المتحدة لحقوق الطفل» عقد فى الإسكندرية فى نوفمبر ١٩٨٨.

- «دورة عام ١٩٨٩ للمجلس التنفيذى لليونيسيف» عقدت فى نيويورك فى أبريل ١٩٨٩.

- «ندوة حول المرأة والتنمية الاجتماعية: الماضى والحاضر والمستقبل» والتى نظمها المجلس القومى الأمريكى للنساء السود بمدينة القاهرة فى يوليو ١٩٨٩.

- «المؤتمر الإقليمى الإفريقى الرابع حول المرأة والتنمية» عقد فى نيجيريا فى نوفمبر ٨٩.

- «المؤتمر العالمى حول الاستعداد لتغيير المناخ» عقد فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٨٩.

- «اللجنة الدولية لإحياء مكتبة الإسكندرية» اجتمعت فى أسوان فى فبراير ١٩٩٠ وفى الإسكندرية فى أبريل ١٩٩٢ رئيسة شرف اللجنة.

- «المؤتمر الدولى لمجلس كتب الشباب» عقد فى مدينة ويليا فربرج بولاية فيرجينيا الأمريكية فى سبتمبر ١٩٩٠.

- «القمة العالمية للأطفال» عقدت فى مقر الأمم المتحدة بنيويورك فى سبتمبر ١٩٩٠.

- «حلقة البحث الدولية لمنظمة الصحة العالمية حول الصحة كشرط للتنمية الاقتصادية» والتى عقدت فى أكرا بغانا فى ديسمبر ١٩٩١.

- «قمة التقدم الاقتصادى للمرأة الريفية» عقدت بمقر الأمم المتحدة بجنيف فى فبراير ١٩٩٢.

- «الدورة الثانية للمجلس الخاص والرفيع المستوى للأمم المتحدة والمختص بدراسة طرق ووسائل الكوارث الطبيعية» عقدت فى نيويورك فى يناير ١٩٩٣.

- «حلقة القاهرة للسيدات الأوليات فى أفريقيا لبحث حالة المرأة والطفل فى أفريقيا» عقدت فى القاهرة فى يونيو ١٩٩٣ رئيسة حلقة البحث.

- «مجموعة عمل منظمة الصحة العالمية لسياسات الصحة والتنمية» عقدت فى جنيف فى يونيو ١٩٩٤.

- «مؤتمر الأمم المتحدة الدولى حول السكان والتنمية منتدى للمنظمات غير الحكومية» عقد بالقاهرة فى سبتمبر ١٩٩٤.

- «احتفال جامعة سوكا بطوكيو فى أبريل ١٩٩٥».

- «اجتماع جامعة الأمم المتحدة بطوكيو فى أبريل ١٩٩٥».

- «مؤتمر الروتارى الدولى السنوى العام» بمدينة نيس فى يونيو ١٩٩٥.

- «مؤتمر الأمم المتحدة الدولى الرابع حول المرأة» عقد فى بكين فى سبتمبر ١٩٩٥.

- حاضرت بكلية سانت أنتونى بجامعة أكسفورد حول موضوع «السلام والتنمية والمرأة فى مصر».

الجوائز الدولية:

- قرر المجلس التنفيذى لمنظمة اليونيسيف عام ١٩٨٩ منح السيدة سوزان مبارك أرفع جوائزه وهى جائزة موريس بيث وذلك اعترافاً بتفانيها وجهودها لبقاء وحماية وتنمية الطفل.

– منحت أعلى جائزة فى عام ١٩٨٩ من المركز الدولى للتأهيل لخدماتها البارزة ومساندتها للأطفال ذوى العاهات.

– منحت جائزة فولبرايت الشرقية عام ١٩٩٢ اعترافًا بجهودها فى مجال تنمية وتربية الطفل.

– منحت مؤسسة «معاً من أجل السلام» السيدة سوزان مبارك جائزة أنريك ديلا ماتا الدولية للسلام اعترافاً بتفانيها فى تشجيع تنمية الطفل ورفع المعاناة عن ضحايا الكوارث الطبيعية.

– منحت مؤسسة الروتارى الدولية السيدة سوزان مبارك زمالة بول هاريس تقديراً لمساندتها الملموسة والمتميزة لتحقيق تفاهم أكبر وتعزيز علاقات الصداقة بين شعوب العالم.

– منحت منظمة الصحة العالمية السيدة سوزان مبارك «الميدالية الذهبية للصحة من أجل الجميع» وهى أعلى جائزة للامتياز تمنحها المنظمة وذلك فى يونيو ١٩٩٤ للتعبير عن اعترافها بإسهامات سيادتها البارزة لتحسين نوعية حياة المرأة والطفل فى مصر ولإلتزامها الشخصى بالجهود الدولية التى تستهدف إدماج الصحة فى عملية التنمية.

– منحت السيدة سوزان مبارك الجائزة الدولية للكتاب من اللجنة الدولية للكتاب فى أبريل ١٩٩٥ اعترافاً بجهودها البارزة لنشر القراءة فى ربوع مصر.

–منحت جامعة سوكا اليابانية السيدة سوزان مبارك جائزة الشرف الأولى فى أبريل ١٩٩٥.

– منحت كلية ويستمنيستر فى نيو ويلمنجتون درجة الدكتوراة فى القانون للسيدة سوزان مبارك اعترافاً بإنجازاتها البارزة لصالح الشعب المصرى وفى مجالات تحظى بالتقدير العالى للمجتمع الدولى.

–منحت المنظمة الأمريكية للكتاب العالمى جائزة النشر للسيدة سوزان مبارك

اعترافاً بدورها فى مجال نشر الكتب وجهودها فى دعم حملة القراءة للجميع.

- منحت السيدة سوزان مبارك جائزة اتحاد الناشرين العرب تقديراً لجهودها فى تشجيع ونشر الأدب العربى وذلك بمدينة القاهرة عام ١٩٩٦.

-منحت منظمة اليونسكو عام ١٩٩٧ أرفع جوائزها وهى «ميدالية ابن سينا» للسيدة سوزان مبارك تقديراً لدورها فى تشجيع الأنشطة الثقافية فى مصر.

- منحت «جائزة التسامح» من الأكاديمية الأوروبية للعلوم والفنون فى مدينة سالزبروج عام ١٩٩٨.

- منحت درجة الأستاذ المستشار من جامعة شنغهاى فى أبريل ١٩٩٨.

- منحت درجة الدكتواره الفخرية من جامعة إيوا بمدينة سول بكوريا لجهودها فى تشجيع تعليم المرأة والتنمية الاجتماعية فى مصر وذلك فى أبريل ١٩٩٩.

- منحت جائزة الروتارى لجهودها فى مكافحة شلل الأطفال فى يونيو ١٩٩٩.

- منحت درجة الدكتوراه الفخرية فى الآداب الإنسانية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة فبراير ٢٠٠٠.

- منحت درجة الدكتواره الفخرية من الجامعة الأمريكية بأسبانيا فى فبراير ٢٠٠٠ تقديراً لجهودها البارزة فى الميدان الاجتماعى فى مصر.

الخدمات الاجتماعية

-مؤسسة ورئيس مجلس إدارة جمعية الرعاية المتكاملة التى أسست عام ١٩٧٧ كجمعية لا تستهدف الربح، وهدف الجمعية الرئيسى هو تقديم الرعاية الاجتماعية والثقافية والصحية لتلاميذ المدارس. ولجمعية الرعاية المتكاملة أنشطة ذات نوعيات مختلفة وهى:

- تأتى فى مقدمة هذه النوعيات من الأنشطة إنشاء مكتبات الأطفال فى كل

أنحاء مصر ويندرج تحت هذا النوع من النشاط مساعدة ودعم مكتبات المدارس الحكومية وتملك المكتبات المتنقلة والمحمولة.

- من الأهداف طويلة الأجل لهذا المشروع تشجيع وتنمية عادة القراءة على مدى الحياة.

- فى عام ١٩٨٥ بدأ تنفيذ برنامج للتدريب المكثف لأعضاء طاقم الإدارة فى المكتبات ومسئولى الأنشطة بها، وقام بتنفيذ هذا البرنامج خبراء وطنيون ودوليون متخصصون فى علم المكتبات الخاصة بالأطفال.

- فى يونيو ١٩٩١ بدأت السيدة سوزان مبارك حملة قومية لبرنامج «القراءة للجميع» ونتج عن هذه الحملة قيام حركة قومية تركز على تنمية القراءة بين الأطفال والشباب والكبار.

- تشجيع الجمعية القيام بخدمات فى المجتمعات الصغيرة اعتماداً على المشاركة الشعبية ومن بين هذه الخدمات مراكز الصحة المتعددة الأغراض الواقعة فى المناطق المضغوطة والمحرومة والتى تقدم الخدمات الصحية ومنها البرامج المشتركة لتنظيم الأسرة ورفع مستوى التعليم المهنى من خلال برامج التربية خلال مرحلة ما قبل المدرسة وأنشطة أخرى.

- هناك نوع آخر من أنشطة المجتمعات الصغيرة وهو أندية الأطفال والأنشطة الثقافية والترويحية الموجهة للأطفال والشباب.

- قامت الجمعية بعد الزلزال الذى ضرب مصر عام ١٩٩٢ برعاية مشروع رائد لخدمة أحد المجتمعات الصغيرة فى عين حلوان وذلك بتقديم المساعدة والمساندة لضحايا الزلزال.

- قامت الجمعية بمساعدة هيئة الصحة العالمية واليونيسيف برعاية مشروع تنمية أحد المجتمعات الصغيرة فى منطقة محرومة، وقد تركز العمل فى هذا المشروع على رعاية صحة جماعات معرضة للأمراض وعلى تشجيع برامج التعليم المهنى للنساء واستحداث أنشطة تدر دخلاً مالياً، ولقد اعتمد هذا المشروع على المشاركة

الشعبية لإحداث تغيير فى هذا المجتمع الصغير وللإسهام فى تحقيق نوعية ومستوى أفضل للحياة.

- مشروع دولى آخر عكس اهتمام الجمعية للتعاون مع المجلس الدولى لكتب الشباب. فقد أنشأت مصر فرعاً لهذا المجلس على أرضها ترأسه السيدة سوزان مبارك وقام هذا الفرع بدعم نشاط لتأليف كتب للأطفال وترجمة أمهات الكتب العالمية لهم، كما قامت الجمعية برعاية تنظيم ندوة وطنية حول كتب الأطفال بالتعاون مع المجلس الدولى لكتب الشباب واليونسكو واليونيسيف.

الأنشطة الاجتماعية الأخرى:

- مؤسسة ورئيس مجلس إدارة جمعية تنمية خدمات المجتمع فى مصر الجديدة، وقد قامت الجمعية برفع مستوى مستشفى عام والارتقاء بخدماتها، وأنشأت العديد من المكتبات العامة للكبار والأطفال وأسهمت فى إنشاء «متحف سوزان مبارك للأطفال» فى مصر.

- مؤسسة ورئيسة مجلس إدارة الجمعية المصرية للطفولة والتنمية وهى منظمة غير حكومية أنشأت أساساً لتشجيع مشاركة القطاع الخاص فى مجال تنمية الطفل، وبعد زلزال أكتوبر ٩٢ بدأت الجمعية حملة واسعة استهدفت إعادة بناء وترميم المدارس المهدمة واتخذت الحملة عنواناً هو «مشروع مائة مدرسة جديدة»، ولما كان من بين أهداف الجمعية بالتعاون مع وزارة التعليم برعاية الندوة الأولى فى هذا المجال خلال فبراير ١٩٩٣.

- صاحبة المبادرة ومؤسسة مركز أدب الطفل المصرى للتوثيق والبحوث والمعلومات وهو أول مركز مرجعى لأدب الطفل فى العالم العربى، والغرض الأساسى من هذا المركز هو تجميع كل المواد المتعلقة بأدب الطفل فى مصر وعلى المستوى الدولى وبخاصة ما يتصل منها بالمعلومات والتوثيق والخدمات المرجعية.

- مؤسسة متحف التاريخ الطبيعى للأطفال فى مصر والذى يحمل اسم «متحف سوزان مبارك للطفل»، وقد تم افتتاحه فى يونيو ١٩٩٦.

والمتحف عبارة عن مركز تعليمى وترويحى يقدم المعلومات والخدمات التى تكمل التعليم المدرسى الرسمى ويهدف إلى تعريف الأطفال المصريين بالظواهر التاريخية الطبيعية وعلاقتها بالبيئة الطبيعية الثقافية المصرية، ويهدف المتحف أيضاً إلى رفع مستوى الفهم وحب الطبيعة والاهتمام بحمايتها والحفاظ عليها لدى زواره.

- رئيس المجلس الاستشارى للمجلس القومى للطفولة والأمومة.

- رئيس اللجنة المصرية القومية للمرأة ورئيسة المؤتمر القومى الأول والثانى للمرأة فى يونيو ١٩٩٤ وأبريل ١٩٩٦.

- صاحبة المبادرة فى القانون الموحد للطفل (مايو ١٩٩٦) وهو بشكل أساسى تجميع للتشريعات المتعلقة بقضايا الطفل فى القانون المصرى، إنه قانون شامل لحقوق كل الأطفال وبخاصة أطفال الشوارع والمشردين والأطفال الذين يتعرضون لسوء المعاملة والاستغلال.

- رئيس القسم المصرى للمجلس الدولى لكتب الشباب والذى يعمل على الارتقاء بمستوى الأدب وجودة المطبوعات الخاصة بالأجيال الصغيرة والشابة.

- رئيس الجمعية المصرية للهلال الأحمر وصاحبة المبادرة فى الحملة القومية للنقل الآمن للدم وهى الحملة التى وجهت لصالح طبقات المجتمع الأكثر عرضة للإصابة بالدم الملوث، وتقدم الجمعية أيضاً المساعدات الإنسانية على المستويين المحلى والدولى (وتم ذلك مؤخراً إلى السودان وتركيا والبوسنة حيث أقامت الجمعية ملجأ للأطفال اليتامى ومكتبة فى مدينة موستار فى أغسطس ١٩٩٩).

- نائب رئيس الكومست COMEST.

-رئيس المجلس القومى للمرأة الذى تم إنشاؤه فى فبراير ٢٠٠٠.

* * *

ملحق (٧)

أعضاء مجلس أمناء مكتبة الإسكندرية

يتكون مجلس أمناء مكتبة الإسكندرية الذى ترأسه السيدة سوزان مبارك قرينة رئيس الجمهورية، من اثنين وعشرين عضواً بصفتهم الشخصية بالإضافة إلى خمسة أعضاء بصفتهم الرسمية وهم وزراء التعليم العالى، والثقافة، والخارجية، ومحافظ الإسكندرية، ورئيس جامعة الإسكندرية بجمهورية مصر العربية.

الأعضاء المختارون بصفتهم الشخصية هم (حسب الترتيب الأبجدى):

أحمد كمال أبو المجد (مصر)

تلقى الدكتور أبو المجد تعليمه الجامعى بكلية الحقوق، جامعة القاهرة ثم فى جامعة ميتشجان فى آن أربر بالولايات المتحدة الأمريكية. ولقد شغل عدة مناصب جامعية منها أستاذ القانون العام والقانون الدستورى بجامعة القاهرة، وعميد كلية الحقوق بجامعة الكويت وهو عضو أكاديمية البحث القانونى الإسلامى بجامعة الأزهر، كما شغل العديد من المناصب الحكومية المهمة منها المستشار الثقافى لمصر بالولايات المتحدة الأمريكية.

وعمل د. أبو المجد وزيراً للشباب ثم وزيراً للإعلام (١٩٧٢-١٩٧٥) لجمهورية مصر العربية. وتولى الدكتور أبو المجد منصب المستشار القانونى والدستورى لولى عهد الكويت ورئيس وزرائها فيما بين ١٩٧٩-١٩٨٥.

يشغل حالياً منصب قاضٍ (رئيس سابقاً) بالمحكمة الإدارية للبنك الدولى بواشنطن العاصمة، ويزاول الدكتور أبو المجد الآن مهنة المحاماة وهو من كبار المحامين أمام المحكمة الدستورية العليا بمصر. ويعد د. أبو المجد من كبار المفكرين على المستويين العربى والإسلامى.

أحمد زويل (مصر)

حاصل على جائزة نوبل فى الكيمياء عام ١٩٩٩ ولد د. زويل فى ٢٦ فبراير ١٩٤٦. وحصل على درجة البكالوريوس والماجستير من جامعة الإسكندرية، والدكتوراه من جامعة بنسلفانيا. يعمل حالياً أستاذاً (كرسى لينوس بولينج) فى الكيمياء وأستاذاً فى الفيزياء بمعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا (كالتك)، كما يعمل مديراً لمعمل «إن إس إف» للعلوم الجزيئية. ولقد حصل د. زويل على العديد من الدرجات الفخرية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وجامعة أكسفورد (إنجلترا)، والجامعة الكاثوليكية (ليوفن-بلجيكا)، وجامعة بنسلفانيا (الولايات المتحدة) وجامعة لوزان (سويسرا)، وجامعة سوينبورن (أستراليا).

كما حصل على العديد من الجوائز التقديرية إعترافاً بالجهود التى بذلها فى مجال العلوم، ومن بينها جائزة نوبل، وجائزة «روبرت ويلش» وجائزة «ولف» وجائزة «الملك فيصل» ووسام «بنيامين فرانكلين» وجائزة «ليوناردو دافنشى للامتياز» وجائزة «رونتجن» ووسام «بول كارر الذهبى» وجائزة «بونركميبرس» ووسام أكاديمية هولندا الملكية للفنون والعلوم وجائزة «كارل زيس» وجائزة «هوشست» وجائزة «ألكسندر فون همبولدت» من الجمعية الأمريكية للفيزياء وجائزة «هربرت بروبدا أيرل بليلر» وجائزة الجمعية الأمريكية للكيماء ووسام «ريتشارد تولمان» ووسام «نيكولس» ووسام «لينوس بولينج» ووسام «برايت ويلسون» ووسام «باك ويتنى» من الأكاديمية القومية للعلوم وجائزة الكيمياء من جامعة يال وجائزة «كى جى كيركوود» وجائزة من الحكومة الأمريكية، وجائزة «إى أو لورانس». وفى عام ١٩٩٥ حصل د. زويل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من الرئيس حسنى مبارك وقد قامت هيئة البريد المصرية بإصدار طابع بريد تذكارى باسمه.

د. زويل عضو بالأكاديمية القومية للعلوم (الولايات المتحدة الأمريكية)، والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، والجمعية الأمريكية للفلسفة، وأكاديمية

العالم الثالث للعلوم (إيطاليا)، والأكاديمية الأوروبية للفنون والعلوم والإنسانيات (فرنسا)، وزميل الجمعية الأمريكية للفيزياء وجمعية «سيجما زاى» إلى جانب عضويته للجمعية البابايوية للعلوم (روما).

أديل سيمونز (الولايات المتحدة الأمريكية)

تعمل د. سيمونز حالياً نائباً للرئيس والمدير التنفيذى «لشيكاغو متروبوليس ٢٠٢٠» حيث توجه نشاط المنظمات غير الهادفة للربح لخدمة المجتمع. وتضم هذه الخدمات تعليم الصغار وتنمية القوى العاملة. كما تعمل كأستاذ غير متفرغ فى مركز الدراسات الدولية بجامعة شيكاغو. وعملت فى السابق كرئيس لمؤسسة ماك آرثر وذلك لمدة عشرة أعوام، وتملك تلك المؤسسة أصولاً تصل إلى أربعة بلايين دولار أمريكى وتقدم منح سنوية يبلغ قدرها ١٧٠ مليون دولار أمريكى لتحسين المستوى المعيشى للشعوب، وأثناء عملها مع مؤسسة ماك آرثر أشرفت على توزيع بليون دولار أمريكى فى صورة منح، وقد فاز أربعة ممن حصلوا على تلك المنح، بما فيهم قادة عملية السلام بأوسلو بجائزة نوبل. ومن بين أهم مبادرات المؤسسة إنشاء مؤسسة الطاقة بالتعاون مع مؤسسة «روكفيلر» ووقف «بيو».

وقبل انضمامها لمؤسسة ماك آرثر فى ١٩٨٩ تولت د. سيمونز منصب رئيس جامعة «هامسفير» فى أمهرست بماساتشوستس، كما عملت كعميد لشئون الطلبة بجامعة بزستون، وعميد وأستاذ غير متفرغ بجامعة تافتس. وقد عينها الرئيس الأمريكى كارتر فى اللجنة التى أسسها لمكافحة الجوع فى العالم. وكانت عضواً فى لجنة سلامة البيئة التى أسسها الرئيس جورج بوش كما رأست لجنة حملة «ديلى» لتنمية الشباب التى أطلقها عمدة شيكاغو «ديلى» وهى عضو فى مجلس إدارة معهد «سينرجوس» واتحاد العلماء المعنيين.

وتخرجت د. سيمونز من رادكليف بالولايات المتحدة وحصلت على الدكتوراه فى التاريخ الأفريقى من جامعة أكسفورد بإنجلترا. وألفت العديد من الكتب حول

أفريقيا وعمل المرأة. ونشرت بعضاً من كتاباتها فى كل من «نيويورك تايمز» و «بوسطون جلوب» و «شيكاغو تريبيون» كما حصلت د. سيمونز على كثير من الجوائز التقديرية.

أمبرتو إكو (إيطاليا)

ولد د. إكو عام ١٩٣٢ فى ألساندريا، وهى مدينة صغيرة شرق تورين وتبعد ٦٠ ميلاً جنوب ميلانو والتحق بجامعة تورين حيث درس فلسفة وأدب القرون الوسطى، وحصل على درجة الدكتواره فى ١٩٥٤ وتناول موضوع الرسالة «توما الأكواينى» وعمل د. إكو محرراً للبرامج الثقافية بشبكة التليفزيون الإيطالى. ونشر أول كتاب له فى عام ١٩٥٦. وفى نفس العام بدأ بالتدريس فى جامعته الأم، وفى عام ١٩٥٩ أصبح رئيساً لتحرير القسم غير القصصى فى «كاسا إديتريس بومبيانى» بميلانو وذلك حتى ١٩٧٥. ومنذ عام ١٩٥٩ بدأ أيضاً فى كتابة «عمود ياريو منيمو» وذلك فى «إل فرى» وفى عام ١٩٦٢ نشر «أوبرا أبريتا» أو العمل المفتوح.

وفى عام ١٩٦٤ انتقل إلى ميلانو حيث عمل كمحاضر هناك ثم أختير لاحقاً أستاذاً للاتصالات البصرية بفلورنس عام ١٩٦٥. وفى عام ١٩٦٦ انتقل إلى جامعة العلوم التطبيقية بميلانو وعمل أستاذاً لعلم الدلالة (أحد فروع علوم اللغويات). وفى عام ١٩٧١ عين رئيساً لقسم علم الدلالة فى جامعة بولونيا وهى أقدم جامعات أوروبا. ولقد حصل د. إكو خلال حياته المهنية على عدد يصعب حصره من الجوائز والأوسمة بما فيها ٢٣ دكتواره فخرية.

جاك أتالى (فرنسا)

يعد الدكتور جاك أتالى من كبار المهتمين والكُتَّاب والبُحَّاث فى القضايا الاجتماعية والاقتصادية. ولقد شغل العديد من المناصب، منها مستشار الرئيس الفرنسى السابق فرنسوا ميتران (منذ ١٩٨١ وحتى ١٩٩١) ورئيس البنك الأوروبى للتعمير والتنمية (منذ ١٩٩١ وحتى ١٩٩٣) وعضو فى مجلس الدولة

بفرنسا منذ ١٩٩٣ وحتى الآن. وقد قام بتأسيس ورئاسة مؤسسة «بلانت فينانس» وهى منظمة دولية غير هادفة للربح تستخدم شبكة الإنترنت لمكافحة الفقر وتركز على هيكلة القطاع المالى الصغير. وحصل د. أتالى على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة باريس، كما حصل على درجات أخرى من جامعات «إيكول بولى تكنيك» و«إيكول دى مين» ومعهد الدراسات السياسية وكلية الإدارة. ولقد قام بتدريس النظريات الاقتصادية فى «إيكول بوليتكنيك» و «إيكول دى بون إيه شواسيه» وجامعة باريس دوفين.

وللدكتور أتالى مؤلفات عديدة فى موضوعات شتى منها الاقتصاد والموسيقى والرواية والأغانى والقصص القصيرة والمسرحيات، وقد تمت ترجمة أعماله إلى أكثر من عشرين لغة وطبع منها أكثر من ٣ ملايين نسخة.

حنان عشراوى (فلسطين)

ولدت د. عشراوى فى رام الله بفلسطين، وتقيم حالياً فى القدس ودرست فى كل من جامعة بيروت وكلية كلتنهام للبنات، حصلت على درجة الدكتوراه من فرجينيا بالولايات المتحدة وتشغل د.عشراوى حالياً منصب عميد كلية الآداب بجامعة بير زيت فى فلسطين، كما تقوم بتدريس الأدب الإنجليزى بنفس الجامعة. شغلت منصب وزير التعليم والبحث العلمى فى السلطة الوطنية الفلسطينية حتى أغسطس ١٩٩٨. انتخبت فى عام ١٩٩٦ لعضوية المجلس التشريعى الفلسطينى. كانت المتحدثة الرسمية باسم الحركة الفلسطينية إبان مفاوضات السلام بمدريد من ١٩٩١ وحتى ١٩٩٣. قامت فى عام ١٩٩٤ بتأسيس اللجنة المستقلة لحقوق المواطنين الفلسطينيين والمبادرة الفلسطينية لتعزيز الحوار العالمى والديمقراطية.

ستيفن جاى جولد (الولايات المتحدة الأمريكية)

يعتبر د. جولد واحداً من أكبر الكُتَّاب فى مجال العلوم على المستوى العالمى. كما يعد من أهم علماء الحفريات (البلويونتولوجيا) ونظرية التطور. ولد بمدينة نيويورك وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة أنتيوش عام ١٩٦٣ ثم

درجة الدكتوراه فى «البلويونتولوجيا» من جامعة كولومبيا فى ١٩٦٧ يعمل حالياً أستاذاً فى علم الحيوان بجامعة هارفارد وأميناً عاماً لقسم «البلويونتولوجيا» اللافقرية بمتحف هارفرد لعلم الحيوان المقارن وعضو غير متفرغ بقسم تاريخ العلوم. كما يعمل أيضاً كأستاذ زائر لعلم الأحياء بجامعة نيويورك منذ ١٩٩٦.

وحصل د. جولد على العديد من الجوائز منها جائزة الزمالة لمؤسسة ماك آرثر وذلك فى ١٩٨١ حين كان رئيسا للجمعية الأمريكية لعلماء التاريخ الطبيعى وجمعية البلويونتولوجيا وجميعة دراسة التطور.

وكتبه العلمية من أكثر الكتب شعبية ومبيعاً على المستوى العام بالرغم من كونها تتناول أخطر نواحى التقدم العلمى الحديث. وعمل د. جولد رئيساً للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم منذ ١٩٩٩ وحتى ٢٠٠٠.

طاهربن جلون (المغرب)

ولد بن جلون فى عام ١٩٤٤ بالمغرب، ثم هاجر بعد ذلك إلى فرنسا عام ١٩٦١ وكتب د. بن جلون العديد من كتبه بالفرنسية فى مجالات الشعر والنثر والنقد، كما يكتب بانتظام بمجلة «لوموند» الباريسية. ومن بين أعماله «طفل الرمال» و «الليلة المقدسة» والتى حصل عنها على جائزة جونكور وهى أعلى جائزة فرنسية فى الأدب عام ١٩٨٧، ذلك بالإضافة إلى «يوم ساكن فى طنجة» و «خطيئة الليل» عام ١٩٩٧.

عبد اللطيف الحمد (الكويت)

رئيس الصندوق العربى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. شغل منصب وزير مالية الكويت سابقاً كما أسس صندوق التنمية الكويتى ويعد د. الحمد عميد جهود التنمية العربية. شارك فى العديد من اللجان الدولية رفيعة المستوى مثل «براندت» و «برونتلاند» وآخرها اللجنة العالمية للمياه فى القرن الحادى والعشرين.

فاروق الباز (مصر)

يعمل الدكتور الباز حالياً كرئيس مركز الاستشعار عن بعد فى جامعة بوسطن والذى قام بتأسيسه منذ عام ١٩٨٦ . ويدعم المركز تكنولوجيا الفضاء فى علوم الآثار والجغرافيا والجيولوجيا. كما يعمل أستاذاً غير متفرغ للجيولوجيا بكلية العلوم، جامعة عين شمس مصر.

ولد الدكتور الباز بالزقازيق وحصل على بكالوريوس الكيمياء والجيولوجيا من جامعة عين شمس بمصر ثم درجة الدكتوراه فى الجيولوجيا من جامعة ميسورى بالولايات المتحدة الأمريكية وخلال دراسته قام بإجراء عدة أبحاث (١٩٦٢-١٩٦٣) بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا فى كمبردج بالولايات المتحدة. وقام بتدريس الجيولوجيا فى كل من جامعة أسيوط بمصر وجامعة هدل بيرج بألمانيا. ومنذ عام ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٢ عمل ببرنامج أبولو بوكالة ناسا للفضاء كمشرف على تخطيط علوم القمر. كما عمل مستشاراً فى العلوم للرئيس السادات (١٩٧٨-١٩٨١)

عمل د. الباز بلجنة التوجيه بمعهد سميثسونيان وبرامج المؤسسة القومية للعلوم ومجلس الولايات المتحدة للأسماء الجغرافية ومجموعة الاصطلاحات القمرية للاتحاد الدولى للفلك. وفى عام ١٩٨٥ أختير زميلا لأكاديمية العلوم للعالم الثالث ومثل الأكاديمية أمام المنظمات غير الحكومية التابعة للمجلس الاقتصادى والاجتماعى بالأمم المتحدة.

ومن المعروف عنه ريادته فى الاستفادة من البيانات المأخوذة من الفضاء فى اكتشاف المياه الجوفية، وللدكتور الباز حضور إعلامى مميز فى المجالات العلمية وقد نشرت أحاديثه فى «نيويورك تايمز» و «واشنطن بوست» و «بوسطن جلوب» و «التايمز» و «النيوزويك» إلى جانب الشبكات التليفزيونية العربية والعالمية ولقد حصل على العديد من الجوائز منها جائزة برنامج أبولو بوكالة ناسا الفضائية وميدالية التحصيل العلمى المتميز وجائزة التقدير الخاصة وجائزة خريجى جامعة ميسورى للتحصيل العلمى المتميز وشهادة تقدير المنظمة الدولية التعليمية للغلاف الجوى ووسام الاستحقاق المصرى من الدرجة الأولى وغيرها.

فيجرس فينبو جادتير (أيسلندا)

كانت السيدة فينبو جادتير رئيساً لجمهورية أيسلندا لفترة تزيد على العشرة أعوام من ١٩٨٠ وحتى ١٩٩٢ وهى شخصية عالمية معروفة وقد درست الأدب إلى جانب اللغات فى جامعات جرينوبل والسربون فى فرنسا وأبسالا فى السويد وجامعة أيسلندا.

فى بداية حياتها عملت فى مجال السياحة لدعم وتعزيز العلاقات بين أيسلندا وفرنسا كما عملت كمدير لمسرح «ركزيفيك» من عام ١٩٧٢ إلى ١٩٨٠.

وعينت من قبل التليفزيون الأيسلندى لتدريس الفرنسية إلى جانب تقديم حلقات ثقافية عن المسرح. كما كانت عضواً فى أول مجموعة مسارح تجريبية بأيسلندا وتولت منصب رئيس برنامج التعاون الثقافى الفرنسى، كما كانت عضوا فى اللجنة الاستشارية للعلاقات الثقافية لمجلس دول الشمال «نورديك» وتولت رئاسته من ١٩٧٨ -١٩٨٠.

وتعتبر السيدة/ فينبوجادتير الرئيس المؤسس لمجلس السيدات رؤساء الدول والحكومات والذى تحتضنه هارفرد منذ ١٩٩٦ وحتى الآن وتشارك السيدة/ فينبوجادتير فى العديد من الأنشطة الدولية وهى حاليا رئيس اللجنة الدولية لأخلاقيات العلم والتكنولوجيا إلى جانب كونها مستشاراً لمؤسسة الشباب الدولية وسفيرة اليونسكو للنوايا الحسنة فى مجال اللغات ومكافحة كل من العنصرية وخشية الأجانب.

كارل ثام (السويد)

تخرج د. ثام فى الأدب والتاريخ من جامعة ستوكهولم فى ١٩٦٣. ويعمل مديراً تنفيذياً لمعهد «أولف بالم» ونشط د. ثام فى العمل الحكومى منذ عام ١٩٦٩، فى الحزب الليبرالى، وكعضر فى البرلمان، وكوزير للتعليم العالى

والعلوم، وكوزير للطاقة، وكمدير عام للوكالة السويدية للتنمية الدولية، وكمدير للعديد من الوكالات الحكومية.

وعمل عن كثب فى مجال التنمية الثقافية كرئيس مجلس إدارة المتحف السويدى للفنون، ورئيس مجلس إدارة مسرح الرقص الحديث، ورئيس مجلس إدارة معهد الدراسات المستقبلية، ورئيس لجنة «أرتس جرانتس» أو منح الفنون، ورئيس مجلس إدارة الأوبرا الملكية السويدية. وأظهر د. ثام دائماً اهتماماً خاصاً بالعلاقة بين الثقافة والتنمية وكان من أول من عملوا فى مجال تمويل المشروعات الثقافية كجزء لا يتجزأ من دعم التنمية وله العديد من الكتب والمؤلفات، كما يعد كاتبًا منتظماً فى العديد من الصحف والمجلات ويعمل فى العديد من اللجان وحاليًا هو عضو اللجنة العليا الخاصة بالتعليم العالى لمنظمة اليونسكو والبنك الدولى.

كازووتاكاهاشى (اليابان)

يعمل د. تاكاهاشى حاليًا مديراً للمعهد الدولى لبحوث التنمية التابع لمؤسسة الدراسات الحديثة حول التنمية الدولية بطوكيو باليابان. كما يعمل أستاذاً زائراً بجامعة طوكيو، ويساهم بالعمل فى الكثير من اللجان التابعة للحكومة اليابانية والهيئات الدولية (كاللجنة الدولية للمياه للقرن الحادى والعشرين ووزارة الصحة اليابانية ومجلس الأرض ونادى طوكيو).

وحصل على درجة البكالوريوس والماجستير من الجامعة المسيحية الدولية باليابان ودرجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية. وعمل فى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية التى تضم كل الدول الصناعية والمكسيك وكذلك لجنة متابعة الدعم المالى من الدول الغنية للدول الفقيرة. كما عمل كمدير برنامج ومستشار خاص بمؤسسة ساسكاوا للسلام. ومن أهم موضوعات أبحاثه الحالية العلاقة بين العولمة والتنمية الدولية، والنماذج الجديدة للتعاون من أجل التنمية والصراعات المسلحة وأثرها على التنمية والإدارة العالمية لموارد المياه.

ليلى تكلا (مصر)

د. تكلا شخصية مصرية ودولية ومعروفة تعمل حالياً فى مجال حل مشكلات المياه، خاصة ما يتعلق بنهر النيل. كما عملت فى لجنة بيريز دو كويلار (الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة) حول الثقافة والتنمية، وكان لتقرير اللجنة بعنوان «التنوع الخلاق» أكبر الأثر فى حث العالم أجمع على احترام مختلف الثقافات والمحافظة عليها. كما تقوم بكتابة المقالات للصحافة بانتظام.

لويس مونريال (أسبانيا)

يعمل د. مونريال حالياً مديراً عامًا لمؤسسة «لاكسيا» ببرشلونة، أسبانيا. ويعد د.مونريال متخصصا فى مجال الصون. كما يعمل أستاذاً فى تاريخ الفن، وحصل على البكالوريوس فى الآثار والفنون الجميلة من جامعة برشلونة وفالنسيا. وضمن نشاطاته عضويته فى بعثة الآثار الأسبانية للنوبة. وشغل العديد من المناصب فى كثير من المؤسسات، منها مدير عام بمنظمة اليونسكو ومدير عام معهد «جتى» للصون حتى عام ١٩٩٠. وبتوليه رئاسة مؤسسة لاكسيا أصبحت المؤسسة قوة دفع ثقافية كبيرة لدعم المناسبات الثقافية والمعارض إلى جانب دعم المؤسسات الثقافية فى أوروبا بصفة عام. ويعمل د. مونريال فى العديد من اللجان، بما فيها لجنة التسيير لجائزة الأغاخان للعمارة ويعتبر من أكبر العاملين فى مجال الثقافة فى العالم.

مارجرت كاتلى كارلسون (كندا)

ولدت السيدة/ كاتلى كارلسون فى ساسكاتشوان ونشأت فى كولومبيا البريطانية بكندا. تخرجت من روجرز فى ١٩٦٠ ثم التحقت بجامعة كولومبيا البريطانية ومنها حصلت على ليسانس مع مرتبة الشرف. وبعد تخرجها، انضمت للعمل بوزارة الخارجية الكندية حيث عملت فى كل من سريلانكا فى ١٩٦٨، وبعد ذلك لندن فى ١٩٧٥. كما قامت بعمل دراسات عليا فى جامعات غرب الهند وترينيداد وتوباجو.

وفى عام ١٩٧٨ أوكل إليها منصب نائب رئيس الوكالة الكندية للتنمية الدولية وفى عام ١٩٧٩ عُينت فى منصب النائب الأول للرئيس. وبعد ذلك بعامين شغلت منصب وكيل أول وزارة الخارجية الكندية وذلك فى أوتاوا.

فى أواخر عام ١٩٨١ تولت منصب نائب المدير التنفيذى بمنظمة اليونيسيف بالأمم المتحدة ومنذ عام ١٩٨٣ وحتى ١٩٨٩، شغلت منصب رئيس الوكالة الكندية للتنمية الدولية، ومنذ عام ١٩٨٩ وحتى ١٩٩٢، عملت نائباً لوزير الصحة الكندية، وفى عام ١٩٩٣، شغلت منصب رئيس مجلس السكان بالأمم المتحدة فى نيويورك.

فى عام ١٩٨٥، منحت مارجريت درجة الدكتوراه الفخرية فى الحقوق من جامعة رجينا والدكتوراه الفخرية فى الحقوق من جامعة رجينا والدكتوراه الفخرية فى الآداب من جامعة سانت مارى. وحصلت خلال حياتها المهنية على منح عديدة من مختلف المؤسسات التعليمية ومنها مؤسسة «رايرسون» للعلوم التطبيقية فى ١٩٨٦ و«كنكورديا» فى ١٩٨٩ و «مونت سانت فينسنت» فى ١٩٩٠، و «اليوبى سى» فى ١٩٩٣، وجامعة كالجارى فى ١٩٩٣، وجامعة كارلتون فى ١٩٩٣.

ماريانا فاردينويانس (اليونان)

ولدت السيدة فاردينويانس فى أثينا، ودرست الاقتصاد فى دنفر -كولورادو بالولايات المتحدة. وتتحدث كل من اليونانية والإنجليزية والفرنسية بطلاقة. وتعمل بنشاط فى المجال الاجتماعى، خاصة فى الموضوعات التى تخص التضامن البشرى والسلام وصحة الطفل والتعليم والرفاهية الاجتماعية ومكافحة الفقر.

كما تعمل كسفيرة لليونسكو للنوايا الحسنة فى مجال حماية الطفل، وتتعاون مع اليونسكو فى العديد من المجالات مثل «بيت لحم ٢٠٠٠» ومركز موارد الطفولة.

وتعمل أيضًا مع العديد من المؤسسات الصحية والخيرية، ولها مجهوداتها الحثيثة فى مجال مكافحة استغلال الأطفال. ولقد حصلت ماريانا على العديد من الجوائز بما فيها الدكتوراه الفخرية من شيفلد بإنجلترا عام ١٩٩٧، وتم اختيارها لجائزة المرأة فى أوروبا عام ١٩٩٦.

مونكومبو سواميناثان (الهند)

اعتبرت مجلة «التايمز» د. سواميناثان واحداً من أهم عشرين شخصية آسيوية فى القرن العشرين تضمنت القائمة ثلاث شخصيات هندية فقط وهم إلى جانبه، غاندى وطاغور.

تلقى تعليمه فى جامعة «ترافانكور» فى عام ١٩٤٤ حيث حصل على البكالوريوس ثم التحق بكلية الزراعة، جامعة كمبردج حيث حصل على الدكتوراه عام ١٩٥٢. وعمل كأستاذ مساعد بجامعة ويسكونسون بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٥٢ وحتى ١٩٥٣. وفى الستينات، عمل كعالم وراثة وكمدير للمعهد الهندى للبحوث الزراعية حيث توصل لكثير من الاكتشافات العلمية والحلول للعديد من المشكلات الزراعية فى آسيا، وكان له الفضل فى استحداث نوعيات متميزة من محاصيل القمح والأرز فى الهند، وبذلك فتح الطريق أمام «الثورة الخضراء» لتجتاح جنوب آسيا بالكامل. وأدت تلك الجهود التى قام بها إلى مضاعفة محاصيل الحبوب فى الهند من ١٢ مليون طن إلى ٢٣ مليون طن وذلك فى أربعة مواسم زراعية، الأمر الذى أحدث طفرة زراعية فى الهند ومن المعروف عنه أنه مهندس الثورة الخضراء بالهند.

وحصل على جائزة الغذاء العالمية الأولى فى ١٩٨٧ بفضل جهوده فى كل من علم الوراثة للمحاصيل والتنمية الزراعية المستدامة فى الهند والعالم الثالث. كما حصل أيضاً على جائزتى «تايلر» و «هوندا» فى ١٩٩١، إلى جانب جائزة «ساساكاوا» الخاصة ببرنامج الأمم المتحدة للبيئة وذلك فى ١٩٩٤. كما حصل على جائزتى «بادما بهوشان» و «بادما فيبهاشان» من الحكومة الهندية وجائزة

«ماجسيسى» وجائزة «بورلوج» إلى جانب حصوله على الزمالة من الجمعية الملكية بلندن. ولقد خصص القيمة المالية لكل تلك الجوائز لإنشاء مؤسسة سواميناثان فى شيناى بمدراس بالهند. وتعد تلك المؤسسة مركزاً حيوياً للعمل الفكرى، حيث يقوم د. سواميناثان بتدريب جيل كامل من العلماء الهنود على ممارسة أرقى أنواع العلوم جنبًا إلى جنب مع العمل من أجل الفقراء ولمساعدتهم. وتدرس جهوده الرائدة حول العالم فى كل من مجال القرى الحيوية (زيادة وتنمية الإنتاج الزراعى للفقراء بشكل مستدام) ومجال القرى المعلوماتية (توصيل خدمات البريد الإلكترونى للفقراء لتمكين تلك الفئات فى الهند).

هانس بيترجيه (ألمانيا)

درس دكتور جيه فى كل من جامعات فرانكفورت وبريستول وكولونى ولقد تخصص فى علم المكتبات وتلقى تدريبًا عليه فى جامعة فرانكفورت وفى جامعة كولونى ولقد شغل مناصب عديدة منها رئيس الاتحاد الدولى للمكتبات (إيفلا) من ١٩٨٥ حتى ١٩٩١، ويرأس حاليًا المؤسسة الأوروبية للتعاون بين المكتبات وذلك منذ عام ١٩٩١.

ويليام وولف (الولايات المتحدة الأمريكية)

يرأس د. وولف الأكاديمية الأمريكية للهندسة كما يرأس الأكاديمية القومية للعلوم. تعمل الأكاديمية الأمريكية للهندسة بموجب ميثاق من الكونجرس وذلك لإمداد الحكومة بالاستشارات اللازمة حول قضايا العلوم والتكنولوجيا من بين المهام التى اضطلع بها د. وولف مراجعة مناهج علوم الكومبيوتر بالولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب معاونة دارسى العلوم الإنسانية فى استخدام تكنولوجيا المعلومات. كما يعمل فى الأبحاث الخاصة بأمن أنظمة الكمبيوتر وتصميمها.

وإلى جانب عضويته فى الأكاديمية الأمريكية للهندسة، فهو زميل للأكاديمية الأمريكية للعلوم والفنون بالإضافة إلى عضويته لثلاث جمعيات متخصصة أخرى

وهى جمعية آليات الكومبيوتر ومعهد المهندسين الكهربائيين والإلكترونيين وأخيراً الجمعية الأمريكية للتقدم العلمى ولقد قام د. وولف بإجازه من منصبه كأستاذ جامعى للعمل كمساعد لمدير المؤسسة القومية للعلوم بالولايات المتحدة، حيث يرأس قسم الكومبيوتر ومبادرة الاتصالات، إلى جانب إعداد القرارات الخاصة بالقاعدة القومية للمعلومات بالولايات المتحدة الأمريكية.

وول سوينكا (نيجيريا)

حاصل على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٨٦.

ولد سوينكا فى يوليو ١٩٣٤ بالقرب من إيبادان، غرب نيجيريا وبعد انتهاءه من دراسته الجامعية فى الجامعة الحكومية بإيبادان، التحق بجامعة ليدز بإنجلترا، حيث حصل على الدكتوراه فى عام ١٩٧٣. وقد قضى ستة أعوام فى إنجلترا حيث عمل مؤلفًا مسرحيًا فى مسرح «رويال كورت» بلندن. وفى عام ١٩٦٠، حصل على منحة مالية من مؤسسة «روكفيلر» وعاد بعد ذلك إلى نيجيريا حيث درس الدراما الأفريقية. وفى تلك الأثناء قام بتدريس الدراما والأدب فى العديد من الجامعات فى أيبادان وليجوس وايف حيث عمل كأستاذ للأدب المقارن وفى عام ١٩٦٠ أنشأ المجموعة المسرحية التى أطلق عليها أقنعة ١٩٦٠، ثم فى ١٩٦٤ أسس شركة «أوريسون» المسرحية حيث قام بالإخراج والتمثيل معًا. كما عمل من حين إلى آخر كأستاذ زائر فى جامعات كمبردج وشفيلد ويال. وإبان الحرب الأهلية بنيجريا، نادى سوينكا بوقف إطلاق النار، وكنتيجة لذلك تم اعتقاله فى ١٩٦٧ بتهمة التآمر مع متمردى بيافرا وتم احتجازه كمسجون سياسى لمدة اثنتين وعشرين شهراً حتى ١٩٦٩. وقد أدى دفاعه بعد ذلك عن حقوق المدنيين وعن حقوق الإنسان إلى نفيه وعاش فى المنفى يدرس بجامعة إيمورى فى الولايات المتحدة ولم يعد إلى نيجريا إلا بعد عودة الحكم الديمقراطى.

ولقد نشر لسوينكا أكثر من عشرين كتابًا فى كل من النقد والدراما والأدب القصصى والشعر. وبرع فى الكتابة باللغة الإنجليزية، حيث تميزت لغته بالثراء.

ودقة اختيار الكلمات وحصل على العديد من الجوائز منها جائزة نوبل للآداب في ١٩٨٦.

يولندا كاكابيدزو (إكوادور)

ولدت السيدة كاكابيدزو فى الإكوادور عام ١٩٤٨. ودرست علم النفس فى الجامعة الكاثوليكية بكيتو. وقد بدأ عملها مع حركة حماية البيئة فى عام ١٩٧٩ وذلك لدى تعينها مدير تنفيذى لمؤسسة الطبيعة «ناتورا» فى كيتو وذلك حتى عام ١٩٩٠ وبفضلها أصبحت المؤسسة واحدة من أهم المنظمات البيئية فى أمريكا اللاتينية وذلك من خلال تطوير السياسات لدعم المجتمع الإكوادورى والمجتمع الدولى، وذلك عن طريق التوعية البيئية واقتراح سياسات جديدة للتنمية، وبذلك احتلت المؤسسة مكاناً مرموقًا فى عالم المنظمات غير الحكومية.

ومنذ عام ١٩٩٠ وحتى ١٩٩٢، عملت على تنسيق عملية مشاركة المنظمات الأهلية فى مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية والبيئة (قمة الأرض). وفى عام ١٩٩٣، أسست ورأست عدة منظمات غير حكومية فى مجال البيئة وفى أغسطس ١٩٩٨، تم تعيينها وزيرة للبيئة بحكومة الإكوادور وذلك حتى عام ٢٠٠٠.

وشاركت فى كثير من الأنشطة والأعمال من بينها رئيس الاتحاد العالمى للحفاظ على البيئة (١٩٩٦)، وعضوية مجلس إدارة معهد الموارد العالمية (١٩٩٦)، وعضو مجلس أمناء مؤسسة فورد (١٩٩٧-١٩٩٨ ثم منذ عام ٢٠٠٠ وحتى الآن)، ومستشار رئيس المرفق العالمى للبيئة (١٩٩٣-١٩٩٨)، وعضو مجلس الألفية لتقييم النظم البيئية (٢٠٠٠)، وعضو المجلس الاستشارى الدولى للأنبيو (٢٠٠٠)، وعضو مجلس إدارة الصندوق الدولى للدعم العالمى (١٩٩٥-١٩٩٧).

حصلت على العديد من الجوائز التقديرية، من بينها وسام الاستحقاق القومى كضابط مكلف للحكومة الإكوادورية وذلك فى عام ١٩٩٠، الجائزة العالمية «الـ ٥٠٠ الكبار» لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة فى عام ١٩٩١، ووسام القوس الذهبى من الأمير برنارد -هولندا فى عام ١٩٩١.

اسماعيل سراج الدين

مدير مكتبة الإسكندرية

* ولد بالجيزة فى عام ١٩٤٤.

* تخرج بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى فى كلية الهندسة جامعة القاهرة- قسم الهندسة المعمارية عام ١٩٦٤.

* حصل على درجة الماجستير بامتياز فى التخطيط الإقليمى من جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٨.

* نال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٧٢. (رسالة الدكتوراه: دور التعليم فى التنمية).

• درجات فخرية

منح الدكتور إسماعيل سراج الدين ثلاثة عشر (١٣) درجة دكتوراه فخرية.

* فى علم الاجتماع من جامعة بوخارست برومانيا (١٩٩٦)

* فى العلوم الزراعية من جامعة ملبورن بأستراليا (١٩٩٦)

* فى العلوم من المعهد الهندى للأبحاث الزراعية بالهند (١٩٩٧).

* فى العلاقات الدولية من الجامعة الأمريكية بواشنطن العاصمة بالولايات المتحدة (١٩٩٨).

* فى العلوم من جامعة البنجاب الزراعية بالهند (١٩٩٨).

* فى العلوم من جامعة تاميل نادو لعلوم الحيوان والطب البيطرى بالهند (١٩٩٨)

* فى إدارة الموارد الطبيعية من جامعة ولاية أوهايو بالولايات المتحدة (١٩٩٨)

* فى العلوم من جامعة تاميل نادو الزراعية فى كويمباتور بالهند (١٩٩٩)

* فى العلوم من الجامعة الزراعية القومية حيدر أباد بالهند (١٩٩٩)

* فى الاقتصاد والإدارة من الكونسرفتوار القومى بباريس -فرنسا (١٩٩٩).

* فى العلوم من جامعة إيجرفتون بكينيا (١٩٩٩)

* فى العلوم الزراعية من جامعة توسيكا بإيطاليا (١٩٩٩)

* فى الآداب من الجامعة الأمريكية فى القاهرة بجمهورية مصر العربية (٢٠٠٠)

* عمل الدكتور إسماعيل سراج الدين عقب إنهاء دراساته بجامعة هارفارد عام ١٩٧٢ فى البنك الدولى بواشنطن العاصمة بالولايات المتحدة الأمريكية وشغل مواقع عدة بالبنك حتى عين نائبًا لرئيس البنك فى عام ١٩٩٣ وظل بهذا المنصب حتى استقال منه فى منتصف عام ٢٠٠٠.

وحتى استقالته كنائب لرئيس البنك الدولى شغل الدكتور سراج الدين المواقع التالية - رئيس المجموعة الاستشارية للبحوث الزراعية الدولية (١٩٩٤-٢٠٠٠)

- رئيس المجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء (١٩٩٥-٢٠٠٠)

- رئيس الشراكة الكوكبية (الدولية) للمياه (١٩٩٦-٢٠٠٠)

- رئيس اللجنة الدولية للمياه فى القرن الحادى والعشرين (أغسطس ١٩٩٨-مارس ٢٠٠٠).

* كما عمل أستاذًا زائرًا متميزًا بجامعات فاجنجن بهولنده والأمريكية بالقاهرة، ويعمل الدكتور إسماعيل سراج الدين حاليًا مديرًا لمكتبة الأسكندرية.

يتمتع الدكتور إسماعيل سراج الدين بعضوية

-الأكاديمية العالمية للفنون والعلوم.

- الأكاديمية الوطنية للعلوم الزراعية بالهند.

- الأكاديمية الأوروبية للعلوم والفنون -النمسا

-الأكاديمة البنجلادشية للعلوم -دكا.

- كما أنه رئيس أو عضو فى العديد من اللجان والمؤسسات الأكاديمية.

قام الدكتور سراج الدين بتأليف أو تحرير أكثر من ٤٥ كتابًا بالإضافة إلى ٢٠٠ مقالة وبحث تقنى وفصل فى كتاب فى العديد من مجالات العلم والثقافة والأدب.

* * *

ملحق (٨)

دليل مكتبة الإسكندرية مكونات المكتبة

مكونات المكتبة:

الخدمات الفنية

المستوى٣ مكتبة الموسيقى وقسم المواد السمعية والبصرية والوسائط المتعددة وسيبدأ التشغيل فى أبريل ٢٠٠٢.

المستوى ٤ معامل الحفاظ

الكتب النادرة والمخطوطات

المعارض

المتاحف

المستوى ٥ مكتبة طه حسين للمكفوفين

منفذ لبيع الكتب

المستوى ٦ كافيتريا

مكتبة النشء (الأعمار من ١٤ إلى ١٨ سنة)

مقر الجمعية المصرية لأصدقاء مكتبة الإسكندرية.

القبة السماوية ومتحف العلوم

مركز المؤتمرات بالإسكندرية

مكاتب المعلومات فى كل مستوى

توزيع مقتنيات المكتبة

١-جذور المعرفة: ١٠٠ فلسفة؛ ٢٠٠ علوم دينية؛ ٩٠٠ جغرافيا وتاريخ؛ خرائط مرجع للمخطوطات والكتب النادرة.

٢- ٤٠٠ لغات؛ ٨٠٠ آداب مركز للغات المتعددة مواد سمعية/ بصرية/ وسائط متعددة

٣- ٧٠٠ فنون وثقافة (ماعدا ٣/ ٢/ ٧٧١) ٧٨٠ موسيقى

٤- متاحف للمخطوطات والآثار والعلوم الدوريات العامة (تصنف باقى السلسلات بالموضوع) المعارف العامة/مرجع للمعارف العامة (ماعدا ٣٠٠/ ٤/ ٥/ ٦) ٠٢٠ علوم المكتبات، ٠٧٠ الوسائط الإعلامية ٣١٠/ ٣٣٠/ ٣٤٠/ ٣٨٠/ ٦٥٠ اقتصاد وإدارة الأعمال والتنمية (ماعدا ٣٨٤). مكتبة الإيداع: المطبوعات الرسمية (مطبوعات الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى والحكومة المصرية)

٥- المدخل الرئيسى -ساحة بطليموس قاعات الاستماع وقاعات الاجتماعات المعلومات والعضوية والاستعارة مكتبة طه حسين للمكفوفين ٣٠٠ العلوم الاجتماعية ماعدا (٣١٠, ٣٣٠, ٣٤٠, ٣٨٠)

٦- مدخل معهد الدراسات الدولية للباحثين ٠٠٠-٩٩٩ مكتبة النشء (الأعمار من ١٤ إلى ١٨ سنة) ٥٠٠ العلوم ٦٠٠ التكنولوجيا (ماعدا ٦٥٠)

٧- معهد الدراسات الدولية للباحثين- الإدارة ٣٠٠/ ٤/ ٥/ ٦/ ، ٣٨٤، ٣/ ٢/ ٧٧١ التكنولوجيا الحديثة

رسالة المكتبة

تهدف المكتبة الجديدة إلى خلق مكتبة حديثة متخصصة ومجموعة مقتنيات فريدة إلى جانب التمسك بتقاليد المكتبة القديمة. وكما تسعى المكتبة أن تكون مصدر قيم للمعلومات بنية دعم اتخاذ القرار ورسم آفاق جديدة للمستقبل لتحقيق التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بمصر والمنطقة. وبالتالى ستلعب المكتبة دوراً أساسياً لتعزيز التعاون بين شمال وجنوب وكذا شرق وغرب حوض المتوسط وستعمل المكتبة من خلال أربعة محاور رئيسية ألا وهى أن تصبح:

(١) نافذة مصر على العالم (٢) نافذة العالم على مصر (٣) مكتبة للعصر الرقمى الجديد (٤) مركز للحوار والمناقشة.

ويرتبط هذا المنهج مباشرة بسياسة الاقتناء وخلق كيان متميز للمكتبة بين المكتبات العالمية. ولن يقتصر دور المكتبة على كونها مكتبة فحسب بل سيمتد دورها لتصبح مؤسسة ثقافية موجهة لخدمة المستفيدين منها فى الفنون المسرحية والعروض الفنية والموسيقية والمعارض والمتاحف فى الأماكن المخصصة لتلك الأغراض وكذا ساحة الحضارات.

الخدمات

الفهرس الإلكترونى - المخطوطات النادرة - مكتبات الإيداع - الخدمات العامة خدمات المعلومات

تبدأ ساعات العمل بالمكتبة

أيام الأحد إلى الخميس من ١٠:٣٠ ص إلى ٧:٣٠م يومياً

ويومى الجمعة والسبت من ٣:٣٠ م إلى ٧:٣٠م

تنظيم زيارات المكتبة

أيام الأحد والخميس الساعة ١١:٠٠ص و٤:٠٠م وعلى المجموعات الكبيرة الاتصال بمكتب الخدمات العامة لتنظيم موعد الزيارة

مكتبة الإسكندرية -الشاطبى -صندوق بريد ٢١٥٢٦.

تليفون: ٤٨٣٠٣٤٥ -٣-٠-٢-٠٠ فاكس: ٤٨٣٠٣٣٩ -٠٣- -٠٠٢-

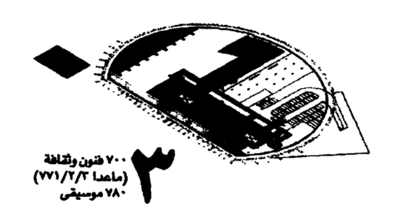
البريد الإلكترونى: Secretariat @ bibalex, gov. eg

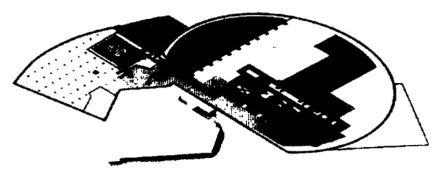
الموقع على الإنترنت: www.bibalex. gov.eg

* * *


١
جذور المعرفة
١٠٠ فلسفة ؛ ٢٠٠ علوم دينية ؛ ٩٠٠ جغرافيا وتاريخ
خرائط
مرجع للمخطوطات والكتب النادرة

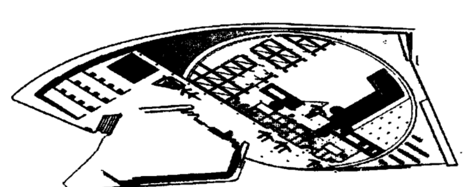

٢
٤٠٠ لغات
٨٠٠ آداب
مركز للغات المتعددة
مواد سمعية / بصرية / وسائط متعددة


٣
٧٠٠ فنون وثقافة
(ماعدا ٣/٢/٧٧١)
٧٨٠ موسيقى



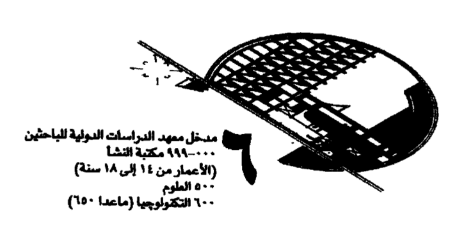
٤

متاحف للمخطوطات والآثار والعلوم
الدوريات العامة (تصنف باقى السلسلات بالموضوع)
... المعارف العامة / مرجع للمعارف العامة (ماعدا ٣٠٠/٤/٥/٦)
٠٢٠ علوم المكتبات ، ٠٧٠ الوسائط الإعلامية
٣١٠/٣٣٠/٣٤٠/٣٨٠/٦٥٠ إقتصاد وإدارة الأعمال والتنمية (ماعدا ٢٨٤)
مكتبة الإيداع : المطبوعات الرسمية
(مطبوعات الأمم المتحدة والإتحاد الأوروبى والحكومة المصرية)



٥

المدخل الرئيسى - ساحة بطليموس
قاعات الاستماع وقاعات الاجتماعات
المعلومات والعضوية والاستعارة
مكتبة طه حسين للمكفوفين
٣٠٠ العلوم الاجتماعية
ماعدا (٣١٠ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٨٠)



٦ مدخل معهد الدراسات الدولية للباحثين
٠٠٠-٩٩٩ مكتبة النشأ
(الأعمار من ١٤ إلى ١٨ سنة)
٥٠٠ العلوم
٦٠٠ التكنولوجيا (ماعدا ٦٥٠)

٧ معهد الدراسات الدولية للباحثين - الإدارة
٣٠٠/٤/٥/٦ ، ٣٨٤ ، ٣/٢/٧٧١
التكنولوجيا الحديثة

ملحق (٩)

نص الدعوة التى وجهة للمشاركة فى الافتتاح الرسمى للمكتبة الجديدة (٢٣ من إبريل ٢٠٠٢ الذى أجل)



Prof Dr Shabaan Abdel Aziz Khalifa
President of the Egyptian Society
And Head of the Department of Libraries and Information, Cairo University
Department of Libraries and Information
Cairo University
Postal Code 1211 Cairo
EGYPT

Dear Dr. Khalifa

INVITATION

I am honored to invite you to attend the
Inauguration of the Bibliotheca Alexandrina,
the new Library of Alexandria, on
23 April 2002,
in the presence of
H.E. The President of The Arab Republic of Egypt
and Mrs. Mubarak.

The celebration of the completion of this unique international project that has involved so many countries and citizens of the world, would be greatly enhanced by your participation.

We look forward to your early and positive reply.

With my best wishes,

Director-General

Ismail Serageldin
Librarian of Alexandria

RSVP Tel: +(203) 4878833/44 Fax: +(203)-4830339
Email: secretariat@bibalex.org

Attachment: Draft Inauguration Program

The Library of Alexandria — مكتبة الإسكندرية

El Shatby, Alexandria, Egypt 21526
Phone +(203) 4878833 Fax +(203) 4830339
E-mail secretariat@bibalex org

الشاطبي الإسكندرية مصر ٢١٥٢٦
فاكس: +(٢٠٣) ٤٨٣٠٣٣٩ تليفون + (٢٠٣) ٤٨٧٨٨٣٣
www bibalex org



DRAFT PROGRAM FOR THE INAGURUATION

21 April 2002
Brief Group Tours of the Library by appointment only

22 April 2002
Rehearsals
Library closed to the public

23 April 2002
Official opening of the Bibliotheca Alexandrina
By
H.E. Mohammed Hosni Mubarak, President of Egypt
6:00 p.m.
(by invitation only)

Presidential Reception, Dinner and Program at Ras El Tin Palace
8:00 p.m.
(by invitation only)

Program and reception for Visitors
6:00 p.m.
Greek Stadium

The Library of Alexandria
El Shatby, Alexandria, Egypt 21526
Phone: +(203) 4878833 Fax: +(203) 4830339
E-mail: secretariat@bibalex.org

مكتبة الإسكندرية
الشاطبي الإسكندرية مصر ٢١٥٢٦
فاكس: +(٢٠٣) ٤٨٣٠٣٣٩ تليفون +(٢٠٣) ٤٨٧٨٨٣٣
www.bibalex.org

المصادر

أولا: المصادر العربي:

- إبراهيم سيف الدين وزكى على وأحمد نجيب هاشم. مصر فى العصور القديمة.ـ القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩١.

- أحمد أمين وزكى نجيب محمود. قصة الأدب فى العالم .ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت.

- أحمد أمين سليم. دراسات فى حضارة الشرق الأدنى القديم: مصر، العراق، إيران .ـ بيروت: دار النهضة، ١٩٩٢.

- أوروسيوس، بول. تاريخ العالم/ ترجمة عبد الرحمن بدوى .ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢.

- بتلر، ألفرد ج. فتح العرب لمصر/ تعريب محمد فريد أبو حديد.ـ القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٠.

- بريستد، جيمس هنرى. تاريخ العصور القديمة/ نقله إلى العربية داود قربان .ـ بيروت: مؤسسة عز الدين، ١٩٨٣.

- بريستد، جيمس هنرى. تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى/ ترجمة حسن كمال .ـ القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٠.

- بسام العسلى. الإسكندر الأكبر: المقدونى .ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠.

- بسام العسلى. يوليوس قيصر .- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠.

- بول غليونجى. عبد اللطيف البغدادى: طبيب القرن السادس الهجرى؛ شخصيته، إنجازاته .- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.

- جورجى زيدان. تاريخ التمدن الإسلامى .- بيروت: دار الحياة، د. ت. (القاهرة: دار الهلال، ١٩٠٤).

- دودلى، دونالد. حضارة روما/ ترجمة جميل يواقيم الذهبى .- القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٩.

- رحاب خضر عكاوى. موسوعة عباقرة الإسلام فى الطب والجغرافية والتاريخ والفلسفة .- بيروت: دار الفكر العربى، ١٩٩٣.

- ستيس، وولتر. تاريخ الفلسفة اليونانية/ ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد .- القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤.

- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور القديمة .- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧ (إعادة طبع ١٩٩٩).

- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى .- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨.

- عباس محمود العقاد. عبقرية عمر .- بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د.ت.

- عبد الرحمن بدوى. أرسطو .- بيروت: دار القلم، ١٩٨٠.

- عبد الرحمن بدوى. أفلاطون .- بيروت: دار القلم، ١٩٧٩.

- عبد الرحمن بدوى. ربيع الفكر اليونانى .- بيروت: دار القلم، ١٩٧٩.

- عبد اللطيف البغدادى: موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن

على الشافعى. الإفادة والاعتبار والأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر .ـ القاهرة: دار سلامة موسى، ١٩١٣.

ـ ابن العبرى، أبو الفرج بن هارون الملطى. تاريخ مختصر الدول .ـ بيروت: دار الرائد اللبنانى، ١٩٨٣ (بنيت على الطبعة الأوروبية ١٨٠٦).

ـ عزت زكى حامد قادوس. آثار الإسكندرية القديمة .ـ الإسكندرية: المؤلف، ١٩٩٨.

ـ على عبد الواحد وافى. الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى .ـ القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٩.

ـ عمر الإسكندرى و ا. ج. سفدج . تاريخ مصر إلى الفتح الفارسى.ـ القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٠.

ـ عمر فروخ. تاريخ العلوم عند العرب.ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤.

ـ القرشى المصرى: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم بن أعين. فتوح مصر وأخبارها .ـ القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩١.

ـ القفطى: جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى يوسف. كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء .ـ القاهرة: مكتبة المتنبى، د. ت. (وهناك أيضاً طبعة ليبزج ومخطوطة دار الكتب).

ـ لويس عوض. دراسات فى الحضارة.ـ بيروت: دار المستقبل العربى، ١٩٨١.

ـ لويس، نفتالى. مصر الرومانية/ ترجمة فوزى مكاوى .ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.

ـ كلينكل، هورست. حمورابى البابلى وعصره/ تعريب محمد وحيد خياطة .ـ دمشق: دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٠.

- كوركيس عواد. خزائن الكتب القديمة فى العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة .ـ بيروت: دار الرائد العربى، ١٩٨٦.

- محمد جلال سيد غندور. مكتبة الإسكندرية القديمة: دراسة بيوجرافية .ـ القاهرة: عالم الكتب .ـ مج ١٧، ٤٦ (نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٦).ـ ص ص ٥٠٢-٥٢٦.

- محمد عبد الرحمن مرحبا. الجامع فى تاريخ العلوم عند العرب .ـ بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٨.

- مصطفى العبادى. مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى .ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢.

- مصطفى العبادى. مكتبة الإسكندرية القديمة: سيرتها ومصيرها .ـ باريس: اليونسكو، ١٩٩٢.

- مكتبة الإسكندرية. . الإسكندرية: المكتبة،٢٠٠١.

- موسوعة الحضارة العربية الإسلامية/ مجموعة من العلماء والكُتَّاب .ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧.

- ناصر الأنصارى. حُكَّام مصر من الفراعنة إلى اليوم .ـ القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١.

- ابن النديم: محمد بن اسحق. الفهرست: دراسة بيوجرافية ببليوجرافية ببليومترية/ تحقيق ونشر شعبان عبد العزيز خليفة ووليد محمد العوزة .ـ القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩١.

- هسى، ج. م. العالم البيزنطى/ ترجمة رأفت عبد الحميد .ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤.

- هونكه، زيغريد. شمس العرب تسطع على الغرب/ ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى.ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٦.

ـ هيسيل، ألفرد. تاريخ المكتبات/ نقله إلى العربية شعبان عبد العزيز خليفة.ـ الرياض: دار المريخ، ١٩٨٠.

ـ ويلز، هـ. ج. موجز تاريخ العالم/ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد .ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩. (الألف كتاب الثانى؛ ٣١١).

ثانياً: مصادر بالإنجليزية

- Bevan, Edwin. The House of ptolemy .- Chicago: Argonaut, 1968.

- Blum, Rudolf. Kallimachos : the Alexandrian Library and the origin of bibliography / translated by Hans H. Wellisch .- Madison: The University of Wisconsin Press, 1991.

- The Egyptian Book of the Dead .- San Francisco : Chronicle Books, 1994.

- Irwin, R. "Ancient and Medieval Libraries" in Encyclopedia of Library and Information Science .- New york : Marcel Dekker, 1968. vol. 1.

- Johnson, Elmer and Michael Harris. History of libraries in the Western World .- 3 rd ed.- Metuchen : The Scarecrow Press, 1976.

- Mahaffy, J. P. A Survey of Greek Civilization .- New York : Chautauqua Centrup Press, 1896.

- Oldfather, Charles Henry. The Greek Literary Texts From Graeco : Roman Egypt.- Madison: University of Wisconsin Press, n.d.

- Parsons, Edward Alexander. The Alexandrian Library Glory of the Hellinic World : its rise, antiquities and destruction.- New York: American Elsevier, 1952 (reprinted 1955, 1967).

- Pinner, H. L. The world of Books in Classical Antiquity .- Leiden : sij THoff, 1958.

- Rider, Alice Daman. A History of Books and Libraries .- Metuchen : The Scarecrow Press, 1976.

- Savage, E. A. The Story of Libraries and Book Collecting .- London, 1913. (Reprinted: New York: Franklin, 1969).
- Thompson, James Westfall. Ancient Libraries .- London : Archon Books, 1940.

* * *

المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

مكتبة الإسكندرية القديمة ومشروع إحيائها في الوقت الحاضر

الدار المصرية اللبنانية

تصميم محمد حجي